كتاب الزريعه الى مكارم الشريعه

عدد ١٧

آيا صوفيا

٢٨٩٧

١

لعل الله يحدث بعد ذلك امرا

عسى وعسى من الزمان عنايه يرد زمان الزمان بسعد

فيدرك حاجاته ويقضي مآربه ويحدث من بعد الامور امور

تملك الكتاب المبارك وتوصل الساس من نطايف ... على بابها

من انعام ابي القاسم الاعظم لله يغفر له من

... الهمام ...

احمد عبد الله ... جزاه الله عنا خيرا

من عباده ... في ... سنة

وجميع حاملاته

من الله تعالى علي افقر عبيده الى رحمته

محمد فضل ... متعه الله تعالى بما ... له

او المحمد الكرام ... المعروف ...

الدانع الشهاب

الجمالي

المعروف ...

الكافي

كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة وكتاب تفصيل النشأتين
كلاهما للشيخ الراغب في المنصاح [illegible]

كتاب الذريعة

الى مكارم الشريعة وبرهان تحصيل
النشأتين وتحصيل السعادتين

تاليف الشيخ العالم الفاضل ابي القسم الراغب
رحمه الله تعالى

[illegible]

انتقل هذا الكتاب
الى ملك العبد الفقير الى الله تعالى
[illegible] احمد بن سعيد المغربي عفا الله عنه
[illegible] شهر شعبان المبارك
من سنة ثلاث [illegible]

[illegible]

فصول ابواب الكتاب وابوابه وهو مقسم على سبع فصول

الفصل الاول في احوال الانسان وقواه وفضيلته واخلاقه ومبدأ الفصل [illegible]
الباب الاول في [illegible] الانسان وما يتعلق به
الباب الثاني في ماهية الانسان [illegible]
الباب الثالث في [illegible] الانسان
الباب الرابع في تعادل القوى الروحانية وكيفية ادراكها
الخامس في فضيلة الانسان على سائر الحيوان
السادس في [illegible] فضل الانسان
السابع في كون الانسان بين البهيمة والملك
الثامن في [illegible] الانسان
التاسع في السبيل الى معالي خلافة الله تعالى
العاشر في الفرق بين مكارم الشريعة والعبادة وعمارة الارض
الحادي عشر في كون [illegible] وكمال عبادته
الثاني عشر في منع [illegible] طهارة النفس
الثالث عشر في [illegible] الهوى للعقل
الرابع عشر في الفرق بين ما يسمى العقل وما يسمى [illegible]
الخامس عشر في ذكر [illegible] جهة العقل والهوى
السادس عشر في [illegible] طهارة النفس
السابع عشر في الفرق بين الطبع والخلق والعادة والسجية
الثامن عشر في [illegible] تغير الخلق
التاسع عشر في [illegible] واصلاح القوى الشهوية وما [illegible] من القوى المسعدة والمخرجة
العشرون [illegible]
الحادي والعشرون في الفرق بين [illegible] من الخلق
الثاني والعشرون في احوال الناس [illegible]
الثالث والعشرون في [illegible] الفضائل المحمودة
الرابع والعشرون في انواع نعم الله الموهوبة والمكتسبة
الخامس والعشرون في حاجة بعض الفضائل الى بعض
السادس والعشرون في الفضائل الجسمانية
السابع والعشرون في الفضائل المطبوعة بالانسان
الثامن والعشرون في الفضائل التوفيقية
التاسع والعشرون في [illegible] الفضائل النفسية
الثلثون في [illegible] الفضائل النفسية بعضها ببعض
الحادي والثلثون في النوازع [illegible] وتحري الفضائل
الثاني والثلثون في الموانع من تحري الفضائل
الثالث والثلثون في [illegible] الفضل [illegible]
الرابع والثلثون في [illegible] عباد الله [illegible] احلامهم
الخامس والثلثون في اصناف الناس
السادس والثلثون [illegible]

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها

٢٨٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نسال الله بجوده الذي هو سبب الوجود نورا يهدينا الى الاقبال عليه وسبلا
بنا الى الاصغا اليه ويدلنا على حسن معاملته والقوة على النفاذ في طاعته
وان يجعلنا في جملة من ضمن ان يحرسهم من غائلة الشيطان حيث قال ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وجعلهم للشيطان مثنوية حيث قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين كنت اشرت فيما امليته من كتاب
تحقيق البيان في تاويل القران الى الفرق بين احكام الشريعة ومكارمها وان
المكارم المطلقة هي اسم لما لا يتحاشى من وصف الباري تعالى باكثرها نحو الحكمة
والجود والحلم والعفو وان كان وصفه تعالى بذلك على حد اشرف مما يوصف به
البشر وان الاحكام تتناول ذلك والعبادات وانما باكتساب المكرمة يستحق
الانسان ان يوصف بكونه خليفة الله تعالى المعني بقوله اني جاعل في الارض
خليفة وبقوله ويستخلفكم في الارض وبقوله هو الذي جعلكم خلائف الارض
واشرت بان خلافة الله تعالى لا تصح الا بطهارة النفس كما لا يصح اشرف العبادات الا
بطهارة الجسم وقد استخرت الله تعالى وعملت في ذلك كتابا يحتوي نبذة نافعة الى
مكارم الشريعة وبينت كيف يصل الانسان الى المنزلة العبودية التي جعلها
الله تعالى شرفا للاتقيا وكيف يترقى عنها اذا وصلها الى منزلة الخلافة التي جعلها
شرفا للصديقين والشهدا فيما يجمع بين احكام الشريعة ومكارمها علما وابوابها

عملا يكتسب العلى وتتم التقوى وتبلغ الى جنة المأوى ورغبني ايها الاخ
الفاضل وفقك الله لرشدك واعاذك من شر نفسك في تصنيفه ما رايت من تشوقك
بان تزين ما ولاه الله من حسن خلقك وخلقك بما تتولاه من حسن ادبك واكمال
مروتك فما اجدر ذا الكل الصبيح ان يصحبه الراي الصحيح

حتى تصادف انجابا يطيب معا حالا ونورا وطاب العود والورق

فما اقبح بالمرء ان يكون حسن جثته باعتبار قبح نفسه جنة لعمرها بوم وخربة
يسها ذئب كما قال الحكيم لجاهل صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنه فردي
وان يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن اثاثه اعتباره على نحو ما سمى بعض الحكما
الاغنيا الاغبيا بيوتا سقوفها درر وحجر احلام الجهلة ودخل حكيم على رجل
فراى دارا منجدة وفرشا مبسوطة وراى صاحبها خلوا من الفضيلة فبزق
في وجهه فقال له ما هذا السفه ايها الحكيم فقال بل هذا الحكمة ان البزاق يرمى
الى اخس مكان في الدار ولم ار في الدار اخس منك فنبهه بذلك على دناءة الجهل
وان قبحه لا يبرز لابسه وخالي اللبانات فكن ايها الاخ عالما وبعلمك عاملا لتكون من
اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واحذر الشيطان ان يتشبك
ويغويك فيغويك باعراض الدنيا وزخارفها فيجعلك من اوليائه ويخوفك بوساوسه كما قال الله تعالى
انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه واعلم انه فيتبح بذي العقل ان يكون بهيمة
وقد امكنه ان يكون انسانا او يكون انسانا وقد امكنه ان يكون ملكا وان يرضى بقنية

قد وقف هذه النسخة الحسنة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتدبر وانا الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

مغارة وحجة مستردة وله أن تتخذ قنية مخلدة وحجة مؤبدة
ولم ير عيوب الناس شيء كنقص القادرين على التمام وإن أردت أن تعرف
بقاء العلماء الأغنياء فاعتبر بما قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه مات خزان
الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب
موجودة وإن أردت أن تشاهدهم في الجنة يتنعمون فاستقر حال حارثة حيث قال فاستقرئ
للنبي عليه السلام أصبحت مؤمنا حقا فقال عليه السلام لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك
فقال في جملة جوابه وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فقال عليه السلام يا حارثة
عرفت فالزم والحذر عن طلب ذلك وأدراكه الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون فقد وصفهم الله بالصمم والعمى إذ قال ما
كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذمهم بقوله أولئك الذين
خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم فرق بينهم وبين من ضادهم فقال
عز وجل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون
وأخبر تعالى أنهم لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع القلب وبصيرته اللذين بهما
يدرك حقائق المسموعات والمبصرات ذكر الفصول في أنواعها وأنواعها

الفصل الأول في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه

باب مثل أهل الدنيا بما يتحول له الإنسان

في هذه الدار كما قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه الناس سفر والدنيا دار ممر

لا دار مقر وبطن أمه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار
مسافته وسنوه منازله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطاه
يسار به سير السفينة براكبها كما قال الشاعر

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضا ... أخا سفر يسرى به وهو لا يدري

وقد دعي
إلى دار السلام كما قال تعالى لهم دار السلام عند ربهم وقال والله يدعو إلى دار
السلام وتوجه إليها تحو أشرف الزهرات وألذ الثمرات جنات تجري من تحتها الأنهار بمو
بل إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين لكن لما كان الطريق إليها مظلمة
مضلة مما يستولي عليها أستار الظلمة جعل الله تعالى للناس العقل الذي ركبه
فينا وكتبه التي أنزلها علينا نورا هاديا ومن عبادته التي أمرنا بها حصنا واقيا فقال
تعالى في وصف نوره الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
إلى قوله ويضرب الله الأمثال للناس فجعل المصباح مثلا للعقل والمشكاة مثلا
لصدر المؤمن والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة الزيتونة للدين وجعلها
لا شرقية ولا غربية تنبيها أنها مصونة عن الإفراط والتفريط كما قال تعالى إن هذا عالم
القرآن يهدي للتي هي أقوم والزيت للقرآن وبين أن القرآن يمد العقل مد الزيت
المصباح وأنه يكاد يكفي لوضوحه وإن لم يعاضده العقل ثم ما يعد على نور
القرآن ونور العقل ومن أنه يخص بذلك من يشاء وقال في وصف ما جعله الله للناس
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أي المختصين بعبادتي ممن لم يقم برعاية نوره

وحماية حصنه عنه في دجاه ويتمكن من استغوائه عداه كما قال تعالى ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون ثم من لم يتزود من دنياه زاده كما امره تعالى بقوله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى وجاءت رحلته فيسترجع منه ما اعير من جسده وذات
يده فيتحسر حين لا تغنيه تحسره ويقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين ويقول فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير
الذي كنا نعمل فحينئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا وايضا فان الانسان من وجه في دنياه حارث وعمله حرثه
ودنياه محرثه ووقت الموت وقت حصاده والآخرة بيدره ولا يحصد الا ما زرعه
ولا يكيل الا ما حصده ولهذا قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكان في البيدر مكاييل وموازين وامناء
وحفظة وشاهدين وكذلك في الآخرة مثل ذلك كما قال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وكان في البيدر تذرية ليتميز النقاوة
والحطام كذلك في الآخرة لتمييز الحسنات والآثام كما قال تعالى ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وقال تعالى فاما

في عمل الكفار والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وقال لاجل ذلك مثل الذين كفروا
بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقال وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا ومن عمل الآخرة بورك له في كيله ووزنه وجعل له منه زاد الابد
كما قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
ومن عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله كما قال تعالى من كان يريد وزينتها نوف
الحيوة الدنيا
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط
ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فاعمال الدنيا كشجرة الخلاف بل كالدلب والحنظل
في الربيع يرى غض الاوراق حتى اذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلا واذا احضر نجناه
البيدر لم يفد نائلا ومثل اعمال الآخرة كشجرة الكرم والنخل المستفيح المطر في
الشتاء فاذا حان وقت القطاف والاجتناء فاذا ذلك زادا وادخرت منها عدة
وعتادا الى الجوها اشار تبارك وتعالى بقوله ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء الايتين ولما كانت زهرات الدنيا ابعد الظاهر جنته
الباطن نهى تعالى عن الاغترار بها فقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا

فصل في ماهية الانسان وكيفية تركيبه

الانسان مركب من جسم مدرك بالبصر ونفس مدركة بالبصيرة واليها اشار تعالى بقوله
اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فالاشارة
بالروح الى النفس واضافه تعالى الروح الى نفسه تشريفا له ويعني به النفس المذكورة

في قوله تعالى اخرجوا انفسكم ووجود النفس في الانسان لا يحتاج الى دليل لوضوح
امره بل يثبته الجاحد لها والغافل عنها بانها هي التي يحصل لها في الجسم يحصل الحس والحركة
والحس والعلم والراي والتمييز ويكون الجسم متصرفا بها وحاملا ومستحسنا ومستطابا
ومحببا وبفقدها عدم هذه الاشيا فنص حقيقة يحتاج الى دقة تحمله وهي محل
للاعراض الروحانية كالجسم في كونه محلا للاعراض الجسمانية وقد حث الله تعالى على
تدبر النفس والتفكر فيها وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته في قوله وفي الارض
آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وكان في الامم السالفة من انكر الباري رجم
لكونه جاحدا ومن انكر النفس رجم لكونه جاهلا وقيل كان في كتب الله المنزلة اعرف
نفسك يا انسان تعرف ربك وروي عن النبي عليه السلام انه قال اعرفكم بربه اعرفكم
بنفسه بل قد قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم تنبيها انهم
لما نسوه تعالى دل نسيانهم اياه على نسيانهم لها وقال الحكما ركب الله تعالى
الانسان تركيبا مخصوصا معقولا على هيئة العالم واوجد فيه شبه كل ما هو في العالم
الكبير موجود حتى قيل الانسان هو عالم صغير مختصر للعالم الكبير وذلك ليدل به
على معرفة العالم فيتوصل بها الى معرفة صانعه فانه بمعرفة الانسان لباريه ان
تكون العالم فيعلم انه محدث وان له موجدا ليس مثله

باب

في قوى الانسان قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدرك الموجودات بما يظهر

من تأثيراتها قوة الغذاء وبها النشوء والتربية والولادة وقوة الحس وبها الاحساس
واللذة والالم وقوة التخيل وبها تصور اعيان الاشيا بعد غيبوبتها عن الحس وقوة
النزوع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المنافي والرضا والغضب والايثار
والكراهية وقوة التفكر وبها يكون النطق والعقل والعلم والحكمة والروية والكيد
والمهنة والراي والمشورة فاما القوى المدركة منها فخمس الحواس الخمس والخيال (وهي خ)
والفكر والعقل والحفظ فاما الحواس فلكل واحد منها ادراك مخصوص فللمس
عشر ادراكات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والصلابة
والرخاوة والثقل والخفة وللذوق سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة
والحرافة والعفوصة والتفه وللشم اثنان الطيب والنتن وللسمع اثنان الصوت
البسيط والكلام المركب منه وللبصر احد عشر النور والظلمة واللون والجسم وسطحه
وشكله ووضعه وحركاته وسكناته واعداده وابعاده فادون هذه الادراكات
اللمس ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستغني بها الا انما يعود نفعها الى صلاح
الجسم وارفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس لان العقل الاشيا (والفكر يدركان ح)
الروحانية فاما السمع والبصر فمتوسطان فانهما يخدمان النفس والجسم وخدمتها للنفس
اكثر ومدركان الاشيا الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر
فما اخذناه من السمع والبصر نسلمه الى العقل والفكر وذلك في حال اليقظة وما اخذناه
من العقل والفكر نسلمه الى السمع والبصر وذلك في حال النوم ولما كان ذهننا

القوى من الدماغ فتبارك مسكن الفكر وسط الدماغ ومسكن الخيال مقدمه ومسكن
الحفظ والذكر مؤخره ولما كان قوام الدماغ بل قوام الجسم كله من القلب الذي هو
منشأ الحرارة الغريزية صار في كلام الناس يعبر عن هذه القوى مرة بالدماغ فيقال
لفلان دماغ اذا قوي فيه هذه القوى المدركة وفلان خالي الدماغ اذا ضعف فيه هذه
القوى ويعبر عنها تارة بالقلب وهو الذي اكثر وعلى ذلك ما قال تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب ولما كان ادراك اكثر الحقائق بهذه القوى الثلث العقل والسمع والبصر
وكانت الفكرة خادمة للعقل والتخيل خادما للفكر والعقل تارة وللسمع والبصر تارة
خص الله تعالى بالذكر القلب وهو احد الطرفين والسمع والبصر وهو الطرف الآخر ولذلك
عظم الله تعالى المنة على الانسان باعطائه اياها وحمد من استعملها وذم من اهملها فقال
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقال في ذم من لا ينتفع بها ولهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وقال تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون اي لا يفهمون
المعنى لا انهم لا يسمعون الاصوات ولا يبصرون الذوات وجعلهم كما حيث انهم
لا يجدون معنى يستنبطا بالفكر ... كما بالعقل واعلم ان السمع والبصر كالاخوين
يخدم كل واحد منهما صاحبه في ادراكه فقد ينوب السمع عن البصر في ابلاغ القلب ما اخذه
عن اللفظ فيتعدى كونه ساعيا ما لا يدركه البصر في برهة وينوب البصر عن السمع في ابلاغ
القلب بمطالعة الكتب ما لا يدركه السمع في مدة سنين اذا كان المخاطب ناقص العبارة او عن
... في الكلام او دق المعنى وغمض ه

باب

تعاون القوى الروحانية وكيفية ادراكها القوى الروحانية متعاونات في ادراك
رسوم المعلومات فان الخيال يتصور عن المحسوس فيبقى فيه صورته الروحانية فينتقش بها
نقش الشمع بصورة الخاتم ثم ياخذه الفكر فيميز بعضها عن بعض ثم العقل فيبحث عن
خواصها ومنافعها ومضارها ثم يرد بها الى القوة الحافظة فان اراد ابرازه لفظا سلط عليه
القوة الناطقة فيعبر عنه اللسان وان اراد ابرازه فعلا سلط عليها القوة العاملة فتبرزه
بالجوارح وقد ذكر بعض الحكماء مثالا لهذه القوى يقرب منه تصور تأثيراتها فقال ان القوة
المفكرة ومسكنها وسط الدماغ بمنزلة الملك يسكن وسط المملكة والخيالية ومسكنها
مقدم الدماغ جارية مجرى صاحب بريده والحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ جارية مجرى
خازنه والقوة الناطقة جارية مجرى ترجمانه والعاملة جارية مجرى كاتبه والحواس
جارية مجرى الجواسيس واصحاب الاخبار الصادقة للبحث فكل نوع منها مقلد بنوع من الاخبار فيلتقط
كل واحد الخبر من الصقع الذي وكل به فيرفعه الى صاحب البريد وصاحب البريد يلتقط منه
ما يراه حقا ويرفع الى قاضيها الحضرة الملك فيميزه ويعرف منافعه ومضاره ويسلمه
الى خازنه الى وقت الحاجة اليه فيخرجه ويقدم بانفاذه ... وكما ان للملك افعالا
يستعين فيها بغيره وافعالا لا ينفرد بها هو بنفسه والافعال التي يتولاها بنفسه اشرف
مما يفوضه الى غيره كذلك للقوة المفكرة افعال تفوضها الى غيرها وافعال تختص بها
وهي الروية والفكر والاعتبار والتصور والقياس والفراسة فبالروية تدبير الامور وبالفكر
استخراج الغوامض وبالاعتبار تحصيل الحجة وبالقياس استنباط المجهول بتوسط المعلوم

وبالفراسة الاطلاع على الاسرار ونحو هذا المثل ما روي عن كعب الاحبار قال دخلت
على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه
حاجبان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا جناحان
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ه

باب

فضيلة الانسان على سائر الحيوان للانسان فضل على سائر الحيوانات كلها في نفسه
وجسمه اما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة والفكر
والرأي فان البهائم وان كانت كلها تحس وبعضها تتخيل فليس لها فكر ولا روية ولا
استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الاشياء واسبابها ولم يبرع قواها لتعلم الصناعات
الفكرية وانما تتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة وانواعها في ذلك القيل
والقرد واما فضله في جسمه فباليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب
القامة الدال على استيلائه على كل ما في هذا العالم وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وبقوله وصوركم فاحسن صوركم ولم يعن بالصورة
التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعقولة ولتشريفه تعالى اياه بذلك قال ولقد
كرمنا بني ادم الاية ومن زعم ان الانسان خلق خلقة ناقصة عن الوحشيات من حيث
لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط سلاحا في ذاته كما اعطي كثير منها فنظره ناقص
اذ قد اعطي الانسان بدل ذلك التمييز الذي يمكنه ان يتخذ به كل ملبس وكل سلاح
حسب ما يريد فيستاده لحين ارادته فيضعه متى احب ثم لو اعطي الانسان بعض الاسلحة

التي اعطيته لم يمكنه ان يستعمل غيره كالوحشيات وايضا فلو اعطي ذلك لكان
من الحق ان لا يعطى التمييز لانه حينئذ كان يستغني عنه فيبطل فائدته وفعل الله تعالى
منزه عن ذلك ان قيل فكيف قال الله تعالى وخلق الانسان ضعيفا فاستضعفه قيل
ضعفه بالاضافة الى الملأ الاعلى لما فيه من الحاجات البدنية التي قد كفيها واعلم
ان كل ما اوجد في هذا العالم فانما اوجد لاجل الانسان اما لانتفاعه به كالخيل والبغال
او للاغتذاء به كالبقر والغنم والحبوب والثمار واما لانتفاع ما ينتفع به الانسان
كالعشب والحشرات وما لا يعرف الانسان نفعه فليس يخرج عن كونه نافعا وقد بين
الحكماء نفع جلها وما لا سبيل لبعضنا او كلنا الى معرفة نفعه فليس جهلنا به قادحا في
حكمة الله تعالى في ايجاده فرب شيء جهلنا نفعه وقد سخر لمعرفته بعض الحيوان كالنحل
الذي قيض لعسله بالقوة وما سخر لمعرفته واستخراجه الا النحل وما البق من انكر
حكمة الله تعالى لجهله به ان ينشد وما علي بان لا يفهم البقر ه

باب

تباين ما به يفضل الانسان الانسان وان كان من حيث كونه انسانا افضل موجود
فذلك بشرط ان يراعي ما به صار انسانا وهو العلم الحق والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك
المعنى فيه يفضل ولهذا قيل الناس ابناء ما يحسنون اي قيمتهم بقدر ما يحسنون من العلوم والاعمال
الحسنة فقال الحسن ... اذ اعلم واذ اعمل حسنا فالانسان من حيث ما يتغذى وينسل
فنبات ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار
وانما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا

بهيمة مهملة او صورة ممثلة فالانسان يضارع الملك بقوة النطق والعلم والفهم و
يضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح فمن صرف همته كلها الى تربية الفكرة بالعلم والعمل
فخليق بان يلحق بافق الملك فيسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف
همته كلها الى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام
فخليق بان يلحق بافق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب واما
حقودا كجمل واما متكبرا كنمر واما ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وعلى
ذلك قوله وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ولكون كثير ممن صورته صورة
الانسان وليس معه الحقيقة الا كبعض الحيوان قال تعالى في الذين يغفلون عن الله
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فبين
ان الذين كفروا ولم يستعملوا القوى التي جعلها الله لهم هم شر الدواب وقال ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي مثل الواعظ للكافر كناعق الانعام
منبها انهم فيما قال لهم كالبهائم وبهذا النظر عبر الشاعر عن بعض من ذمه
اللوم اكرم من وبر ووالده واللوم اكرم من وبر وما ولدا ولم يقل من نوع لذا نبهها
على انما يستحق ان يقال له من كونه بهيمة وعلى هذا قال المتنبي
خطى اذا جئت في استفهامها بمن ولما ذكرنا لم يكن بين بعض هذه الانواع وبعضها
من التفاوت ما بين انسان وانسان فانك قد ترى واحدا كعشرة وعشرة كانها عشرة
اخرى هذه دون احد البحتري واحدا كالف والفا كواحد فقال الشاعر

ولم ار امثال الرجال تفاوتا لدى المجد حتى عد الف بواحد بل قد يرى واحدا
كعشرة آلاف وعشرة آلاف دون واحد كما قال عليه السلام وهو اصدق قيلا الناس كابل
مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والابل في تعارفهم اسم للمائة بعير فمائة ابل هي عشرة آلاف
بعير بل لو قيل تدبر كن احدكما لم وعالم كواحد لجاز كما قال عليه السلام وزنت بامتي
فرجحتهم وعلى هذا قال ابو نواس وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

باب كون الانسان بين البهيمة والملك

الانسان لما ركب من كباشر بهيمة وملك فتشبهه للبهائم بما فيه من الشهوات البدنية من المآكل
والمشارب والمناكح وتشبهه للملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والجود
صار واسطة بين جوهرين رفيع ووضيع ولهذا قال تعالى وهديناه النجدين فالنجدان من بين
وجه العقل والهوى ومن وجه الدنيا والآخرة ومن وجه الضلال والهدى ومن وجه
موالاة الله وموالاة الشيطان المذكوران في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ومن وجه النور والظلمة المذكوران
في قصص الابية اي الفضيلة والنقيصة ومن وجه الحيوة والموت المذكوران في قوله تعالى
اومن كان ميتا فاحييناه فمن وفقه الله تعالى للهدى واعطاه قوة بلوغ المدى فراعى نفسه
وزكاها فقد افلح ومن حرمه التوفيق فاهمل نفسه ودساها فقد خاب وخسر كما قال تعالى
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها

باب ما لاجله احتاج الانسان

الى ان ... ما في انسان بكل واحد كالاخر فالارض من تربتها والناس من رجل

وانما يشرف بان يوجد كاملا في المعنى الذي لاجله اوجد وبيان ذلك ان كل نوع اوجده
الله تعالى في هذا العالم او هدى بعض الخلق الى ايجاده وصنعته فانه موجد لفعل يختص
به ولولاه لما وجد وله غرض لاجله خص بما خص به كالبعير انما خص بذلك لتبلغ اثقالنا
الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس لكر جناحا لنا للمطارده والمنشار والمنحت
لتصلح بهما الباب والسرير ونحوهما والباب ليحرز به البيت فالفعل المختص بالانسان ثلثة عمارة
الارض المذكورة في قوله واستعمركم فيها وذلك لتحصيل ما به تزجية المعاش لنفسه فقط
او لنفسه ولغيره وعبادته المذكورة في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وذلك
هو الامتثال للباري تعالى في اوامره ونواهيه وخلافته المذكورة في قوله ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون وغيرها من الآيات وذلك هو الاقتدا بالباري عز وجل على
قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام
بالعدل بين الناس والحلم والاحسان والقصد منها ان يبلغ بذلك الى جنة المأوى وجوار
رب العزة تعالى وكل ما اوجد لفعل ما فشرفه بتمام وجود ذلك الفعل منه ودناءته بفقد
ذلك الفعل منه كالفرس للعدو والسيف للعمل المختص به في القتال ومتى لم يوجد فيه المعنى
الذي لاجله اوجد كان ناقصا فاما ان يطرح طرحا او يرد الى منزلة النوع الذي هو دونه
كالفرس الذي لم يصلح للعدو اتخذ حمولة او اعد اكولة فمن لم يصلح لعبادة الله تعالى ولا
لخلافته ولا لاستعمار ارضه فالبهيمة خير منه ولذلك قال تعالى في صفة الذين تخلوا عن الفضيلة
انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ه

باب السياسة التي يستحق بها خلافة الله تعالى

قد تقدم ان الخلافة تستحق بالسياسة وذلك بتحري مكارم الشريعة والسياسة ضربان
احدهما سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به والثاني سياسة غيره من ذويه واهل بلده
ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة غيره فامر
بالمعروف ونهى عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه فقال أتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقال تعالى لم تقولون ما لا تفعلون الاية وقال يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
الاية اي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم وبهذا النظر قيل تفقهوا قبل ان تسودوا
تنبيها انكم لا تصلحون للسيادة قبل معرفة الفقه والسياسة العامية ولان السائس يجري
من المسوس مجرى ذي الظل من الظل ومحال ان يعوج ذو ظل ويستقيم ظله ولذلك روي
السلطان ظل الله في الارض ولا حالة ان يهتدي المسوس مع كون السائس ضالا
قال تعالى لا تتبعوا خطوات الشيطان الاية فحكم انه محال ان يكون مع اتباع الشيطان
يامر الا بالفحشا ه

باب الفرق بين مكارم الشريعة والعبادة وعمارة الارض

اما مكارم الشريعة فمبداها طهارة النفس بالتعلم واستعمال
العفة والصبر والعدالة ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والاحسان فبالتعلم
نتوصل الى الحكمة وباستعمال العفة نتوصل الى الجود وباستعمال الصبر يدرك الشجاعة
والحلم وباستعمال العدل تصح الافعال ومن حصل له ذلك فقد تقدم المكرمة المعنية
بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وصلح لخلافة الله تعالى وصار من الربانيين والصديقين بغير
والشهدا واعلم ان العبادة اعم من المكرمة فان كل مكرمة عبادة وليس كل عبادة مكرمة

اي يتبع خطوات الشيطان فانه يامركم بالفحشا والمنكر

ومن الفرق بينهما ان العبادات فرائض معلومة وحدود مرسومة وتاركها يصير
ظالماً متعدياً والمكارم بخلافها ولن يستكمل الانسان مكارم الشريعة ما لم يقم بوظائف
العبادات فتحرّي العبادات من باب العدل وتحري المكارم من باب الافضال والنفل
ولا يقبل تنفّل من اهمل الفرض ولا تفضّل من ترك العدل بل لا يصح تعاطي التفضّل
الا بعد العدل فان العدل فعل ما يجب والتفضّل الزيادة على ما يجب وكيف يصح تصوّر
الزيادة على شيء هو غير حاصل في ذاته ولهذا قيل لا يستطيع الوصول من ضيّع الاصول
من شغله الفرض عن الفضل فمعذور ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور وقد اشار
تعالى بالعدل الى الاحكام وبالاحسان الى المكارم في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان
وقوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير ففعل الخير هو الزيادة على
العبادة واما عمارة الارض فالقيام بما فيه تزجية الحيوة وصلاح المعاش
فان الانسان الواحد من حيث لم يمكنه ان يعيش بانفراده من مأكله وملبسه ومسكنه
ولم يكن له سبيل الى بقائه في الدنيا الا بما يستجمعه ويستخدمه ويتقيه من الحر
والبرد لم يكن له بد من تحصيل ذلك من الوجه المباح ولهذا قال تعالى ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومتى كان سعي العبد في ذلك على الوجه
الذي يجب كان سعيه عبادة وجهاداً في سبيل الله لقوله عليه السلام من طلب رزقه
على ما سنّ فهو في جهاد ومتى لم يكن على ذلك فسعيه هباء حسبه كما قال تعالى الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا الاية ومن كان فيهما لا اختيار له فانه للناس مسخّر بلا ارادة

لخدمتهم حتى كانه من جملة البهائم التي سخرها الله تعالى لعباده فامتن عليهم بها في قوله
والخيل والبغال والحمير لتركبوها **باب** كون طهارة النفس
شرطاً في صحة خلافة الله وكمال عبادته لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه
الا من كان طاهر النفس قد ازيل رجسه ونجسه فللنفس نجاسة كما ان للبدن نجاسة لكن نجاسة
البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك الا بالبصيرة واياها قصد بقوله تعالى انما المشركون
نجس وبقوله والرجز فاهجر وبقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وانما لم يصلح لخلافة
الله الا من كان طاهر النفس لان خلافته هو الاقتداء به على قدر طاقة البشر في تحري الافعال الالهية
ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل فكل اناء بالذي فيه يرشح ولن تجد مسك سوء عن عرف
سوء ولهذا قيل من طابت نفسه طاب عمله ومن خبثت نفسه خبث عمله وقال عليه السلام المؤمن
اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله وقد اشار تعالى الى ذلك بقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات الاية وقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً
ولاجل انه لا يطيب عمل من خبثت نفسه قال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال
بعضهم في قوله عليه السلام لا يدخل الملائكة بيتاً فيه كلب اشار بالبيت الى القلب واشار بالكلب الى
الحرص والحسد ونحوهما مما يتبع ان الملائكة لا تدخله اذا كان فيه ذلك واستدل على صحته بان الحريص
يقال له الكلب والله تعالى قال فلان احرص من كلب ويقوي ذلك ما روي انه لا يسكن الا قلباً
نظيفاً والى الطهارة اشار تعالى بقوله وثيابك فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن
البدن كقول الشاعر ثياب بني عوف طهارى نقية وقال تعالى انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال
وما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقد قال بعض الحكماء انما سمي الحواريون بذلك العلماء خ
لانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم من قولهم حورته اي بيضته وما روي
انهم كانوا قصارين فاشارة الى هذا المعنى وان كان من لم يختص بمعرفة الحقائق تصور من
هذا التفسير المهنة المعروفة من العامة

باب

ما يفزع اليه في طهارة النفس الذي يطهر به النفس حتى ترشح لخلافة الله تعالى ويستحق
بها ثوابه هو العلم والعبادات الموظفة التي هي سبب الحيوة الاخروية كما ان الذي يطهر به
البدن الماء الذي هو سبب الحيوة الدنيوية ولذلك سماهما الحيوة وسمى ما انزله من كتابه الماء
فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فسمى العلم والعبادة حيوة من حيث ان النفس
متى فقدتها هلكت هلاك الابد كما قال في صفة الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون
وقال عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال ابن عباس رضي الله عنه عنى بالماء القران
اذ كان به طهارة النفس وبالاودية القلوب احتملته بحسب سعتها وقال بعض الحكماء في قوله العلماء خ
في قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا وقوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به انه عنى القرآن
كقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واجل حجة قوله فان الماء المنزل من السماء
المختص بالطهارة الذي لا يسد غيره مسده هو هذا الماء اعني كلام رب العالمين فاما الماء
المختص بطهارة البدن فقد يسد غيره مسده في الطهارة لان الذي ينبع من الارض يعمل عمله
والذي لم يطهره من النفس هو القوى الثلث قوة الفكر بتهذيبها حتى يحصل الحكمة

وقوة الشهوة بقمعها حتى يحصل العفة والجود وقوة الحمية باسلاسها حتى تنقاد للعقل
فيحصل الشجاعة والحلم ويتولد من اجتماع ذلك العدالة وجميع الرذائل ينبعث من فساد هذه
القوى اما من فساد الفكر فيتولد منها الجربزة او البله واما من فساد القوة الشهوية
فيتولد الشره او خمود الشهوة واما من فساد الحمية فيتولد التهور او الجبن ومن حصول
هذه الاشياء او حصول بعضها يحصل اما الظلم واما الانظلام فجميع روس الفضائل الخلقية
اربعة وجميع روس الرذائل الخلقية ثمانية

باب

بيان منازعة الهوى للعقل اعلم ان مثل الانسان في بدنه كمثل وال في بلده وقواه
وجوارحه بمنزلة صناعه وعملته والعقل له كمشير عالم ناصح والشهوة فيه كعبد سوء جالب
للميرة والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح
وفي نصحه ذنب العقرب ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته
وكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وادب صاحب
شرطته وجعله مؤتمرا لوزيره وسلطه على هذا العبد واتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا لا
سائسا ومدبرا لا مدبرا استقام امر بلده كذا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير
وادبت الحمية وسلطتها على الشهوة وقواها استتب امرها والا فسدت ولهذا حذرنا
الله غاية الحذر من اتباع الهوى فقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال في ذم من
اتبعه ارايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وقال اخلد الى الارض واتبع هويه
فمثله كمثل الكلب وقال في مدح من عصاه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان

الجنة هي المأوى. وقال عليه السلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك اشارة الى الهوى والعقل
وان كان اشرف القوى وبه صار الانسان خليفة الله في العالم فليس دابه الا الاشارة
الى الصواب كطبيب يشير الى المريض بما يرى فيه شفاؤه فان قبل منه المريض والا سكت عنه
ولذلك جعل له الحمية لكونها سببًا عن منع المدافعة والممانعة ولهذا لا يبين فضيلة العقل
لمن لا حمية له ولهذا قيل المهين من لا سفيه له ولهذا قال
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستاسد الحامي وايضًا
مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر ليراعي احواله وعقله خليفة مولاه
وبدنه منزل له وهو دفع البلاء كيه وشهوته سايس خيث ضم اليه ليتفقد فرسه ولا تثقله
لهذا السايس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب اتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج
اليه عاجلًا وآجلًا كما وصفه الله تعالى بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء الاية
وقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والنبي عليه السلم رسول اليه اتاه بالكتاب ليبين له
ما اشكل عليه مما يقرأه من الكتاب فيقبح ان ينتهي هذا الوالي مولاه ويهمل خليفته ولا
يراجعه فيما يهمه وينفعه ويصرف همه كله الى تفقد فرسه وسياسته وتفقد سايس
فرسه مقام خليفة ربه. ومن وجه اخر الانسان من حيث ما جعله الله عالمًا
صغيرًا وجعل بدنه كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من الفكر والخيال والحواس
كجنده واعوانه والغضب كرعيته والشهوة كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك
رعيته صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقسره

وقهره على ما يجب وكان محمودًا اثره اذا عاد الى حضرته كما ضمنه تعالى حيث يقول فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى فدفاع الهوى
اعظم جهاد كما قال عليه السلم وقد سُئل اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك وان
ضيع ثغره واهمل رعيته ذُمّ اثره اذا عاد اليه كما قال النبي عليه السلم كلكم راع وكلكم
مسئول عن رعيته ان الله تعالى يقول للكافر يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤو
الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك. وايضًا مثل النفس مثل فارس متصيد
وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقًا وفرسه مروضًا وكلبه معلمًا
فهو قمن بادراك الصيد ومتى كان هو اخرق وفرسه جموحًا او حرونًا وكلبه عقورًا
فلا فرسه ينبعث تحته منقادًا ولا كلبه يسترسل معه مطيعًا فهو قمن ان يعطب فضلًا
عن ان يدرك ما طلب. وللانسان مع هواه ثلاث احوال الاولى ان يغلبه الهوى والثانية
ان يغالبه فيقهره مرة ويقهره مرة واياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي عليه السلم
بقوله جاهدوا اهواكم كما تجاهدون اعداكم والثالثة ان يغلب هواه كالكثير من
الانبياء وبعض صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد بقوله عز وجل واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقصد النبي عليه السلم بقوله ما من احد الا وله
شيطان وان الله قد اعانني على شيطاني حتى ملكته وذلك ان الشيطان يتسلط على الانسان
بحسب وجود الهوى فيه.

باب الفرق بين ما يسومه العقل وبين ما يسومه الهوى

من شان العقل ان يرى ويختار ابدًا الافضل والاصلح في العواقب وان

كان على النفس في المبدأ مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فإنه يؤثر ما يدفع به الأذى
في الوقت وإن كان يعقب مضرة في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلاوات واللعب
في الشمس على تناول الأهليلج والحجامة ولهذا قال عليه السلام حُفّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار
بالشهوات وأيضاً فالعقل يُري صاحبه ما له وعليه والهوى يريه ما له دون ما
عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم ولذلك ينبغي
للعاقل أن يتهم رأيه أبداً في الأشياء التي له لا عليه ويظن أنه هوى لا عقل ويلزمه
أن يستقصي النظر فيه قبل إمضاء العزيمة وحتى قيل إذا عرض لك أمران فلا تدري أيهما
أصوب فعليك بأكرههما لا بأهواهما فأكثر الخير في الكراهة قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وقال عز من قائل فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فإن ما يرى
العقل يقوى إذا افزع فيه إلى الله بالاستخارة وتساعد عليه العقول الصحيحة إذا افزع
إليها بالاستشارة وينشرح له الصدر إذا استعين فيه بالعبادة وما تشير به الهوى
فبالضد من ذلك وأيضاً فإن العقل يرى ما يرى بحجة وعذر والهوى يرى ما ء
يرى بشهوة وميل وربما تشبه الهوى بالعقل بشبهة مزخرفة ومعذرة مموهة
كالعاشق إذا سئل عن عشقه والمسارع للطعام الردي إذا سئل عن فعله قال بعض
الحكماء العقل نحو مولم (?) جميل والهوى نحو طلق (?) قبيح فتنازعا كسب غرضها ونحا كما
إلى النفس المدبرة بالدعاء إلى حضرة العقل ووساوس الشيطان إلى حضرة الهوى [المكرم]
كما قال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور الآية فمتى كانت القوة

المدبرة من أولياء الشيطان وحزبه ومجيبيه لم تتزود الحق فغبنت عن نفع الآجل و
اغترت بلذة العاجل فجنحت إلى الهوى كما قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه الآية ومتى
كانت من حزب الله وأوليائه اهتدت بنور الله فاستهانت بلذة العاجل وطلبت
سعادة الآجل كما قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية وقد
نبه الله تعالى على فساد الهوى بقوله ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض
ومن فيهن أي لو أعطي كل إنسان ما يهواه مع أن كل أحد يهوى أن يكون أغنى الناس وأعلاهم
منزلة وأن ينال في الدنيا الخير الأبدي بلا منازع أو لو لا تعلم لكان في ذلك فساد العالم وقيل
في قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الآية إنه ضرب الشجرة الطيبة مثلا للعقل
والخبيثة مثلا للهوى ففرع الطيبة المعرفة والإسلام وفرع الخبيثة الكفر والضلال فإن قيل
ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل الشهوة ضربان محمودة ومذمومة فالمحمودة من فعل الله تعالى
وهي قوة جعلت في الإنسان لتنبعث بها النفس لنيل ما فيه صلاح البدن والمذمومة
من فعل البشر وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية والهوى هو هذه الشهوة الغالبة ء
إذا غلبت الفكر وذلك أن الفكر بين العقل والشهوة فالعقل فوقها والشهوة تحتها [استتبعتهم]
فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن وإذا اتضعت
ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة فولدت القبائح والنفس تتردد فيما تريد
بشوق العقل تارة وبشوق الهوى تارة ولهذا تسمى الهوى إرادة ٥

باب في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل والهوى

اول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر والى ذلك اشار النبي عليه السلام ان للشيطان لمة بابن آدم
وان للملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق واما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا
ثم من بعدهما الارادة ثم العزم ثم الهمة فالسانح علة الخاطر والخاطر علة الارادة والارادة
علة الهمة علة العزم والسانح والخاطر قد يعبر عنهما بالهاجس والواجس متجافى عنهما ما لم يصر
ارادة وعزما فحق الانسان اذا اخطر له خاطر ان يتدبره عاجلا فان وجده خيرا تابعه
حتى يجعله فعلا وان وجده شرا بادر الى قمعه وقلعه قبل ان يصير ارادة وتطهر منه قلبه
تطهيرا ارضه من خبيثات النبات وهذا المعنى اراد الحسن بقوله رحم الله عبدا وقف
عند همه فان كان لله مضى والا كف فقال بعض الحكماء اذا تداركت الخطرة اضمحلت والا
صارت شهوة وان تداركت الشهوة والا صارت طلبا وان تداركت الطلب والا صار
عملا وقال بعض الحكماء ان ولي الله اذا اتته لمة الشيطان انزعج لذلك ورأى بسببه
ظلمة ووجد روعة واذا اتته لمة الخير انشرح صدره ورأى الشيطان بخلافه
لقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون الآية **باب**
حصول الخلق المحمود بطهارة النفس قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلث
فاصلاح الفكر بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد وبين الصدق والكذب باصلاح
في المقال وبين الجميل والقبيح في الفعال واصلاح الشهوة بالعفة حتى يسلك نحو المكارم
المحمودة بقدر الطاقة واصلاح الحمية باسلاسها حتى يحصل الحلم وهو كف النفس عن فرط
الحلم

الغضب ويحصل الشجاعة وهي كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين وباصلاح
القوى الثلث يحصل للنفس العدالة والاحسان وهذه جماع المكارم وطهارة النفس
وحسن الخلق المحمود يقول النبي عليه السلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله ويعني الممدوح خ
باللطافة بالاهل تهذيبهم وتأديبهم المشار اليه بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا الآية والممدوح ايضا بقوله عليه السلام ان احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطئون الموطؤون
اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقيل جماع المكارم في قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية وذلك انه بالايمان يحصل العلم والحكمة وذلك
باصلاح الفكر وبالمجاهدة بالاموال والانفس يحصل العفة والجود اللذان هما تابعان
لاصلاح الشهوة والشجاعة والحلم اللذان هما تابعان لاصلاح الحمية وعلى ذلك قوله تعالى
خذ العفو الآية وقال النبي عليه السلام تفسير ذلك هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وتصل من قطعك فالعفو عن ظالمك نهاية الحلم والشجاعة واعطاء من حرمك نهاية الجود ووصل
من قطعك نهاية الاحسان **باب** الفرق بين الطبع والخلق والعادة
والسجية الطبع اصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في الحديد وكذلك
الطبيعة والضريبة اعتبارا بضرب الدراهم والنحيتة اعتبارا بالنحت والنجار اعتبارا
بنجر الخشب والغريزة لما غرز عليه وكل ذلك اسم للقوة التي لا سبيل الى تغييرها والشيمة
اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتبارا بالشامة التي في اصل الخلقة والسجية اسم لما سجي عليه
الانسان من قولهم عين ساجية اي فاترة خلقة واكثر ما يستعمل ذلك كله فيما لا يمكن تغييره

وأما الخُلُق فمعنى الأصل كالخَلْق كقولهم الشَّرب والشُّرب والصَّرم والصُّرم ولكن الخَلْق
يقال في القوى المدركة بالبصيرة والخَلْق في الهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر
ويُجعل الخُلُق تارة للقوة الغريزية ولهذا قال عليه السلام فرغ ربكم من الخَلْق والخُلُق والرزق والأجل
وتارة يجعل اسما للحالة المكتسبة التي يصير بها الانسان خليقا أن يفعل شيئا دون شيء كمن للخلقة خ
هو جُبل على الغضب لحدة مزاجه ولهذا خص كل حيوان بخُلُق في أصل خلقته كالشجاعة
للأسد والجبن للأرنب والمكر للثعلب ويجعل الخُلُق تارة من الخلاقة أي الملاسة فكأنه
اسم لما مرن عليه الانسان من قواه بالعادة وقد روي أفضل الأعمال الخُلُق الحسن وروي
ما أعطى الله تعالى أحدا أفضل من حُسن خُلُقٍ فيجعل الخُلُق مرةً للهيئة الموجودة في النفس
التي يصدر عنها الفعل بلا فكر ويجعل مرةً اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك أسماء أنواعها
كالعفة والعدالة والشجاعة فإن ذلك يقال للهيئة وللفعل جميعا وربما سمي الهيئة باسم
والفعل الصادر عنها باسم كالسخاء والجود فإن السخاء اسم للهيئة التي عليها الانسان والجود
اسم للفعل الصادر عنها وإن كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر وأما العادة فاسم لتكرير
الفعل والانفعال من عاد يعود وبها يكمل الخُلُق وليس للعادة فعل إلا تسهيل خروج ما هو بالقوة
في الانسان إلى الفعل فأما أن تجذب السجية إلى خلاف ما خلقت له فمحال فالسجية
اسم لفعل الخالق والعادة فعل المخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق لكن ربما
تقوى العادة قوة محكمة حتى تعد سجية وبهذا النظر قيل العادة طبيعة ثانية ه

باب ــــــ بيان إمكان تغيير الخُلُق اختلف الناس في الخُلُق

فقال بعضهم هو من جنس الخلقة ولا يستطيع أحد تغييره عما جُبل عليه إن خيرًا وإن شرًّا كما
قال:
وما هذه الأخلاق إلا غرائز ... فمنهن محمود ومنها مذمم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقة ... لئيم ولا يستطيعه متكرم
ويتعلق أيضا بقول النبي عليه السلام من آتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله وما روي
فرغ الله من الخَلْق والخُلُق والأجل والرزق وقال أن يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق وقال
بعضهم يمكن تغيير ذلك واستدل بما روي حسنوا أخلاقكم ولو لم يمكن لما أمر به وقال إن الله تعالى تغيير ح
خلق الأشياء على ضربين أحدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والأرض والجسد والشكل
والثاني خلقه خلقة ما وجعل فيه قوة ورشّح الانسان لكماله وتغيير حاله وإن لم يرشحه لتغيير
ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل وسهّل للانسان سبيلا إلى أن يجعله بعون الله نخلا ولن ب
نفسده إفسادا فكذلك الخلق من الانسان يجري هذا المجرى في أنه لا سبيل له إلى تغيير القوة للانسان
التي هي السجية وجعل له سبيلا إلى إسلاسها ولهذا أمر الله تعالى وقد خاب من دسّاها ولو لم يكن كذلك
لبطل فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي ولما جوز العقل أن
يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم
ممكنا فالوحشي قد ينقل بالعادة إلى التأنس والجامح إلى السلاسة لكن الناس في غرائزهم
مختلفون فبعضهم جُبل جبلة سريعة القبول وبعضهم جبل جبلة بطيئة القبول وبعضهم
في الوسط وكل لا ينفك من أثر قبول وإن قل وأرى أن من منع من تغيير الخلق فإنه اعتبر القوة
نفسها وهذا صحيح فإن النوى محال أن ينبت الانسان منه تفاحا ومن أجاز تغييره فإنه اعتبر

امكان ما في القوة الى الوجود وامكان افساده باهماله نحو النوى في انه يمكن ان يتفقد فيصير نخلاً
وان يترك مهملاً حتى يعفن فهذا صحيح انما ذاً اخلاقها بحسب اختلاف نظرنا بها ه

باب صعوبة اصلاح القوى الشهوية وما في هذه القوى من

المنفعة والمضرة اصعب هذه القوى الثلث مداواة قوة الشهوة لانها اقدم القوى وجوداً في
الانسان واشدها به تشبثاً واكثرها منه تمكناً فانها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي
هو جنسه بل في النبات الذي هو جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية ثم آخراً قوة الفكر والنطق ما يوجد ثم
والتمييز ولا يصير الانسان خارجاً عن جملة البهائم واشرار الورى الا باماتة الشهوات البهيمية
او بقهرها وقمعها ان لم يمكنه اماتته اياها فهي التي تضعفه وتعجزه وتعيره وتصرفه عن طريق الآخرة
وتثبطه وبقهرها وقمعه او اماتته يصير الانسان عفيفاً بل يصير الهياً ربانياً فتقل حاجاته ويصير غنياً
عما في ايدي الناس وسخياً بما في يده ومحسناً في معاملته فان قيل فاذا كانت الشهوة بهذه
المثابة في الاضرار فاي حكمة اقتضت ان يبلى بها قيل ان الشهوة انما هي مذمومة اذا كانت مفرطة
واهملها صاحبها حتى تملك القوى فاما اذا ادبت فهي المبلغة الى السعادة وجوار رب العالمين حتى
لو تصورت مرتفعة لما امكن الوصول الى الآخرة وذلك ان الوصول الى الآخرة بالعبادة ولا سبيل الى
العبادة الا بالحياة الدنيوية ولا سبيل الى الحياة الدنيوية الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظه الا
باعادة ما تحلل منه ولا يمكن اعادة ما تحلل منه الا بتناول الاغذية ولا يمكن تناول الاغذية الا بالشهوة
فاذاً الشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها ومقتضى الحكمة الالهية ايجادها وتزيينها كما قال زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين الاية لكن مثلها مثل عدو يخشى مضرته من وجه ويرتجى منفعته من وجه

ومع عداوته لا يستغنى عن الاستعانة به فحق العاقل ان ياخذ نفعه ولا يسكن اليه ولا يعتمد عليه
الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق في ذلك قول المتنبي اذا انصرف في وصف الشهوة وان قصدها قائله في قصد
ما ارادها   ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى   عدواً له ما من صداقته بد
وايضاً فهذه الشهوة هي المشوقة لعامة الناس الى لذات الجنة من المآكل والمشارب
والمناكح اذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة فلو توهمناها مرتفعة لما اشتاقوا الى
ما وعدوا به من قول النبي عليه السلام ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ه

باب ازدياد الانسان في الفضايل والرذايل بتعاطيها

كل متعاط لفعل من الافعال المكتسبة فانه يتقوى فيها بحسب ازدياده منه ان خيراً فخير وان شراً
فشر فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال كبارها وباحتمال كبارها يستحق الحمد ولهذا قال امير المؤمنين كرم
الله وجهه يبدو الايمان نكتة بيضاء في القلب كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان
ابيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا
استكمل النفاق اسود القلب كله فالانسان يتكامل في الفضيلة باربع درجات اشرع الاعتقاد
وهو ان يعتقد الحق ويجعل اعتقاده عن براهين واضحة وادلة قاطعة لا عن شبهات واهية
واقناعات متداعية والشروع في الفعل بها ان يترك العادات السيئة فيجعلها تحت بغضها
فيتجنب الرذيلة ويتوصل الى الفضيلة وان يتعود العادات الحسنة فيجعلها تحت نوشها ويتنعم
بها كما قال عليه السلام وجعل قرة عيني في الصلوة وكما ان للكمال اربع درجات فانه ينتكس باربع دركات
في الاعتقاد وهو ان لا يستشعر العلوم الحقيقية فيبقى عنها غفلاً وان يعتقد عن تقليد اعتقاداً

فاسد او متلطخ برود رجس في العمل وبهما ان استعدوا للعادات الجميلة راسًا وتعود العادة
القبيحة فمن صار في الفضيلة الى الدرجة الرابعة فهو ممن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه ومن صار في الرذيلة الى الدرجة الرابعة فهو من الذين وصفهم الله تعالى اولئك
الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ثم قال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
وقيل للحكيم لم لا تعظ فلانا فقال ذاك على قلبه قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل الى معالجة فتحه
وللانسان مع كل فضيلة ورذيلة ثلاثة احوال اما ان يكون في ابتدائها فيقال هو عبدها وابنها ولهذا
قال بعضهم من لم يخدم العلم لم يرعه والثاني ان يتوسطها فيقال هو اخوها وصاحبها والثالث
ان ينتهي فيها فيقال هو ربها وسيدها كما يقال هو ربها وربيبها ومنه قيل فلان رباني ينتهي
في العلم ورب الفرس هو الذي يربيه وسيده هو الذي يملك سواده اي جمعه وغاية الفاضل في
الفضيلة ان يقع منه افعال الفضائل ابدا من غير فكر ولا روية لغلبة قواها عليه وبعده ما ينافيها
منه كالصانع الحاذق في صنعته وغاية الرذل في الرذائل ان يقع منه افعال الرذائل لغلبة
قواها عليه ولهذا حد الخلق بانه حال للانسان داعية الى الفعل من غير فكر ولا روية ه

باب الفرق بين ما يحمد ويذم من التخلق — الفرق بين الخلق والتخلق

ان التخلق معه استثقال واكتساب ويحتاج الى بعث وتنشيط من خارج والخلق معه استخفاف
وارتياح ولا يحتاج الى بعث من خارج والتخلق والتشبه بالافاضل ضربان ضرب محمود وذلك ما
كان على سبيل الارتياض والتدرب ويتحراه صاحبه سرا وجهرا على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار
الذي ينبغي واياه قصد الشاعر بقوله   ولن تستطيع الحلم حتى تحلما   بل قال عليه السلام انما العلم

انما بالتعلم وانما الحلم بالتحلم وضرب مذموم وذلك ما كان على سبيل المراياة ولا يتحراه
صاحبه الا حيث يقصد ان يذكر به ويسمى ذلك رياء وتصنعا وتشبعا ولن ينفك صاحبه عن اضطراب
يدل على تشبعه كما قيل الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفا زاد تعقيفا وعلى ذلك
قول الشاعر   واسرع مفعول فعلت تغيرا   تكلف شيء في طباعك ضده ه
واياه قصد عمر رضي الله عنه بقوله من تخلق للناس بغير ما فيه فضحه الله وحال المتشبع كالجبر
يدل على فساد ما به ان شعث وان كان بعد حين   فان الجبر ينقض بعد حين اذا كان
البنا على فساد   وكالعضو المفلوج لا يطاوع صاحبه في تحركه وان جاهد في تحركه
الى اليمين تحرك نحو الشمال كذا ايضا المتشبع والظلوم والمهذور وان جاهدوا انفسهم
في اخفائها فان فحوى امرهم تابى غطاء عنهم وقد ذم النبي عليه السلام بقوله المتشبع بما لا يملك
كلابس ثوبي زور ونبه انه كاذب في قوله وفعله فتضاعف وزره وعلى ذلك حمل قوله تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واياه قصد النبي عليه السلام بقوله الشرك اخفى في امتي
من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وانفع الرياء النفاق في الدين وانفع النفاق
ما كان في اصل الاعتقاد وهو اظهار الايمان مع استبطان الكفر ولذلك جعل عقابهم
اعظم فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ه

باب سبب اختلاف الناس في اخلاقهم

جميع الفضائل النفسية ضربان نظري وعملي وكل ضرب
منها يحصل على وجهين احدهما بتعلم بشري يحتاج فيه الى زمان وتدرب وممارسة ويقوى الانسان ع
فيه درجة فدرجة وان كان منهم من يكفيه ادنى ممارسة ومنهم من يحتاج الى زيادة ممارسة
والاخر

وذلك بحسب اختلاف الطبائع في الذكاء والبلادة والثاني يحصل بفيض إلهي نحو أن يولد إنسان
فيصير من غير تعلم من البشر عالماً كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام الذين حصل
لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكماء وذكر بعضهم أن ذلك قد يحصل لغير الأنبياء أيضاً
في الفينة بعد الفينة وكل ما كان من غير تدرب فقد يكون بالطبع كصبي يوجد صادق اللهجة
وسخياً وجريئاً وآخر على عكس ذلك وقد يكون بالتعلم وبالعادة فمن صار فاضلاً طبعاً وعادة وتعلماً
فهو كامل الفضيلة ومن كان رذلاً بثلاثتها فهو كامل الرذيلة

باب

وجوب اكتساب الفضيلة المحمودة حق الإنسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه
ذات هيئة مستعدة لذلك ثم يستوفي ما أمكنه أن يبرز ذلك فعلاً إن أمكنه وذلك بأن يكون على هيئة الأسخياء
والشجعان والحكماء والعدول وإن لم يكن ذا مال يبذله ولا اعترض له مقام يظهر فيه نجدته ولا
معاملة يستعمل فيها عدالته وقيل لبعض الحكماء هل من جود يعم الورى فقال نعم أن
تحسن خلقك وتنوي لكل أحد خيراً وقال عليه السلام إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم واعلم
أن كل فعل يحتاج فيه إلى إجادة تجويده وتزيينه دينياً كان أو دنيوياً ويحتاج مع ذلك إلى أمور ثلاثة
... (margin: الكرم / ...)
يكل الإنسان ... أن يتعاطاها قصداً إلى المكرمة وأن لا يعتد بها كما قال تعالى مثل الذين
ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وأن يتحراه بخلوص الطوية كما قال عز وجل وما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأن لا يقصد بها منفعة دنيوية أو دفع مضرة فإن من يتحرى بفعله
ذلك تاجراً وجد عند بعض المحققين أن الطالب بها منفعة أخروية أيضاً تاجر فقيل من عبد الله بعوض فهو
لئيم ومن فعل ذلك لانشراح صدره فهو أولى ممن يفعله لمجاهدة نفس ولهذا قال عليه السلام إن استطعت

لنفس
إن نعم الله في الدنيا باليسير يفعل والا فتى الصبر على ما ذكر خير كثير وقولهم الحق مر فهو اعتبار
من لم يتهذب نفسه ولم يرض لعرضه فمن يكن ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا
وأما من كان فإنه يستطيب الحق وإن كان ثقيلاً كما قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن أصلح
خلقه وهذب نفسه فهو أعظم الملوك فمن ملك نفسه وقواها وهذبها وزكاها فقد اطلع
بذلك على ملكوت السموات والأرض وملك أطوع جنس للعطايا بالمنة وقد نبه تعالى على ذلك
بقوله إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً الآية فجعل النبوة مخصوصة فيهم وجعل الملك عاماً
لهم تنبيهاً على المعنى الذي ذكرت وعلى ذلك قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله
فنذكر بعد ذلك أنواع نعم الله تعالى وما يكتسب منه

باب

ولا تعدم — أنواع نعم الله الموهوبة والمكتسبة نعم الله تعالى وإن كانت لا تحصى مفصلة كما قال تعالى وإن
٥٥ — تعدوا نعمة الله لا تحصوها فإنها بالقول المجمل خمسة أنواع الأول وهو أعلاها وأشرفها السعادة
الأخروية وإياها قصد بقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الآية وذلك هو الخير
المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنى بلا فقر
ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد
ربع — الآخرة وسعى لها سعيها الآية وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع
والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الإنصاف وهي المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل
البدنية وهي أربعة أشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالإنسان
وهي أربعة أشياء المال والأهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل إلى تحصيل كل ذلك إلا بتوفيق الله تعالى

وذلك باربعة اشيا هدايته ورشده وتسديده وتاييده فجمع ذلك خمسة انواع من عشر هي
ما ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا من نفسي فقط واعلم ان الفضيلة الكاملة
والسعادة الحقيقية هي الخيرات الاخروية وما عداها فتسميته بذلك اما لكونه معاونا في
بلوغ ذلك ونافعا فيه فكل ما اعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة وهذه الاشيا التي هي معينة
ونافعة في بلوغ السعادة الاخروية متفاوتة الا ان منها ما هو نافع في جميع الاحوال وعلى
كل وجه ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما كان ضرره اكثر من نفعه
فحق الانسان ان يعرفها حق المعرفة حتى لا يقع الخطا عليه في اختياره الوضيع على الرفيع والقد
الخسيس على النفيس فالناس في منحاتها طالب الخير وهارب من شر كما قال

كل له حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعة
والمرء يغلط في تدبير حاله فلربما اختار العنا على الدعة لكن من يحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ويعتقد في الشي انه درياق نافع وهو سم ناقع ولذلك يجب على العاقل ان يتحلى بصيرة ويعرف من
كل ما يطلب حقيقته لئلا يكون كمن يرد شطوطه في اي جهة مظنها مبتغاه واخذها
فلا يدعته وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات ثلث مؤثرة لذاتها ومؤثرة لغيرها
ومؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها فالمؤثرة لذاتها السعادة الاخروية والنفسية والمؤثرة
لغيرها الدراهم والدنانير فانا لو تصورنا ارتفاع الضرورات التي تستدفع بها لكانت هي والحصا
سوا والمؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها كصحة الجسم فمعلوم ان الرجل اريدت للمشي
فالانسان يريد صحة الرجل وان استغنى عن المشي ويقال ايضا الخيرات ثلث نافع وجميل ولذيذ

والشرور ثلثة ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من ذلك ضربان احدهما مطلق وهو الذي يجمع
الاوصاف الثلثة في الخير كالحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة وفي الشر كالجهل فانه ضار وقبيح
ومؤلم والثاني مقيد وهو الذي جمع شيا من اوصاف الخيرات وشيا من اوصاف الشرور
ورب نافع موذ مؤلم كجذع فضربعضه فانه وان نفعه في ادراكه الثار فقد آذاه ورب
نافع قبيح كالحمق فانه وان نفع من حيث ما قيل استراح من لا عقل له فهو جد قبيح ورب نافع
من وجه ضار من وجه آخر كمن في سفينة يخاف الغرق فالقى المتاع في الما فتخلص السفينة
وكل ما نفعه ولذته وجماله اطول مدة واعم فائدة فهو افضل فحق العاقل ان يرغب الى الله
في ان يعطيه ما فيه مصلحته ما لا سبيل بنفسه الى اكتسابه وان يبذل جهده مستعينا بالله تعالى
في اكتساب ما له كسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك الشرف ومن ضيع اشرف
المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دني الهمة راض بخسيس الحال واشرفها ما اذا حصل لم يفتقر
ولم يحتج في حفظه الى اعوان وحفظة وكان نافعا عاجلا وآجلا ومطلقا في كل حال وزمان ومكان
وذلك هو الفضائل النفسية ولا سيما العقل والعلم فاما القنيات الخارجة كالجاه والمال فانها
فقال لها الخيرات المتوسطة لانها تتجاذب الى الفضيلة مرة والى الرذيلة مرة لانها سبب للخيرات
اذا كانت مع العقل وسبب للشر اذا كانت مع الجهل وقد نبه الله تعالى على كون ذلك سببا للشرور
بقوله عز قائل انما اموالكم واولادكم فتنة وقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا ولذلك قيل السعيد هو الخير العاقل غنيا كان او فقيرا قويا
كان او ضعيفا ان فيها ما الخير السعادة والفضيلة والنافع وبينها فرق فيقال

اما الخير المطلق فهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذى تتشوقه كل عاقل
بل قد قيل هو الذى يتشوقه الكل لانا مشوقين فان الكل يطلب بالحقيقة الخير وان كان قد يقصد الشر
انه خير فيختاره فمقصده الخير وتضاده الشر فهو المجتوى من اجل نفسه والمجتوى غيره من اجله
قال النبى عليه السلام لا خير فى خير بعده النار ولا شر فى شر بعده الجنة فجعل الخير المطلق الجنة
والشر المطلق النار كما ترى وقد يقال لكل ما يتوصل به الى الخير خير ولهذا قد سمى الله تعالى المال
خيرا فى قوله تعالى ان ترك خيرا لكن المال والجاه فى الحقيقة قد يكون خيرا لبعض الناس وشرا لبعضهم
فمعلوم انه كان شرا لمن هو كالذى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده واما السعادة
المطلقة فهى الحقيقة الاخروية وهى الاربع التى تقدم ذكرها من البقا بلا فنا والغنا بلا عجز والعلم
بلا جهل والغنى بلا فقر وقد يقال لما يتوصل به الى هذه السعادات الاربع سعادات وهى الستة عشر
المتقدمة وتضادها الشقاوة واما الفضيلة فاسم لما يحصل به للانسان مزية على غيره وهى
اسم لما يتوصل بها الى السعادة وتضادها الرذيلة واما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة
والسعادة والخير والنافع فى الشى ضربان ضرورى وغير ضرورى فالضرورى ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به
كالعلم والعمل الصالح للمكلف فى البلوغ الى النعيم الدائم وغير ضرورى فهو الذى قد يسد
غيره مسده كالسكنجبين فى كونه نافعا فى قمع الصفراء فان ذلك قد يسد غيره مسده وكل نافع
قد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك وموصلا اليه **باب**
حاجة بعض هذه الفضايل الى بعض قد تقدم ان الخيرات والفضايل خمسة انواع اخروية
ونفسية وبدنية وخارجة وتوفيقية فيجب ان يعلم ان بعض ذلك محتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث

لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر او حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد لاختل حال الآخر وذلك
ان السعادة الحقيقية الاخروية لا سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضايل النفسية
ولذلك قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها الاية وقيل عنه عليه السلام انه لا مطمع لمن اراد الآخرة في
الوصول اليها الا بالسعى ولا سبيل الى تحصيل الفضايل النفسية الا بصحة البدن وقوته ولانه
لا غنى لكمال الفضايل النفسية والبدنية من الفضايل الخارجة فانه لا يمكن ان يتوصل حصولها
لمن لا اهل له ولا مال ولا عشيرة فانه لكمال الابهاء **باب** الفضايل الجسمانية
قد استنبأ ان قوم بذلك وقالوا يكفى المرء ان يكون صحيح البدن بريا من الامراض الشاغلة عن تحري
الفضايل العقلية وليس كذلك فان البدن للنفس بمنزلة الالة للصانع والسفينة للربان اللذين بهما
صارا صانعا وربانا وجميع اجزاء البدن تبع للجملة اربعة العظام التى تجرى للبدن كالالواح
للسفينة والعصب الذى يجرى لها مجرى الحبال جميعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان يعتدل
منها القوى الاربع وهى الجاذبة والممسكة والدافعة والهاضمة يسمى ذلك الصحة ولو اصحة
البدن لما حصل انتفاع به واما القوة فهى جودة تركيب هذه الاركان الاربعة وهى العظام
والعصب واللحم والجلد وما يتبعها بها يصلح البدن للسعى والتصرف فى امر الدنيا والآخرة واما
الجمال فنوعان احدهما استدلال العامة الذى يكون من الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا
حصلت رفعت اجزاء الجسد الى العلو كالنبات اذ انه كلما كان اطلب للعلو فى نبته كان
اشرف فى جنسه ولهذا الاعتبار قد استعمل كل ما جاد فى جنسه العالى والفائق وكثر المدح بطول
القامة نحو كان ذرور القبطية علقت علا بنيها منه بجذع مقوم

الرباط الذى يشد به
الالواح واللحم الذى يجرى
مجرى الحشو للخيطات
والجلد الذى يجرى له
مجرى

في الاسماع الاخرة

آخر

اشثن طويل الساعدين كانما ناط نجاد سيفه بلوا والثاني من الكمال ان يكون معتدلا
قوي العصب طويل الاطراف ممتدها رحب الذراع عن تقلد بالشحم واللحم كما قال
فتى قد قدّ السيف لا متضائل ولا رهل لبّاته وأباجله ولا نعني بالجمال هاهنا ما تعلق
به الشهوة من الرجال والنساء فذلك انوثة وانما نعني به الهيئة التي تنبو الطباع عن النظر اليها لا تنبو ظ
بسواد لك على فضيلة النفس لان نورها اذا اشرق تادى الى البدن اشراقها وكل شخص فله
حالان احدهما من قبل جسمه وهو منظره والآخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان
ولذلك فزع اصحاب الفراسة في معرفة احوال النفس اولا الى الهيئات البدنية حتى قال بعض الحكما
قلّ صورة حسنة يتبعها نفس ردية فنقش الخاتم مقرو من الطين وطلاقة الوجه عنوان ما في
النفس وليس في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه وقد قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه الحاجات خ
وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فابعثوا احسن الوجه حسن الاسم فالوجه والعين
نظهر فيها آثار النفس كالمرآة يستدل بها عليها ولذلك تظهر فيها اثر سرور النفس وحزنها ورضاها
وسخطها ولذلك عبّر عن الجملة بالوجه وعن رئيس القوم ايضا فقيل فلان وجه القوم
وعينهم حتى قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه وكثرة الوجه المقبول دالة على فضيلة
النفس ان لم يكن حكما لازما فهو على الاعم الاكثر وحكي ان المامون استعرض جيشا فمر به رجل قبيح
الوجه فاستنطقه فوجده الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا كانت ظاهرة كانت
صباحة واذا كانت باطنة كانت فصاحة وهذا لا ظاهر له ولا باطن ولكون البسطة في فضل
كمال الجسم قول الله تعالى ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وقد قال تعالى

وزادكم في الخلق بسطة واما طول العمر فلولاه لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية
التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية

باب الفضائل المطيفة بالانسان

قد تقدم ان ذلك ما نقول المجمل اربعة اشيا المال والاهل والعز وكرم العشيرة وان هذه الاشيا
نافعة في بلوغ الفضيلة الحقيقية والسعادة الاخروية وجارية مجرى الجناح المبلغ وان لم تكن
الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية فاما المال فصاحبه يمكن من فضائل اذا افتقده تعذر عليه بلوغها فمعلوم ان
كثيرا من القرب كالحج لا يكون الا به والعديم المتحري المكارم كساع الى الهيجا بغير سلاح
وكباز مقصوص الجناح وفضله مغطى كأنه تحت الارض ونار كامنة في الصخر وما اصدق ما قال الشاعر
والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصة وذل   اخو   فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفة والغنى وقال عليه السلام نعم
العون على تقوى الله المال واما الاهل فنعم العون على بلوغ السعادة فمن كثر اهله مخالصوه
صار له بهم عيون وآذان وايد وقال تعالى حكاية عن لوط لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن
شديد قال الشاعر   المرء انجع القوم يخشى وان حريهم واحدهم مباح
وقال عليه السلام نعم الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد
صالح يدعو له وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال عليه السلام نعم العون على الدين المراة الصا لحه
فالمراة من بعض الرجل قبضها الله اليه ليرجع فيها نوعه كما قال تعالى نساؤكم حرث لكم وقال تعالى اباؤكم و
ابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا واما العز فبه يتأتى من تحمل الذل ومن لا عز له لا يمكنه ان
يذود عن حريمه ولذلك قيل الدين والملك اخوان توأمان وقيل سيان مؤتلفان ومتوديان الى عمارة

البلاد وصلاح العباد وقيل الدين اسٌّ والسلطان حارسٌ وما لا اسّ له فمهدوم وما
لا حارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها اولى الباطل وقال تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض واما كرم العشيرة فانه يقال
له الحسب والشرف والمجد واخص ما يقال لما كان في الآباء والعشيرة ولذلك قيل للعلوية اشراف ومن
الناس من لا يعتد بشرف الاصل وفضيلته وانما يعتد بفضيلة المرء بنفسه واستدل بقول امير المؤمنين
علي رضي الله عنه الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وانشد
كن ابن من شئت واكتسب ادبا يغنيك محموده عن النسب وقول الحكيم الشرف
بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس ذلك كما ظن لان كرم الاعمام والاخوال مخيلة لكرم
المرء ومظنة له فالفرع وان كان قد يفسد احيانا فمعلوم ان اصله عرقه الفضيلة
والرذيلة فانه لا يكون من النخل الحنظل ومن الحنظل النخل ولذلك قال
وما يك من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل اتوه
وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل وقيل نبتت نفسه ان السري اذا سرى
ولن السري اذا سرا اسراهما ويبين ذلك ان الاخلاق نتائج الامزجة ومزاج الاب
كثيرا ما يتادى الى الابن كالالوان والخلق والصور من اجل تاديها اليه مال عليه السلم
بتخيروا لنطفكم وقال عليه السلم اياكم وخضراء الدمن وما ذكر من نحو قول امير المؤمنين الناس
ابناء ما يحسنون فحث للانسان على اقتباس العلا ونهي عن الاقتصار على مآثر آبائه
وان المآثرة الموروثة قليلة الغناء بعدما الفناء ما لم يضامّها فضيلة النفس لا ان ذلك

انما جهد لكي يوجد الفرع مثله ومتى اختلف الفرع وتخلف فكانه يخبر باحد شيئين اما ان يكذب من
يدعي الشرف لعنصره او يتكذب به في انتسابه الى ذلك العنصر وما احسن ما قال المختار المحمود
ان يكرم الاصل والفضل واسخا والفرع شامخا كما قال
زانوا قديمهم بحسن حديثهم وكريم اخلاق بحسن خصال ومن لم يجتمع له الامران فلان
يكون شريف النفس دني الاصل اجمل من ان يكون دني النفس شريف الاصل
فالحسب الموروث لا در دره محتسب الا باخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة من المثمرات اعتده الناس في الحطب ومن كان عنصره الحسنة
شيا وهو في نفسه دني فذلك اخس لانه امتن لهما له نفسه وشوهها واما الفعود فهادات
قبيحة يصحبها اشرار وعن ذلك هي العوارض المفسدة للعناصر الكريمة ولهذا الرذيله
شيار احداه

باب الفضائل التوفيقية

التوفيق هو اتفاق ارادة الانسان وفعله قضاء الله وقدره وهو وان كان موضوعا في الا صح
على جميع استعماله في السعادة والشقاوة فقد صار متعارفا في السعادة فقط والاتفاق
مطاوعه التوفيق لكن قد يستعمل في السعادة والشقاوة جميعا فقال الاتفاق ردي والاتفاق
جيد والتوفيق ما لا يستغني عنه الانسان في كل حال كما قال الحكيم ما الذي لا يستغني عنه احد
في كل حال فقال التوفيق وانشد اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده
والسعادة التوفيقية هي الهداية والرشد والتسديد والتاييد فيجب ان نعلم ان لا سبيل
لاحد الى شيء من الفضائل الا بهداية الله فهي مبدأ الخيرات ومنتهاها كما قال تعالى اعطى

كل شيء خلقه ثم هدى وخاطب عز وجل الناس فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي هدايته
ما زكا منكم من احد ابدا الاية وقال عليه السلم ما منكم من احد يدخل الجنة بعمله فقيل ولا انت
يا رسول الله فقال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته اي هدايته تنبيها انه لو توهمت
رحمته مرتفعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل الى ذلك وللهداية ثلثة منازل الدنيا
الاولى تعريف طريق الخير والشر المشار اليها بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد خول
الله تعالى الهدى كل مكلف بعضه بالعقل وبعضه بالسنة الرسل واياه عنى بقوله واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثانية ما يمد به العبد حالا فحالا بحسب
استزادته من العمل الصالح والعلم واياه عنى بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والثالثة
نور الولاية التي هي في افق نور النبوة واياه عنى بقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى
واضاف ذلك الى لفظه الله تعالى تعظيما له ثم قال هو الهدى فجعله الهدى المطلق
وبقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي نورا تفرقون به بين الحق
والباطل وكل ذلك يسمى النور والحيوة نحو اومن كان ميتا فاحييناه الاية وقال تعالى افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وبتحري هذه المنازل الثلث يتوصل
الى الهداية للجنة المذكورة في قوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الاية
والرشد عناية الهية تعين الانسان عند توجهه في اموره فتقويه على ما فيه
صلاحه وتفتره عما فيه فساده واكثر ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى ولقد آتينا
ابرهيم رشده من قبل واكثر ما يكون ذلك بتقوية العزم او بفسخه واليه توجه قوله تعالى

تقوم خ

واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه والتسديد ان تكون ارادته وحركاته نحو الغرض
المطلوب ليهجم عليه في اسرع مدة يمكن الوصول فيها اليه وهو المسؤول بقوله عز وجل اهدنا الصراط
المستقيم والنصرة من الله معونة الانبيا والاوليا وصالحي العباد بما يؤدي الى صلاحهم عاجلا وآجلا
وذلك يكون تارة من خارج بمن يقيضه الله تعالى فيعينه وتارة من داخل بان يقوي قلوب الاوليا
او يلقي رعبا في قلوب الاعدا وعلى ذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الاية وقوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الاية واما ما يحصل بسعادة الدنيا الا اعتبر فيه العاقبة فيقال وله خ
له الدولة والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله تعالى في وصف
الفيء كي لا يكون دولة بين الاغنيا منكم والتاييد تقوية امره من داخل بالبصيرة ومن خارج
بقوة البطش واليه اشار تعالى اذ ايدتك بروح القدس والعصمة فيض الهي يقوى به
الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع له من باطنه وان لم يكن منعا محسوسا واياه
عنى بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقد روي ان يوسف عليه السلم رأى
صورة يعقوب عليه السلم وهو عاض على ابهامه فانحجز وليس ذلك بمانع ينافي التكليف كما توهم بعض
المتكلمين فان ذلك كان تصورا منه وتذكرا لما كان حذره وعلى هذا قال تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء ومن عصمة الله ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة من
مراعاة نفسه كما قال تعالى لنبيه عليه السلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية واعلم ان توفيق الله
تعالى للعبد وتسديده ونصرته وعصمته يكون بان يخوله من الفهم الثاقب والسمع الواعي
والقلب المراعي وتقييض المعلم الناصح له وارشده الموافق وامداده من المال بما لا يتقعد به

عن معزاه فلته ولا تشغله عنه كثرته ومن العشيرة والعز ما تصونه عن سفاهة السفها
وعن الفقر منه من جهة الاعتبار ان يحول لمن كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التسفف
على المراتب الدنية والتأخر عن بلوغ المنزلة السنية ه

باب

ما يتولد من الفضائل النفسية   امهات الفضائل النفسية وان كن اربعا فلها بنات هن
امهات لفضائل اخر وبيان ذلك ان العقل متى يقوى تولد منه حسن نظر وجودة الفكر وجودة
الذكر ومن حسن فعله الفطنة ومن اصالة الراى وجودته وتولد من اجتماع اربعتها جودة
الحفظ وجودة الفهم والشجاعة متى تقوت تولد منها الجود في حال النعمة والصبر في
حال المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث النشاط المختصة بالرجولية كما قال الشاعر
خلقنا رجالا للتجلد والاسى وهن الغواني للبكا والمآتم   والعفة اذا تقوت [تلك]
ولدت القناعة والقناعة تمنع من الطمع فيما لغيره فتولد الامانة والعدالة اذا
تقوت تولد الرحمة والرحمة هي الاشفاق من ان يفوت ذا حق حقه فهو يولد الحلم والحلم
يثمر العفو والانسانية تجمع هذه الفضائل وذلك ان الانسانية هي الفضائل النفسية [والكرم]
المختصة بالانسان وبقدر ما يكتسبه الانسان يستحقها وبها يتفاضل كثيرا كما تقدم في
الفرق بين الانسان والانسان فمنهم من قد ارتفع حتى لحق بافق الملك فلو تصور ملكا جسمانيا
لكان هو اياه لارتفاعه عن الانسانية الا بالصورة التخطيطية وعلى هذا قوله تعالى ان
هذا الا ملك كريم ومنهم من انحط حتى صار في افق البهائم فلو تصور كلبا او حمارا احسب
العامة حكما لكان هو اياه لانسلاخه عن الانسانية الا بالصورة التخطيطية وعلى هذا

قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم من هو في اوساط هذين في درجة من درجات
لها كثرة ولهذا صح ان يقال فلان اكثر انسانية من فلان وما يختص به لفظ الانسانية هو
الاخلاق والافعال المحمودة واما المذمومات من الاخلاق فيشارك الانسان فيها
البهائم والشياطين واما المروة فلها اشتقاقان معنى احدهما يقتضي ان يكون هي والا [نسانيه]
متقاربتين وهو ان يجعل من قولهم مرؤ الطعام وامرأ اذا اختص بالمرى لما فيه للطبع وكانها
اسم للافعال والاخلاق التي تقبلها النفوس السليمة فعلى هذا يكون اسما للافعال المستحسنة
كالانسانية والثاني ان يكون من المرء فيجعل اسما للمحاسن التي يختص بها الرجل دون المراة
فتكون كالرجولية وذلك اخص من الانسانية اذ الانسانية تشترك فيها الرجال والنساء والمروة
اخص لكثير مما يكون فضيلة للمراة يكون رذيلة للرجل كالبله والخفر والجبن والبخل ولهذا قيل
افضل اخلاق الرجال ارذل اخلاق النساء كالكبر والشجاعة والجود وهي رذيلة لهن وقيل
لمعوية ما المروة فقال اطعام الطعام وضرب الهام وقيل للاحنف فقال ان لا تفعل في السر
ما تستحيي منه في العلانية وقيل لآخر فقال اجماعها في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية واما الكرم فاسم لجماعة الاخلاق والافعال المحمودة اذا ظهرت
بالفعل والحرية مثله لكن يقال ذلك لمن لا يستعبده المطامع والاعراض الدنيوية وذكر
بعض الحكماء ان الحرية تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا يقال الا في المحاسن الكبيرة
كمن ينفق مالا في تجهيز جيش في سبيل الله او يتحمل حمالة يترقا بها دما قبيلة فكل كريم حر
وليس كل حر كريما وايضا فالحرية تتعلق بالتطلف عن الاخذ اكثر والكرم يتعلق بالانفاق اكثر

وتضاد الكرم اللوم والحرية العبودية اعني المذكورة في قوله
والعبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئا الا اذا رهبا   وكما ان الكرم اعم من الجود فاللوم اعم
من البخل ولا يدخل الحرية والكرم النسا فانهن مستخدمات بل مستعبدات ولذلك قال عليه السلام
لو امر الله مخلوقا بعبادة مخلوق لامر النسا بعبادة ازواجهن ان قيل ما حقيقة قول الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل لما كان الكرم اسما للافعال المحمودة التي تقدم ذكرها
وهذه الافعال انما تكون فاضلة اذا كانت عن علم وقصد بها اشرف الوجوه اي وجه الله تعالى
وذلك هو التقوى فليست التقوى الا العلم وتحري الافعال المحمودة فاذن كل من كان اتقى
كان اكرم والعزيز الذي يتناهى من المذلة واشتقاقه من العزاز وهو كالمطلق في
الامتناع من وطي الشهوات المذلة واصله من الظلف اي الارض الصلبة وفرق بعض
الحكما بين العزيز والكريم فقال الكريم يابى ان يقضى له والعزيز يابى ان يقضى عليه والظرف
اسم لحالة تجمع عامة الفضائل النفسية والبدنية والخارجة تشبيها بالظرف الذي هو الوعا
ولذلك قال اعرابي فلان حاضر الظرف ومفتر العقد ولكونه واقعا على كل ذلك قيل لمن حصل
له علم وشجاعة ظريف ولمن حسن لباسه واثاثه ورياشه ظريف فالظرف اعم من الحرية والكرم
واما الفتوة فكالمروة فانها اسم لما يختص به الفتى من الفضائل الانسانية لكن هو بالاحداث
اشبه وقد استعارت الصوفية لفظ الفتوة للتصوف لكونها مشاركة له في جميع افعالها
الا ان الغرض من غرض الفتيان استجلاب محمدة الاقران وغرض المتصوفة استجلاب محمدة الحق
بل مجرد رضاه تعالى واما الحسب فقد قيل فيما يختص به الانسان فيعد من مآثره وقد

فيقال فيما يؤثر عن ابائه والشرف نحوه لكن اكثر ما يقال فيما يؤثر عن آبائه

باب

تلازم الفضائل النفسية بعضها لبعض العقل والعفة والشجاعة والجود والعدالة ونحوها من
الفضائل تتلازم فان العقل اذا اشرف عقل صاحبه عن الاقدام على ما يورثه مذمة وحمله على
الاقدام على المحاسن التي تورثه المحمدة وعلى ان يسمح بفضلات ما في يديه لمن يحتاج اليه وان يبذل
لكل ذي حق حقه وذلك هو العفة والشجاعة والجود والعدالة وكذا اذا كان عدلا حمله
عدله على ترك تناول ما لا يجوز تناوله وان لا يحجم عما يلزمه الاقدام عليه وان لا يبخل بفضلات ما
في يده واذا كان شجاعا لا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ولا يخاف الفقر
فيبخل وبهذا النظر جعل بعض الشعرا الشجاعة سماحة والسماحة شجاعة فقال
ايقنت ان من السماح شجاعة تدمي وان من الشجاعة جودا   وجعل النبي عليه السلام دفع الشهوة
جهادا فقال الجهاد كف هواك وجعلت العفة جودا فقيل الجود جودان جود بما في يدك
وجود عما في يد غيرك وهو اعظمهما وهذه الفضائل اذا حصلت حصلت بها الانسانية
والحرية والكرم وعنها يتاصل الاسلام والايمان والاخلاص والتقوى

باب

البواعث على فعل الخير وتحري الفضائل البواعث على تحري الخيرات الدنيوية ثلث
ادناها الرغبة والرهبة ممن يخشى ضرره ويرجى نفعه والثانية رجا الحمد وخوف
الذم ممن يعتد بحمده وذمه والثالثة تحري الخير وطلب الفضيلة فالاولى من مقتضى الشهوة
وذلك من فعل العامة والثانية من مقتضى الحيا وهي من فعل السلاطين وكبار ابنا الدنيا والثا لثه
من مقتضى العقل وذلك من فعل الحكما ولهذه المنازل الثلث خرجا اعطى الانسان عقلا يدرك به
قيل

فان لم يكن فحيا يمنعه فان لم يكن فخوف يقمعه فان لم يكن فما يستره فان لم يكن فضاعفة
تحرمه ثم ترحم منه العباد والبلاد وكذلك البواعث على الخيرات الاخروية ثلث الاولى الرغبة
في ثواب الله والخوف من عقابه وذلك منزلة العامة والثانية رجاء حمده ومخافة ذمه وذلك
منزلة الصالحين والثالثة طلب مرضاته في الخيرات وذلك منزلة النبيين والصديقين والشهدا
ومن اجرها وجودًا ولذلك قال بعضهم افضل ما يتقرب به العبد الى الله ان يعلم انه لا يريد
من الدنيا والاخرة غيره قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقيل لرابعة لم لا تسالين الله الجنة في دعايك فقالت الجار قبل الدار وبهذا النظر
قال بعضهم من عبد الله بعوض فهو لئيم وقال بعض العلما هذه المنازل الثلث منازل الظالم والمقتصد
والسابق واحد وان يكون منازل هولا الثلثة ما روي عن النبي عليه السلم انه قال سايل العلما وخالط وخالل
الحكما وجالس الكبرا وقد قال بعض العلما مسايلة العلما يرغبك من الله في ثوابه ويخوفك من
عقابه ومخالطة الحكما يقربك من الحمد ويبعدك من الذم ومجالسة الكبرا ينهدك فيما ومخالطة
عند افضال الباري تعالى ه **باب** الموانع من تحري الفضايل
وذلك اما قصور واما تقصير فاما القصور فان لا يكون له المعاني العشرة التي قدمنا او الا الذي قدرة
على اكتسابها او يمكنه ذلك ولكن يعوقه عن استعماله عايق من مرض او شغل ضروري يعلقه لحاجته
الى السعي فيما يسد به جوعته ويستر به عورته وهذا على الوجه المذكور في قوله لا يكلف الله نفسا
الا وسعها ودواه الامن الفزع الى الله تعالى والتضرع اليه بان يجبر نقصه بتمام جوده وسعة رحمته
واما التقصير فاربعة اشيا الاول ان يكون الانسان لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح ونفي

غفلًا ودواوه سهل وهو التعليم الصايب والثاني ان يكون قد عرف ذلك لكنه لم يتعود
فعل الصالح وزين له سو عمله فراه حسنًا فتعاطاه وامره اصعب من الاول لكن يمكن ان
يقهر على العادة الجميلة حتى يتعودها وان كان يعسر فيه نزع العادة شديدا الثالث ان يعتقد
في الباطل انه الحق وفي القبيح انه الجميل فيتربى على ذلك ويعتاده وانه صعبة جدًا فقد صار
ممن طبع على قلبه اذ نقش نقش خبيث كما قد كتب فيما يودي حذقه الى المعرفة وفساده
الرابع ان يكون مع جهالته وتربيته على فساد الاعتقاد شريرا في نفسه يرى الخلاعة وقهر
الناس فضيلة وذلك اصعب الوجوه والى هو قصد من قال من المتعذر تادب الذيب
ليتهذب وغسل المسح ليبيض والاول من هولا الاربعة يقال له الجاهل والثاني يقال له الجاهل لمراض
والفاسق والثالث يقال له الجاهل والفاسق والضال والرابع يقال له الجاهل والفاسق
والضال والشرير ه **باب** الارتقا في درجة الفضايل
والانحدار عنها الى اقصى الرذايل للانسان في منازل الفضايل مرتقى صعب ومنحدر سهل وعلى
الارتقا فيها حث ربنا تعالى بقوله سارعوا الى مغفرة من ربكم وبقوله فاستبقوا الخيرات ومدح
قوما بقوله اوليك الذين يسارعون في الخيرات وعن الانحدار فيها نهى بقوله تعالى ولا ترتدوا
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين وبقوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
وذم قوما شانهم ذلك بقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى
لن يضروا الله شيا وسيحبط اعمالهم وبقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر فان الاية
تقتضي هذا المعنى وان كان ظاهرها دالا على الجهل الذي يعتريه الهرم فالخيرات يترقى فيها

فيبلغ الى اشرف المنازل باربع درجات ويتحدر عنها فيبلغ الى ارذل المنازل باربع درجات فاما
درجات الارتقاء فاولها ان يرتدع الانسان عن المآثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على ترك
معاودتها وذلك اولى درجات التائب المطيع لله ورسوله وثانيتها ان يقوم بالعبادات المكتوبة
عليه ويسارع منها بقدر وسعه وذلك درجة الصالحين وثالثتها ان يتحرى بتعلمه الحقيقي تعاطي بعمل الخير الحقيقي ح
الحسنات من غير التفات منه الى المحظورات بمجاهدة هواه واماتة شهواته وذلك منزلة
الشهداء ورابعتها ان يكون مع هذه الاحوال المتقدمة مرتضيا بقضاء الله ولا يتبرم عن بما امر او ما نهى ح
حكمه ولا يتسخط شيئا من امره ويعلم ان الله اولى به من نفسه وذلك درجة الصديقين وهذه
المنازل الاربع هي المرادة بقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية واجدر ان يكون هذه المنازل الاربع
هي التي بالامتثال المامور بها في قوله يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا الاية واعلم
ان من له الرضا اشرف المنازل بعد النبوة فمن رضي عن الله فقد رضي الله عنه لقوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد الرضوين مقرونا بالاخر فمن بلغ هذه المنزلة فقد
عن خساسة الدنيا واطلع على جنة المأوى وخطب مودة الملأ الاعلى وحظي بتحيتهم
المعنية بقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب الاية واما درجات الانحدار
والارتداد عنها فاولها الكسل عن تحري الخيرات وثمرته ذلك الزيغ المعني بقوله تعالى
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيتها الغباوة وهي ترك النظر وبغض العلم وثمرة ذلك
الرين على القلب المعني بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وثالثها الوقاحة

وهي ان يرتكب الباطل ويتراءى بصورة الحق ويذب عنه فثمرته ذلك قساوة القلب كما قال
تعالى ثم قست قلوبكم الاية ورابعتها الانهماك في الباطل وهو ان يستحسنه ويحسنه بحبه فيحبه ح
وثمرته ذلك الختم على قلبه والاقفال عليه كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها وكما قال تعالى ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم والكسل سبب للغباوة والغباوة سبب للوقاحة والوقاحة سبب للانهماك
في الباطل كما ان الزيغ يوجب الرين والرين يوجب القساوة والقساوة توجب الختم والاقفال
فحق الانسان ان يراعي نفسه في الابتداء ولا يترخص في ارتكاب الصغائر فيؤديه ذلك الى
ارتكاب الكبائر ان لا يعود فيتغشاه ما يهيج به العظيم وقد قال تعالى فان رجعك الله
الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج الاية فدل ان تعودهم الرذيلة اداهم الى ان صاروا
محكوما عليهم انه لا يتأتى منهم الخروج معه بوجه ه **باب**
بيان عادة الله في تهذيب الذين ترددوا في الرذائل حتى فسدت اخلاقهم الناس
متى تركوا تعاطي الاحسان والافضال وتحري العدالة فما منهم بلا ثوبها لا اخلاقا ولا اخلاقا
ولا آباء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة فصاروا في تعاطي الشر سواسية كاسنان الحمار عدم
فيهم الفضيلة كما قال عليه السلام لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا اهلكوا جميعا
ان بقي في نفوسهم اثر القبول للخير انشأ الله تعالى فيهم من يهذبهم باللسان والسيف المحقق
كبعثة النبي عليه السلام في العرب لما بقي فيهم من اثر الخير بتعظيم الشهر الحرام والبيت الحرام
والوفاء بالذمام وان قل فيهم قبول الخير سلط عليهم سيفا جائرا كما قال تعالى وكذلك نولي اثره ح
بعض الظالمين بعضا وقال عليه السلام ان الله تعالى ينتقم من اوليائه باوليائه ومن اعدائه باعدائه

وعاملهم بما عامل به بني اسرائيل حيث سلط بختنصر عليهم وقد ذكر ذلك في قوله تعالى فاذا جاء وعد
اولاهما الاية وان علم منهم انه لا يتنبهوا بعث عليهم عذابا يستأصلهم اما طوفانا واما حاصبا او نارا تحرقهم
او ريحا او ما يجانسها كعذاب الظلة او الجراد والقمل والضفادع والدم فتطهر منهم البلاد وتريح منهم العباد
كما فعل الله تعالى بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وذلك كالارض اذا استولى عليها الشوك والدغل
فلابد من تنقيتها باحراقها او تسليط النار عليها حتى تعود نقية ٥

باب اصناف الناس

الناس ضربان خاص وعام فالخاص من يختص من المعارف بالحقائق دون التقليد ومن الاعمال بما يبلغ به الى
جنة المأوى دون ما يقتصر عليه من الحيوة الدنيوية والعام اذا اعتبر بذلك فالذين رضوا من المعارف
بالتقليدات ومن اكثر الاعمال بما يؤدي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بامور الدنيا فالخاص من
يختص من امور البلد بالتحكم باقتداره احدى السياسات المدنية والعام من لا يتحكم باقتداره
من ذلك وهم من وجه اخر ثلثة اضرب خاصة وعامة واوساط الناس والاوساط هم المسمون في كلام العرب
بالسوقة والخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام هو الذي يساس ولا يسوس والوسط
هو الذي يسوسه من فوقه ويسوس من دونه ومن وجه اخر ثلثة اضرب اصحاب الشهوة وهمهم
الحلية واليسار والاكل والشرب والبعال واصحاب الكرامة والرياسة وهمهم المدح واجتلاب
الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من جنسه ولهذا احتاج السلطان
الى ان يختص بكل ذلك ويقتنيه ليكون معظما عند كل ضرب من الناس فيعظمه اصحاب الحكمة لحكمته
واصحاب الكرامة والرياسة لكرامته ورياسته واصحاب الشهوة لماله وكثرة قنياته ومن وجه اخر
الناس ضرب ملكي وشيطاني وانسي فالملكي يستعمل القوة العاقلة بقدر جهده وهم المؤمنون حقا

والشيطاني الذي يستعمل القوى الشهوية من غير مراعاة الى مقتضى العقل والانسي الذي خلط
عملا صالحا وآخر سيئا وهم المذكورون في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم الايات وهم المؤمن والسابق والفاسق وهم ايضا الثلثة اضرب المذكورون في قوله تعالى
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة الايات ومن وجه اخر ضربان مصطفى وغير مصطفى ذلك
فالمصطفى ثلثة اضرب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق وهم المذكورون في قوله تعالى ثم اورثنا
الكتاب الاية وهم انما اعني المصطفين ثلثة اضرب الانبيا للمشاهدة والهداية لقوله تعالى لقد ارسلنا (الابرار)
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الاية وحكامهم الاوليا للمراقبة والرعاية لقوله تعالى الا ان اوليا
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعوام للمجاهدة والكفاية وهم المذكورون في قوله تعالى يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وهم ايضا اعني الناس ضربان عبد بالطبع وان كان ملكا وملك
بالطبع وان كان عبدا مستترا فالملك من حصل الفضايل النفسية التي بها يصير الانسان بحيث يصح ان
يوصف بانه رباني والهي وملكي ويصح ان يكون خليفة الله في ارضه والعبد من قال النبي عليه السلم تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وقال بعض الحكما
ما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات لكون الانسان مشاركا للبهائم في
الجنسية وان كان مباينا لها في النوعية فمن الناس شجاع كالاسد وعابث كالذئب وخب كالثعلب
وشره كالخنزير وجامع كالنمل ومرح كالذباب وبليد كالحمار والوفي كطير الوفا وصنع كالنحلة
وانف كالابل وغيور كالديك وهاد كالحمام ومنهم حسن المنظر والمخبر كالاترج ومنهم بخلاف
ذلك كالبلوط والعفص ومنهم قبيح المنظر حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كالحنظل

والدفلى والمؤمن الخبير من الحيوانات كالنحل يأخذ أطايب الأشجار فلا يقطف ثمرًا ولا يكسر شجرًا
ولا يؤذي البشر ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وهو كالأترج في الأشجار
يطيب حملًا وبذرًا وعودًا وورقًا والمنافق الشرير من الحيوانات كالذباب والأرضة وفي الأشجار
مثل الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا زهر ويفسد الثمار ويبس الأشجار
وكالسمرة المؤذية ريحها وكثرة شوكها وصعوبة مرتقاها ه

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها

باب فضيلة العقل

العقل أول أجهزة أوجده الله تعالى بدلالة ما روي عن النبي عليه السلام أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل (واشرف)
فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أحب إلي منك بك آخذ وبك (اكرم)
أعطي ولو كان على ما توهم قوم أنه عرض لما صح أن يكون أول المخلوق لأنه كما لا يوجد شيء من الأعراض قبل
وجود جوهر يحله وقال عليه السلام لا دين لمن لا عقل له وقال عليه السلام لا يعجبنكم إسلام امرئ حتى تعرفوا
عقدة عقله ومن هذا الوجه الذي أشار النبي عليه السلام إليه قالت الحكماء من لم يكن عقله أغلب خلال
الخير عليه كان حتفه في أغلب خلال الخير عليه وبالعقل صار الإنسان خليفة الله تعالى ولو توهم متوهم شيئًا
لا يعقبه الفضائل من العالم فضلًا عن الإنسان وما خصه الله به في الإنسان اهتدى من
وفقه الله لمن يزكيه بنفسه المذكورة في قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وحصل
به حياة الآخرة المذكورة في قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة الآية وحرث الآخرة على التفصيل
سبعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وأمن بلا خوف وراحة بلا شغل وعز بلا ذل
وإلى العقل أشار بقوله عز وجل الله نور السموات والأرض الآية فمعنى نور السموات والأرض

متون بها وإن لم يكن العقل وقد يعتدم وجه ضرب هذا المثال للعقل بل العقل على ضربين أحدهما
بغير إضافة وهو المذكور بما تقدم من الخبر بأنه أول مخلوق والثاني بالإضافة إلى آحاد الناس فيقال
عقل فلان وهو من أول المنازل لما للمؤمن المتيمن

باب أنواع العقل

العقل عقلان غريزي وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة
والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو الذي يقوى به تلك القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل
للإنسان حالًا لا بالاختيار منه فلا يعرف كيف حصل ومن أين حصل وضرب باختيار منه فيعرف كيف
حصل ومن أين حصل وحصوله بتقدم اجتهاد في تحصيله ولكون العقل غريزيًا ومستفادًا قال
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مطبوع ومسموع ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر وإلى الأول أشار بقوله (العقلان)
عليه السلام أول ما خلق الله العقل الخبر وإلى الثاني أشار بقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه إذا تقرب
الناس إلى خالقهم بأبواب البر فتقرب أنت إليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الد (نيا)
وعند الله في الآخرة وقال عليه السلام ما كسب أحد شيئًا أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويرده عن ردى
والاختلاف النظر فيه قال قوم العقل مبدع وقال قوم هو مكتسب وكلا القولين صحيح من وجه دون وجه
والعقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد بمنزلة النور وكما أن البدن متى لم يكن له
بصر فهو أعمى كذلك النفس متى لم يكن لها بصيرة أي عقل غريزي فهي عمية وكما أن البصر متى لم يكن معه
نور من خارج لم يجد بصره كذلك العقل إذا لم يكن له نور من العلم مستفاد لم يجد بصيرته ولذلك قال
تعالى ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور فقد جعل للعقل نظرًا وإدراكًا ورؤية وجعل له أضدادًا من (وابصارهم)
العمى وغيره فقال عز وجل وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى

لا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ولما كان فقدان البصيرة اشنع من فقدان
البصر لانه بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع بالبصر قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور فذمهم بفقدان البصيرة فنبه انه ان فقدانها اختيارك اذ منه كثيرهم استفاده
العلم واكثر فقدان البصر ضرر كقوله تعالى الذين كانت اعينهم في غطا عن ذكري وكانوا لا يستطيعون
سمعا فلولا ان العين اريد بها البصيرة لما قال عن ذكري لان الذكر لا يدرك بحاسة العين وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لمن عيره بفقدان البصر انا نصاب في ابصارنا وانتم تصابون في بصايركم وكيف لا يكون
فقدان البصيرة اعظم ضررا من فقدان البصر وقد تقدم ان البدن بمنزلة فرس والنفس بمنزلة
راكبه وضرر عمى الراكب نفسه اشد عليه من ضرر عمى فرسه ٥

باب

المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي العقل المكتسب ضربان احدهما التجارب الدنيوية والمعارف
المكتسبة والثاني العلوم الاخروية والمعارف الالهية وطريقاهما متنافيان وقد ضرب امير المومنين
علي رضي الله عنه لذلك امثالا فقال ان مثل الدنيا والآخرة ككفتي الميزان لا ترجح احداهما
الا بنقصان الاخرى وكالمشرق والمغرب كلما قرب من احدهما بعد من الآخر وكالضرتين اذا ارضيت
احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى قوما اكياسا في تدبير الدنيا وسياستها بلها في امور الآخرة
وقوما اكياسا في امور الآخرة بلها في امور الدنيا حتى قال عليه السلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت وقال لمن نسب بعض الصالحين الى البله اكثر اهل الجنة البله ولاختلاف طريقيهما قال الحسن
ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين ولقلة الاعتداد بالمعارف
الدنيوية ما قال عليه السلم لرجل وصف نصرانيا بالعقل فقال مه انما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته

وقال تعالى حكاية عن اهل النار لو كنا نسمع او نعقل الآية ومن تصور اختلاف الطريقين اعني طريق الدنيا
وطريق الآخرة لم يعرض له الشبهة التي اعترضت لقوم حتى قالوا لو كان هاهنا خير لما جهله الذين لا يلحق شاوهم
في تدبير الدنيا ودقائق الصناعات وواضعو الحكم والسياسات وذلك انه من المحال ان يظفر سالك طريق
المشرق بما لا يوجد الا في المغرب او يظفر سالك طريق المغرب بما لا يوجد الا في المشرق كذلك من المحال ان
يظفر سالك معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله ان الذين لا يرجون
لقانا ورضوا بالحيوة الدنيا الآية والكامل من جمع بين طريقي الدنيا والآخرة معا على التحقيق والتصديق
الا من يخصهم الله ليهدي الناس في امر معاشهم ومعادهم جميعا كالانبيا وبعض الحكما ولما كان العقل
هو الذي يردع الانسان عن الذنب والكناية على التمام والكمال في العرف لم ينفك احد من
ذنب يكسبه ولذلك قال عليه السلم ما منا الا من اذنب او هم به ٥

باب

بيان منازل العقل واختلاف اسمائها بحسبها العقل اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما كان
عقلا في موضوع اللغة تقييد البعير لئلا يند وسمي هذا الجوهر به تشبيها على عادتهم في استعارة ومكتسبا
اسما المحسوسات للمعقولات وخص في المصطلح لما كان يستعمل مرة للحدث ومرة للفاعل نحو عدل
وصوم وزور ومرة للمفعول نحو خلق وامر ولكن يتصور منه كونه سببا لتقييد الانسان به وكونه مقيدا لتقييد ظ
له عن تعاطي ما لا يجمل به وكونه متقيدا من الحيوان والنهى في الاصل جمع نهية او اسم مفرد
نحو جعل وصرد او صفة نحو دليل خنع وسابق حطم وجعل اسما للعقل الذي انتهى من المحسوس
الى معرفة ما فيه من المعقولات ولهذا احال اربابه على تدبر معاني المحسوسات في نحو قوله تعالى
اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى وقال تعالى

ونعوذ بالله من كل امر لا يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا صح

والنهى لنهيه عن القبائح والحجر أصله من الحجر وهو المنع
وهو الذي يمنع الإنسان من حظر الشرع والدخول في أحكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك
قسم لذي حجر وسمي حجى من حجاه أي منعه ومنه الأحجية فكأنه سمي بذلك لكونه مانعا للإنسان
عما يقبح وأما اللب فهو الذي تخلص من عوارض الشبهة وتوجه لاستفادة الحقائق دون
المفتقر إلى الحواس ولذلك علق الله تعالى في كل موضع ذكر تفاسير المعقولات دون الأمور المحسوسة
نحو قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب وصفهم
بهداية الله تعالى إياهم وقد سمى الله العلم نورا والجهل ظلمة فقال تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية
وسماه روحا في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وسماه حيوة والجهل موتا
فقال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
الآية وسماه ماء بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية الآية والإيمان زبدة العقل والعلم
ولذلك قال تعالى في مواضع إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فعلق ذلك بما علق بهما وسمي العقل
القلب في ذلك لأنه لما كان العقل مبدأ آثار الروحانيات والفضائل سمي به ولذلك عظم الله أمره — القلب
واختصاصه بما قد أوجد لأجله فقال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الآية وقال تعالى من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب وقال تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فنبه أن القلب الحقيقة
إنما يكون قلبا إذا كان مختصا بما قد أوجد لأجله وما قد أوجد لأجله هو المعارف الحقيقية
وقال عليه السلام إن في البدن مضغة إذا استقامت استقام البدن وإذا اعوجت اعوج البدن
ولما كان شرف المعارف بحسب شرف العلم قال الله تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك فخصه بالذكر

باب جلالة العقل وشرف العلم

العقل حيثما وجد كان
محتشما حتى أن الحيوان إذا رأى إنسانا احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار
ولذلك ينقاد الإبل للراعي وكذلك جماعة الرعاة إذا رأوا منهم من كان أوفر عقلا وأغزر فضلا
فإنهم ينصدون وينقادون له طوعا أو كرها والعلماء إذا لم يعاندوا انقادوا لما ضرعه أكثرهم علما وأنظمهم
نفسا أو أوفرهم عقلا وحكمة ولا شك في فضله إلا كل متدنس بالمعايب متطلب للرياسة حافظ على عرض دنيوي
قد جعل عقله خادما للشهوة يحفظه عليه لئلا يشكر فضل الفاضل ولفضيلة العقل الوافر
كان كثير ممن كانوا يعاندون النبي عليه السلام قصدوه ليعاندوه فما كان إلا أن وقع طرفهم عليه تداركهم
لهم نوره فخضعوا عنده لما لاح من نوره فهابوه فمن مذعن له طائعا ومن ثبت الإنكار بعد
الإجحاد ولهذا المعنى قال الشاعر: لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تنبيك عن خبره
وقد تقدم أن الإنسان لم يتميز عن الحيوان والبهائم إلا بالعقل ولم يشرف إلا بالعلم ومن شرف العلم
أن كل حيوة انفكت منه فهو غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودات فإن الحيوة الحيوانية إنما
هي ما لم يفارقها الإحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم مما يخالفه فيهرب منه ولذلك اختص
المعارف بمقتضى الحيوة الإنسانية أنها إذا تعرت من المعارف المختصة بها أن لا تعتد بها ولهذا
سمى الله الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وأجل الحيوة
معارف العلم وسمى الله تعالى العلم روحا في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وقد ذكر
أن حاجة الإنسان إلى العلم أكثر من حاجته إلى المال لأن العلم نافع لا محالة ونفعه دائم في
الدنيا والآخرة والمال قد ينفع وقد يضر إذا انقطع نفعه فقد انقطع فمن استفاد علما ثم ضيعه فكن

من استفادته ناهله فقد حيز خيرًا كثيرًا كما قال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا الآية

باب الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفة والدراية والحكمة

العلم إدراك الشيء بحقيقته وهو ضربان أحدهما حصول صور المعلومات في النفس والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء هو له موجود أو نفي شيء عنه هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بأنه خارج أو ليس هو طائرًا فالأول هو الذي يسمى في الشرع وفي كلام العقلاء العقل المستفاد وفي النحو المعرفة ويتعدى إلى مفعول واحد والثاني يسمى العلم دون المعرفة ويتعدى إلى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على أحدهما من حيث إن القصد إذا قيل علمت زيدًا منطلقًا إثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد. واعلم أن العقل والعلم بقياس أحدهما إلى الآخر على ثلاثة أوجه أحدها عقل ليس بعلم وهو العقل الغريزي والثاني علم ليس بعقل وهو المتعدي إلى مفعولين والثالث عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي يقال له المعرفة ولا يصح أن يتعدى العقل إلى مفعولين فيقال عقلت زيدًا منطلقًا كما يقال في علمت لكون العقل موضوعًا للعلم البسيط دون المركب وسمي عقلًا من حيث إنه مانع لصاحبه أن يقع أفعاله على غير نظام وسمي علمًا من حيث إنه علامة على الشيء وهذا إذا اعتبر حقيقته ما بينه من اللغة العربية. وأما الفرق بين العلم البسيط أعني المتعدي إلى مفعول واحد وبين المعرفة فهو أن المعرفة قد يقال فيما يدرك آثاره وإن لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال إلا فيما أدرك ذاته ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله لما كان معرفته ليست إلا معرفة آثاره دون معرفة ذاته وأيضًا فالمعرفة يقال فيما لا يعرف إلا كونه موجودًا فقط والعلم أصله أن يقال فيما يعرف

وجوده وجنسه وكيفيته وعلته ولهذا يقال الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر وأيضًا فالمعرفة يقال فيما يتوصل إليه بتفكر وتدبر والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره ويضاد المعرفة الإنكار والعلم الجهل. وأما الدراية فالمعرفة المدركة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمة وإجالة الخاطر واستعمال الروية وأصله من دريت الصيد والدرية لما يتعلم عليه الطعن وللناقة التي يسيبها الصائد ليأنس الصيد بها فيرمي من ورائها والمدرى لما يصلح به الشعر ولقرن الشاة ولا يصح أن يوصف الباري تعالى بذلك لأن معنى الحيل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع فيتبع وقول الشاعر: لاهم لا أدري وأنت الداري، من تعجرف أجلاف العرب. وأما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري وفي العمل أكثر استعمالًا منه في العلم وإن كان العمل لا يكون محكمًا من دون العلم به ومنها قيل حكم العدل أحكامًا وحكم بكذا أحكامًا والحكمة من الله إظهار الفضائل المعقولة والمحسوسة ومن العباد معرفته ذلك بقدر طاقة البشر وقد حدت الحكمة بألفاظ مختلفة على نظرات مختلفة فقيل هي معرفة الأشياء الموجودة بحقائقها وتعني كليات الأشياء فأما جزئياتها فلا سبيل للبشر إلى الإحاطة بها وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعلم وقيل إماتة الشهوات على ما يجب وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعمل وقيل هي غاية المراد من الإنسان وقيل هي الاقتداء بالخالق في السياسة بقدر طاقة البشر وذلك بأن يجتهد أن ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه وبنحو هذا العقل يقرب العبد من خالقه في الدنيا ونسبة العلوم إلى الحكمة من وجه كنسبة الأعضاء إلى البدن في كونها أبعاضًا لها ومن وجه كنسبة المرؤوس إلى الرئيس في كونها مستنبتة لعلمها ومن وجه كنسبة الأولاد إلى الأم

في كونها متولدة لها وسمي في تعارف الشرع اسم للعلوم العقلية التي المدرك بها العقل وقد أورد ذكرها في عامة القرآن مع الكتاب فجعل الكتاب اسما لما لا يدرك إلا من جهة النبوات والحكم لما يحصل من جهة العقل وجلاهما لمن له أدنى نظر إذ كان أنزلهما الله تعالى فقد يكون مختلفا وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما إلى الآخر فقيل لولا الكتاب لأصبح العقل حائرا ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل الكتاب بمنزلة البذر والحكمة بمنزلة الميزان ولا يعرف المقادير إلا بها ولذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله تعالى الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ولا يبلغ الحكمة إلا أحد رجلين إما مهذب في نفسه موفوع فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر وإما إلهي يصطفيه الله فيفتح عليه أبواب الحكمة فيفيض إليه ويلقي إليه من لدنه ما يبلغه فيبلغه ذروة السعادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

باب توابع العقل

العقل المشترك في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة وقد تقدم ذكرهن ويحصل عنها أيضا الذكاء والذهن والفطنة والفهم وجودة الخاطر وجودة الوهم والتخيل والبديهة والخبر والكيس وإصابة الظن والفراسة والزكانة والكهانة والعرافة والإلهام ودقة النظر والظن والرأي والذهن وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة فأما الذكاء فالمضاء في الأمر وسرعة القطع بالحق وأصله من ذكت النار وذكا الريح وشاة مذكاة مدرك ذبحها بحدة السكين وذكي الرجل ثم منه قيل الذكاء لكن لما كان أكثر ما يوجد ذلك في من سنه صار يعبر به عن تمام السن ومنه قيل جري المذكيات غلاب وأما الذهن فقوة الذكاء لكن قالة إدراك ما يقع فيه التنازع وأما الفطنة فسرعة إدراك ما يقصد إشكاله

ولهذا المكثر في استنباط الأحاجي والرموز وأما الفهم فهيئة للعقل بها يعرف معنى الشيء فهما لم يتحققه عقلا وقد يسمى الفهم عقلا إذ كان مرتبته دون مرتبة العقل وفوق الفهم إذ يدرك الأشياء الجزئية والعقل يدرك كلياتها ومعنى ذلك أن العقل يعرف أن العدل لا يحسنه والظلم قبيح والفهم يميز بين كل واحد من الفعل هل هو عدل أو ظلم وقد يوصف بالفهم من لا يوصف بالعقل كالحاذق في لعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فإنه يوصف بالفهم وأما الخاطر فحركة الفهم نحو الشيء فقيل خطر الشيء ببالي ولا يقال خطر إلى الشيء فيجوز أن يكون ذلك من المقلوب كقولهم عيش ناصب وقد قيل في قولهم عقلت المعنى وأحسست أنهما من المقلوب لأن الشيء هو المؤثر في الحاسة والعقل لا أنهما فيه وأما الوهم فانقياد النفس لقبول أثر ما يرد عليها من قولهم جمل وهم وطريق وهم وأما الوهم فإنه وبين الخاطر أن الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس والوهم لا يقال إلا فيما تقبله وأما الخيال فنحو الوهم لكن يقال اعتبارا بما يكون من جهة الحاسة ومنها الصورة ما يتمثل وضده يسمى الطيف الوارد من صورة المحبوب حيث لا يرى والخيال قد يقال لما كان الصورة في المنام وفي اليقظة والطيف لا يقال إلا فيما كان في حال النوم ولهذا أضيف الطيف إلى الخيال لما كان ذلك من جهته قال الشاعر نعم فأدرك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

فالبديهة وأما البديهة فمعرفة ثاقبة تجيء بلا فكر ولا قصد فالبديهة في المعرفة كالبديع في الفعل وأما الروية فما كان من المعرفة بعد فكر كثير وهو من روى وأما الكيس فالقدرة على جودة استنباط ما هو أصلح في بلوغ الخير ولهذا ما علمه الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث إن الخير يصل إليه الإنسان أفضل ما بعد الموت وقول العرب أكيس من قشة على وجه

قشة

الارض لتعفرها بصوفة الكبش لانها ذات كيس في الحمقة وكاس في مشيته اى اظهر الكيس
في مشيه برفع احدى رجليه وتسميتهم الغادر كيسان اما على طريق التهكم او تنبيها ان
الغادر يعد ذلك كيسا او كان كيسان في الاصل اسما لغادر ثم سمي كل غادر كيسان
كتسميتهم كل حداد ابا جاد واما الخبر فهو يتوصل اليها من قولهم خبرته اى اصبت خبره وقيل
هو من قولهم ناقة خبرة اى غزيرة اللبن فكان الخبر هو غزارة المعرفة ويجوز ان يكون قولهم ناقة
خبرة هي المخبرة عن غزارتها كقولهم ناقة ناجية واما الظن فاصابة المطلوب بضرب من
الامارة ولما كانت الامارات مترددة بين يقين وشك فتقرب تارة من طرف اليقين وتارة من
طرف الشك صار تفسير اهل اللغة لها متى كان من طرف اليقين اقرب استعمل معه ان المثقلة
والمخففة منها كقوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وظنوا انه واقع بهم ومتى
كان من طرف الشك اقرب استعمل معه ان التي للمعدوم من الفعل نحو ظننت ان تخرج وان للمعدوم من خ
خرجت وانما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم لامرين
احدهما تنبيه ان علم اكثر الناس في الدنيا بالاضافة الى علمه في الآخرة كالظن في جنب العلم
والثاني ان العلم الحقيقي في الدنيا لايكاد يحصل الا للنبيين والصديقين المعنيين بقوله تعالى
الذين آمنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا والظن متى كان عن امارة قوية فانه يمدح به ومتى كان عن
تخمين لم يعتمد ذم به كقوله تعالى ان بعض الظن اثم واما الفراسة فالاستدلال بهيئات
الانسان واشكاله والوانه واحواله واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله وربما يقال هي
صناعة صيادة لمعرفة اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ان في ذلك

لآيات للمتوسمين وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم وقوله عز وجل ولتعرفنهم في لحن القول ولفظها
من قولهم فرس السبع الشاة فكان الفراسة اختلاس المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان
عن خاطر لا يعرف سببه وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واياه عنى النبي عليه السلام بقوله
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهو الذي يسمى صاحبه المروع والمحدث وقال
عليه السلام ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمر وقيل في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
الآية انه كان وحيا هو القاء في الروع وذلك كقوله للانبياء كقوله تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك وقد يكون بالالهام في حال اليقظة وقد يكون في حال المنام ولاجل ذلك قال عليه السلام الرؤيا
الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والضرب الثاني من الفراسة يكون بصناعة
متعلمة وهي معرفة ما بين الالوان والاشكال وما بين الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية
ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب قوي الفراسة وقد عمل في ذلك كتب من تتبع الصحيح منها اطلع
على صدق مضمونها والفراسة ضرب من الظن وقيل بعض محصلة الصوفية عن الفرق بينهما
فقال الظن بتقلب القلب والفراسة نور الرب فالاول من قوي فيه نور الروح المذكور في قوله
تعالى ونفخت فيه من روحي كان ممن وصفه بقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه وكان ذلك النور شاهدا منه اصابه فيما حكم به ومن الفراسة ما علمه الله في
الملا الاعلى ان امرها التبيين لحكم الله ومن الفراسة علم الرؤيا وقد عظم الله تعالى امرها في
جميع كتبه المنزلة وقال تعالى لنبيه عليه السلام وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
وقال تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم وقال تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام

يا بنيّ اني ارى في المنام اني اذبحك وقال عز من قائل حكاية عن يوسف عليه السلام يا ابت اني
رايت احد عشر كوكبا الاية والرؤيا هي فعل النفس الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد
هذه القوة في الانسان فائدة والله تعالى يتعالى عن الباطل وهي ضربان ضرب وهو الاكثر اضغاث
احلام واحاديث النفس من الخواطر الردية لكون النفس في تلك الاحوال كالماء المتموج الذي لا يقبل
صورة وضرب وهو الاقل صحيح وذلك قسمان قسم لا يحتاج الى تاويل وقسم يحتاج الى تاويل ولهذا
يحتاج المعبر الى مهارة للفرق بين الاضغاث وغيرها وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية
ويفرق بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا يصح رؤياه ومنهم من يصح رؤياه ثم من يصح له ذلك منهم
من يرشح لان يلقى اليه في المنام امر الاشيا العظيمة الخطيرة ومنهم من لا يرشح لذلك ولهذا قال اليونانيون
يجب للمعبر ان يشتغل بعبارة رؤيا الملوك والحكما دون الطغام وذلك ان له حظا من النبوة وقد
قال عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا العلم يحتاج الى
مناسبة بينه وبين متعاطيه فرب حكيم لا يرزق حذقا فيه ورب نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم
يوجد له قوة عجيبة فيه واما الزكانة فضرب من الفراسة وهي معرفة فعل باطن بفعل ظاهر
بضرب من التوهم وقد ذكرت ذلك والقيافة ضرب من الزكانة لكنه ادق وهي ضربان
احدهما تتبع اثار الاقدام والاستدلال بها على السالك والثاني الاستدلال بهيئة الانسان وشكله
على نسبه وخص بالقيافة من العرب بنو مدلج وبنو لهب وقد قيل ذلك لمناسبة طبيعية لا بتعلم ان
ولا يتكلم بها في الشرع قال بعض الحكما خص الله تعالى العرب بذلك ليكون سببا لارتداع نسائهم
عما يورث شوب نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم صيانة للسنة النبوية

ولكون ذلك شرفا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا فنسب ذلك الى نفسه تعالى وجعلناكم وخص العرب بذلك فقطع
لصحة نسبهم دون غيرهم من الناس وقال لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا بمعرفة اصله
واما الكهانة والعرافة فان الكهانة مختصة بالامور المستقبلة والعرافة مختصة بالامور
الماضية وكان ذلك في العرب كثيرا واخر من وجد وروي عنه الاخبار العجيبة سطيح الكاهن
وسواد بن قارب وقيل كان وجود ذلك في العرب احد اسباب معجزات النبي عليه السلام لانه كان يخبر
به وحث على اتباعه فنزع ذلك عنهم بعد النبوة حتى روي لا كهانة بعد النبوة وقال عليه السلام
من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما اتى به فقد كفر بما انزل على محمد تنبيها على انه قد رفع وما
يجري مجراهما التطير وهو تشاؤم الانسان بشيء يرى في المناظر والمسامع مما تنفر منه النفس
مما ليس بطبيعي فاما نفارها مما هو طبيعي في الانسان كنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار فلا يعد
من هذا وانما اشتقاقه من الطير واصله في زجر الطير وما سواه يلحق به وعلى ذلك قول الشاعر
وما انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام ترنم طائر ثم كثر في غيره قال الله تعالى
حكاية قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله اي السبب الذي يسعدكم ويشقيكم
عند الله تعالى وقال تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله
ويسمى عمل الانسان الذي يعاقب عليه طائرا قال تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
والتطير اجالة الخواطر بحر الراي لادراك المصير اياه وللقلب عجز كما ان للبدن عيا
فمن صحت عزيمته واعانه الله تعالى اطلع على حقائق الاشياء بحل العالم العلوي ويقول اللهم
ادراكهم

فيه كما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكون الاطلاع عليه قال علي رضي الله عنه
لو كشف الغطا ما ازددت يقينا والراي اجالة الخاطر في روية ما يريده وقد يقال للقضية
التي يشرع فيها الراي راي والراي للفكر كالآلة للصانع التي لا يستغني عنها ولا يكون الا في الامور
الممكنة دون الواجبة والممتنعة ويكون من جملة الممكنات فيما يكون انسانا الطبيعة لا يجيل رايه نفس
البر انما يجيله في كيفية الوصول اليه ويحتاج الراي الى اربعة اشيا اثنان من جهة الزمان
في التقديم والتاخير احدهما ان يبعد النظر فيما يرتئيه ولا يعجل امضاه حتى يتعقب فقد قيل اياك
والراي الفطير وقيل دع الراي يغب واكثر من يستعجل ذلك ذووا النفوس الشهوية والامزجة
الحارة والثاني ان لا يدافع به بعد احكامه فقد قيل الروية تحزم فاذا استوضحت فاعزم وقيل
احزم الناس من اذا وضح له الامر صدع فيه وقال تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله واكثر من
يدافع بذلك ذووا النفوس المهينة والامزجة الباردة واثنان من جهة الناس احدهما ترك
الاستبداد بالراي فالاستبداد بالراي من فعل المعجب بنفسه وقيل الاحمق من قطعه العجب
عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة والثاني ان يتخير من يشاوره

فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب

ومن ذلك امر بعد الاحتراز من
هذه الاربعة فقد احكم تدبيره فان لم ينجح عمله لم تلحقه مذمة ولما المدح فنجاح الراي لكن يقال
اذا استعمل في النظر في عواقب الامور اشجع فيقتضي ذلك انه يامل دبر الامور وعليه حث الشاعر
بقوله ومن ترك العواقب مهملات فايسر سعيه ابدا تبار وأما الفكر فقوة

روية

صدع فيه قال تعالى فاصدع بما تؤمر

مطرقة للعلم الى المعلوم وهو تخيل عقلي موجود في الانسان والتفكر جولان تلك القوة
من الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر وربما ضل الفكر ولخطا ضلال اللب
وخطاه ولا التفكر لا يكون الا فيما له ماهية مما يصح ان يجعل له صورة في القلب مفهومة ولاجل
ذلك قال عليه السلم تفكروا في آلا الله ولا تفكروا في الله وقال تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات
والارض وقال تعالى يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وسئل بعض الحكما عن الفكر
والعبرة فقال الفكر ان يجعل الغائب حاضرا والعبرة ان يجعل الحاضر غائبا واما الذكر
فوجود الشي في القلب او في اللسان وذلك ان للشي اربع وجودات وجوده في ذاته
ووجوده في قلب الانسان ووجوده في لفظه ووجوده في كتابته فوجوده في ذاته هو سبب
لوجوده في قلب الانسان ووجوده في قلبه سبب لوجوده في لسانه ولوجوده في كتابته ويقال
للوجودين اي الوجود في القلب والوجود في اللسان الذكر ولا اعتداد بذكر اللسان ما
لم يكن ذلك عن ذكر القلب بل لا يكون ذلك ذكرا والذكر بالقلب ضربان احدهما استعادة
ما قد استثبته القلب فانمحى عنه بنسيان او غفلة وهذا نوع الحقيقة التذكر والثاني
ثبات وجود الشي في القلب من غير نسيان او غفلة وذكر الله تعالى على النحو الاول عزيز يتفق عند الاوليا
وانما يحمد اذا كان على النحو الثاني فاعلم ان ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة
والاجلال وتارة لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن وتارة لفضله ورحمته فيتولد منه
الرجا وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر ولذلك قيل ذكر النعم شكرها وتارة لافعاله الباهرة
فيتولد منه العبر فحق المؤمن ان لا ينفك ابدا من ذكره على احد هذه الاوجه وعليها دل قوله تعالى

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله
الاية اي يذكرون الله على كل حال لان الانسان لا ينفك من هذه الاوجه الثلثة ان قيل ما حقيقة
ذكر الله عند ابتداء الاعمال حتى قال عليه السلم كل امر ذي بال لا يبدا فيه بحمد الله فهو ابتر قيل تنبيه — ذكر الله
بذلك ان الامور كلها يجب ان يقصد بها وجه الله وان كل امر لا يقصد فيه ذلك فهو ناقص وشرع ذكره
باللسان ليكون سببا لتذكر فيتحرى بفعله وجه الله تعالى والعمل لما يقتضي رضاه وعلى ذلك قوله تعالى
واذكر ربك اذا نسيت اي اذا اعرض لك نسيان لما تذكر فاذكره يتذكر به انه مطلع عليك ولهذا قال
عليه السلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما الحفظ فالمواظبة على مراعاة الشيء — فالمحافظة ح
وقلة الغفلة عنه ومنه محافظة الحرم حتى قيل للغضب المعتمي لذلك حفيظة ويقال لثبات صورة الشيء
في القلب حفظ ويقال للقوة الحافظة ايضا حفظ ويقال رجل جيد الحفظ اي القوة الحافظة والحفظ للنفس
من وجه يجري مجرى الخزانة للملك يضع فيها الذخاير الى وقت الحاجة ومن وجه جار مجرى الكاتب الذي
يكتب فيه الشيء ليرجع اليه فيتذكر به والناس مختلفون فيه بحسب امزجتهم فمنهم من قوى الله تعالى
ذلك منه كما جعله تعالى لنبيه عليه السلم ولذلك كان مع كونه اميا شرع له اذ كان له من الحفظ ما يغنيه
عن الاستعانة بالكتابة ولهذا قال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فضمن
ان يحفظه عليه بما جعل له من القوة الالهية وروي انه لما نزل قوله تعالى وتعيها اذن
واعية قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه سالت الله ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك شيا
الا وعاه ومن الناس من يسرع اليه النسيان فما يسمعه يكون كالخط يكتب في بسيط الماء واما
البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ والاصابة في تاليفها وتقليلها وتحري الصدق فيها

ولا يكون الكلام تام البلاغة ما لم يجمع هذه المعاني فانه متى قبح اللفظ او قبح التاليف او كان
اكثر مما يجب او اقل مما يجب او لم يطابق اللفظ المعنى اما حقيقة او استعارة رائعة او كان
به خ — المعنى محالا او كذبا خرج الكلام بقدر ما اختل منه عن باب البلاغة وقد وصفت البلاغة باوصاف
مختلفة بحسب انظار مختلفة فقال بعضهم البلاغة هي الايجاز من غير عجز والاطناب في غير خطل وقيل
فساد خ — ما فهمته العامة ورضيته الخاصة وقيل ما اجباره فما شدا الى غير ذلك من الاوصاف واما
الفصاحة فاشتقاقها من فصح اللبن اذا خلص من اللبا وهي الاصابة في اللفظ وفي الايتلاف دون
اعتبار الصدق وصواب المعنى وكل كلام حسن اللفظ حسن المعنى جيد التركيب فهو موصوف بالفصاحة
صدقا كان ام كذبا فالبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون المعنى

باب ثمرة العقل من معرفة الله تعالى الضرورية والمكتسبة

وغاية ما يبلغه الانسان من ذلك   اشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته والكف
عن معصيته وعلى ذلك دل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم العقل ثلثة اجزا جزء معرفة الله تعالى
وجزء طاعته وجزء الصبر عن معصيته وقال عليه السلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته
الحيا وماله الفقه وثمرته العلم فمعرفة الله العامية مركوزة في النفوس وهي معرفة كل احد انه
مفعول وان له فاعلا فعله ونقله في الاحوال المختلفة واليه اشار بقوله تعالى فطرة الله التي
فطر الناس عليها وبقوله تعالى صبغة الله وبقوله عز وجل واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم الاية فهذا القدر من المعرفة في نفس كل احد ويتنبه العاقل اذا نبه عليه فيعرفه كالعرف
انه موسسا ولغيره فذلك الغير حسا وله ومن هذا الوجه قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات

والارض ليقولن الله وقال في مخاطبة المؤمنين والكافرين وإذا مسّكم الضر فإليه تجأرون
وقال بعده ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون وأما معرفة الله المكتسبة
فمعرفة توحيده وصفاته وما يجب أن يثبت له من الصفات وما يجب أن ينفى عنه وهذه المعرفة هي
التي دعت إليها الأنبياء عليهم السلام وحثّ عليها ولهذا قال لكلّهم قولوا لا إله إلا الله ولم يدع لكلّهم
أحدا إلى معرفة الله تعالى بل دعا إلى توحيده وهذه المعرفة أعني المكتسبة على ثلاث أضرب ضرب
لا يكاد يدركه إلا نبي وصدّيق وشهيد ومن داناهم وذلك معرفة بالنور الإلهي من حيث لا تعتري
فيه شك بوجه كما قال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وضرب مدركه
غلبة الظن أعني الظن الذي يفسّره أهل اللغة باليقين كما قال تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم
وضرب يدرك بخيالات ومُثُل وتقليدات وإياه عنى تعالى بقوله وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون
فالأول يجري مجرى إدراك الشيء من قرب ولهذا قال تعالى في وصفهم إن في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والثاني يجري مجرى إدراك الشيء من بعيد وقد تعتري فيه شبهة لكن
يزول بأدنى تأمل كما قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا الآية والثالث
يجري مجرى من يرى الشيء من وراء ستر من بعيد فلا ينفك من شبهات كما أخبر تعالى عمن هذه حاله
بقوله إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ولأجل صعوبة معرفة الله تعالى على الحقيقة حتى يتخلص
الإنسان من آفات الشرك قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وقال قل إني أمرت
أن أعبد الله مخلصا له الدين وقال قل الله أعبد مخلصا له ديني وقال عليه السلام من قال لا إله إلا الله
مخلصا دخل الجنة وغاية معرفة الإنسان ربه أن يعرف أجناس الموجودات جواهرها

وأعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف أثر الصنعة فيها وأنها محدثة وأن محدثها ليس
إياها ولا مثلا لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه تعالى
وبهذا النظر قال أبو بكر رضي الله عنه سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن
معرفته بل لهذا قال عليه السلام تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ولما كان معرفة العالم كله يصعب
على الإنسان الواحد لقصور أفهام بعضهم عنها واشتغال البعض بالضروريات التي يعوقهم عنها
جعل تعالى لكل إنسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم
الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر
والسفر والليل والنهار فإن نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي
هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه ويتسع فهمه وإلا فله مقنع بالمختصر الذي معه ولهذا
قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون ولشرف منزلة ذلك قال تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض وما خلق الله من شيء وقال تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله الآية فنبّه على أنهم حيث قالوا ربنا ما خلقت
هذا باطلا أنهم عرفوا الغرض المقصود بخلقه وذلك هو آخر الأبحاث لأن الأبحاث أربعة بحث
عن وجود الشيء هل هو وبحث عن جنسه ما هو وبحث عما يتميز به عن غيره أي شيء هو وبحث عن الغرض
لم هو وهذه الأبحاث يبنى بعضها على بعض لا يصح معرفة الثاني إلا بمعرفة الأول ولا معرفة الثالث
إلا بمعرفة الثاني ولا معرفة الرابع إلا بالثالث وقولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا يقتضي أنهم عرفوا الأبحاث
الأربعة وإلا شهدوا بما لم يتحققوا ومن شهد بما لا يتحقق كذب وإن كان قد شهد بمثل ما شهد به

الا ترى ان الله تعالى كذّب المنافقين حيث قالوا انك لرسول الله وان كان هو رسوله فدلت
هذه الآية على ان البحث الذي يؤدي الى معرفة حقائق الموجودات التي تثمر معرفة البارى تعالى
من العلوم الشريفة بخلاف قول الصم البكم الذين لم يجعل الله لهم نورا حيث بدّعوا من اشتغل
بمعرفة ذكره

باب وجوب بعثة الانبيا وقلة الاستغنا

عنهم بعثة الانبيا عليهم السلم الى الناس من الضرورات التي لا بد لهم منها وذلك ان جل الناس
نقص عن معرفة منافعهم ومضارهم الاخروية جزئياتها وكلياتها وبعضهم وان كان لهم سبيل الى نقص
معرفة كليات ذلك على سبيل الجملة فلا سبيل لهم الى معرفة جزئياتها ولا يمكنهم ان يعرفوا كيف يجب
ومتى يجب وكم يجب فلما كان كذلك منّ الله تعالى على كافة عباده خاصهم وعامهم بان
بعث فيهم من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكي اذا تمسكوا به اصلح
معادهم ومعاشهم وسهل عليهم ادراكهم ولهذا ازاح تعالى عللهم ببعثة الانبيا عليهم السلم فقال
عز من قائل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

باب ما تعرف به صحة النبوة

لكل نبي آيتان احدهما عقلية يعرفها اولوا البصائر من المؤمنين والشهدا ومن يجري مجراهم
والثانية حسية يدركها اولوا الابصار من العامة فالاولى لهم من اصولهم الزكية
وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلايلهم المتقدمة عليهم والمستفيضة وانوارهم
الساطعة التي لا تخفى على اولى البصاير كما قال في مدح النبي عليه السلم
لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبر وذلك انه حق النبي ان يكون من اكرم بداهته
تربة في العالم حيث يكون عقل اربابها اوفر ولهذا لم يبعث نبي من الاطراف التي تضعف عقول

اصحابها ويجب ان يكون من عنصر كريم من بيت الفضل ولهذا قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم الآية فنبّه تعالى بقوله بعضها من بعض انه جعلت النبوة في اهل بيت واحد ولا
يخرج عنهم لكونهم اشرف ويجب ان يكون عليه انوار يتوقف من رآها واخلاق يتملك من ابتلاها
كما قال تعالى لموسى عليه السلم والقيت عليك محبة مني وقال للنبي عليه السلم وانك لعلى خلق عظيم
ويجب ان يكون كلامه ذا حجة وبيان يشفي سامعه اذ كان متخصصا بنور العقل ولذلك قال تعالى اذا
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب الآية وهذه الاحوال اذا تمكنت
لا يحتاج ذو البصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الانسان من الملائكة فيما يخبرونه به
حجة ولهذا لما عرض النبي صلى الله عليه سلم على ابي بكر رضي الله عنه الاسلام تلقاه بالقبول حتى قال
عليه السلم ما احد عرضت عليه الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم فيه واما
الثانية فهي المعجزة التي يدركها الخواص من الانبيا وذلك ما طلبه احد رجلين اما ناقص عن الفرق
بين الكلام الالهي والكلام البشري وعن ادراك ساير ما تقدم ذكره فيحتاج الى ما يدركه
حسه لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص من نقصه هو معاند وقصده ابطاله بالعناد كما
قال تعالى حكاية عن الكفار وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات الى قوله
بشرا رسولا

باب كون العقل والرسول هاديين

للخلق الى الحق لله عز وجل رسولان الى خلايقه احدهما من الباطن وهو العقل والثاني من
الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد الى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع
بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ولولاه لما كان تلزم الحجة بقوله ولهذا احال الله تعالى

من تشكك في وحدانيته وصحة نبوة انبيائه على العقل وامره بان يفزع اليه في معرفتهما فالعقل
قائد والدين مسدد ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لاصبح العقل حائرا واجتماعهما
كما قال عز وجل نور على نور **باب** تعذر ادراك العلوم
النبوية على من لم يتهذب في العلوم العقلية. المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للصحة
والشرعيات تجري مجرى الاغذية الحافظة للصحة وكما ان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بالاغذية
بل يستضر بها كذلك من كان مريض النفس كما قال تعالى في قلوبهم مرض لم ينتفع بسماع القران الذي
هو منبع الشرعيات بل صار ذلك ضارا له مضرة الغذاء للمريض على ما قال تعالى واذا ما انزلت موضع
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الايتين وايضا فالقلب بمنزلة المزرعة للمعتقدات
والاعتقاد منه بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا وكلام الله تعالى بمنزلة الماء الذي تسقيه ولذلك
سماه ماء على ما تقدم ذكره فكما ان الماء اذا سقي الارض يختلف نباته بحسب اختلاف بذوره
كذلك القران اذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب يختلف تاثيراته والى ذلك اشار
بقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان الاية وقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه الاية وايضا فالجهل بالمعقولات
جار مجرى سنة تجري على البصر وغشاوة على القلب ووقر في الاذن والقران لا يدرك حقائقه
الا من كشف غطاؤه ورفع غشاوته وازيل وقره ولذلك قال تعالى واذا قرات القران جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية وايضا فالمعقولات
كالحيوة التي بها الابصار والاسماع والقران كالمدرك بالبصر والسمع وكما انه من المحال ان يسمع الميت

قبل ان يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر كذلك من المحال ان يدرك من لم يحصل
المعقول حقائق الشرعيات ولهذا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى الى قوله الا من يؤمن
باياتنا فهم مسلمون يعني ايات السموات والارض وغيرهما **باب**
الايمان والاسلام والبر والتقوى. الايمان هو الاذعان للحق على سبيل التصديق له باليقين
ولهذا وصف تعالى العلم والايمان بوصف واحد فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ووجل القلب هو الخشية للحق على سبيل التصديق
له باليقين هذا اصل الايمان لكن صار اسما لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالاسلام وصح ان يطلق
المنسوب على من يظهر ذلك وان لم يختص به اعتقادا عن يقين وثلج صدر كاليهودي في ان اصله للمنسوب
الى يهود والنصراني في ان اصله للمنسوب الى نصران ومعناهما ثم صار اسما للمختصين
بالشريعتين على ان اشتقاق الايمان لا يمنع من ان يطلق على من يظهره فان معنى المؤمن من
صار ذا امن باظهار الشهادتين من الانسان من ان يراق دمه او يباح ماله في الحكم
ولهذا قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وروي شهادة ان لا اله الا الله كلمة جعلها الله سببا فمن قالها من قلبه
فهو مؤمن ومن قالها بلسانه ولم يكن في قلبه كان له ما لنا وعليه ما علينا وحسابه على الله وذلك
انه لا اطلاع على القلوب الا للخالق عز وجل والشريعة واردة بان يطلق اسم الايمان على من
يظهر ذلك من نفسه من غير فحص عن باطنه ولا يتحاشى من اطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الايمان
بخلاف ما ادعاه بعض المعتزلة انه لا يصح اطلاق اسم المؤمن على الانسان ما لم يختبر في الاصول

الخمسة وسوف نقف منه على حقيقة ما عمل والاسلام هو الاستسلام لما يدعو اليه الشرع
من فعل ما يقتضي فعله والملة العود الى الطاعة والدين الانقياد له وهما لذات واحد
لكن الدين هو الطاعة يقال اعتبارا بفعل المدعو في انقياده الى الطاعة والملة من امللت
الكتاب يقال اعتبارا بفعل الداعي اليها والشارع لها ولكونهما لذات واحد قال تعالى
دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا فابدل الملة من الدين والدين اعم من الاسلام انه يتناول الحق
والباطل والاسلام لا يتناول الا في الحق ولهذا قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والاحسان تحري الحسنى في الايمان والاسلام ولهذا
قال صلى الله عليه لما قيل له ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه والتقوى جعل النفس
في وقاية من سخط الله وذلك بقمع الهوى والبر السعة في العلم اي عمل الحق وفعل الخير
مشتقا من البر اي السعة من الارض وهو المعبر عنه بانشراح الصدر واطمئنان القلب
وقال عليه السلام البر ما سكنت اليه نفسك واطمان اليه قلبك والاثم ما حاك في نفسك وتردد
في صدرك فقال عليه السلام البر طمانينة والشكوكية ومن البر الجود ومن اجله جعل من الايمان والنشر
قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الاية والاخلاص ان يقصد الانسان
بما يفعله وجه الله تعالى متعريا عن الالتفات الى غيره ولذلك قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين ولقلة وجود ذلك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
ولما كان الايمان يقال اعتبارا بالعلم وهو متعلق بالقلب والاسلام بفعل الجوارح والتقوى
بقمع الهوى قال عليه السلام الاسلام علانية والايمان في القلب والتقوى ها هنا واشار الى صدره

لما كان الصدر مقر قوى الانسان من الفكر والشهوة والغضب ثم قال ولا يستقيم ايمان عبد حتى
يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال عليه السلام الايمان قايد والعمل سايق والنفس
حرون فان ابى قايدها لم يستقم لسايقها وان ابى سايقها لم تطع قايدها ولما كان الاسلام والايمان
والتقوى منازل بعد قال تعالى في الجنة اعدت للمتقين وفي موضع اخر وجنة عرضها كعرض السما والارض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله وقال تعالى ومن يسلم وجهه لله وهو محسن الايه

باب

اختلف في حقيقة الايمان هل هو الاعتقاد المجرد ام الاعتقاد والعمل معا واختلافهم بحسب اختلاف
نظرهم فمن قال هو الاعتقاد المجرد فنظر منه الى اشتقاق اللفظ والى انه قد فصل بينهما في عامة
القران فعطف العمل عليه كقوله عز قائل الذين امنوا وعملوا الصالحات ولان النبي عليه السلام فرق
بينهما في خبر جبريل حين سأله عن الاسلام وعن الايمان ففسر الاول بالاعمال والثاني بالاعتقاد ومن
قال هو الاعتقاد والعمل فلقوله عليه السلام الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وكذلك
اختلفوا هل يكون في الايمان زيادة ونقصان فقال قوم يكون فيه ذلك لقوله تعالى فاما الذين امنوا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقوله ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ومن خالفهم قال المعنى انه يزداد بغلبته على ضده وينقص بغلبة ضده عليه قالوا ان الايمان
لا يحصل الا بعد ان يكون غالبا على الكفر بلا ابطا حتى يقال انه يغلب عليه وكذلك اختلفوا في جواز
اطلاق اسم الايمان على من اقر بالشهادتين فقال بعضهم يجوز ذلك نظرا منه الى قول النبي عليه السلام
للجارية التي اتاه بها رجل اين الله فاشارت نحو السما وعن النبوة فاشارت اليه فقال اعتقها فانها
مؤمنة ولان الايمان ليس يتجزا له واحد ومن قال لا يجوز نظر الى قوله تعالى انما المومن

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ولما روي عنه عليه السلم من قال انا مومن فهو فاسق ومن قال انا
عالم فهو جاهل ان قيل ما معنى قول النبي عليه السلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن قيل الايمان
ذو منازل كما وصفه الله تعالى وانما يكون الانسان مومنا بلا مثنوية اذا استوعب منازله النبي عليه السلم
فتعرى من جميع الشرور وتخصص بجميع الخيرات على قدر طاقة البشر ومتى انخرم بعض ذلك خرج
هو عما هو كقولهم عشرة في كونه اسما لعدد مخصوص اذا اسقط بعضه سقط ذلك الاسم عنه
ومن شرط ذي الايمان الكامل ان لا يكون زانيا ولا سارقا

باب

معنى قوله عليه السلم الايمان بضع وسبعون بابا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الايمان بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن
الطريق وهذه لفظة من تاملها وعرف حقيقتها علم ان الايمان بالواجب اثنان وسبعون
درجة لا يصح ان يكون اكثر منها ولا اقل ولا يوجد ما هو خارج عنها بوجه وانه عليه السلم فيما يورده
كما وصفه الله تعالى بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى وبيان
ذلك ان الايمان اعتقاد واعمال فالاعتقاد على ثلث منازل اليقيني الذي لا يعتريه شبهة بوجه كما قال تعالى
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وظني وذلك ما كان عن امارة الهية قوية اعني بالظن
هاهنا ما يفسره اهل اللغة باليقين نحو قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وتقليدي
وذلك ما يعتقد عن راي اهل البصاير كما وصفه الله تعالى بقوله ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم الاية والاعمال ثلث عمارة الارض المعنية بقوله تعالى واستعمركم فيها
وعبادة الله المعنية بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وخلافته المعنية

بقوله ويستخلفكم في الارض وقوله اني جاعل في الارض خليفة وذلك بتحري مكارم الشريعة
فهذه ستة وكل واحد من هذه اما ان يتحراه الانسان عن رغبة او رهبة كما قال تعالى ويدعوننا
رغبا ورهبا او يتحراه عن الاخلاص بطوع واهتزاز نفس كما قال تعالى واخلصوا دينهم لله
فهذه اثنا عشر منزلة وكل واحد من هذه اما ان يكون الانسان في مبداها او في وسطها
او في منتهاها لان كل فضيلة ورذيلة للانسان فيها من هذه الاحوال الثلث ولهذا
قال تعالى في الفضيلة ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا الاية
وقال في الرذيلة ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا الاية فجعل منازل الايمان ومنازل الكفر
ثلثة كما ترى فهذه اثنا عشر في ثلثة تكون ستة وثلثين وكل واحد من هذه الستة والثلثين
اما ان يتوصل الانسان اليه من طريق الاجتبا او من طريق الهداية فالاجتبا للانبيا ومن
يليهم من الاوليا وهو ايثار الله بعض عباده بفيض الهي ياتيهم عنه الحكمة بلا سعي منهم وعلى هذا
قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك وقوله تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشا والاهتدا
للحكما والعلما وهو توفيق الله العبد لطلب بسعيه وجهده الحكمة فتحصل له منها بقدر ما يتحمل
من المشقة واياهما عنى بقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب وقوله عز وجل
ومن هدينا واجتبينا فهذه اثنان وسبعون درجة لا يمكن الزيادة عليها ولا النقصان منها
وكل ما ورد من الاخبار فليس بخارج منها والله الموفق فاما هو من جملة العبادة قوله عليه السلم
الوضو نصف الايمان وقوله عليه السلم الايمان الصلوة من فرغ لها قلبه واقامها بحدودها
ومواقيتها وسننها وما هو من مكارم الشريعة قوله عليه السلم الحيا من الايمان وقال خصلتان لا يجتمعان

في مؤمن الشيح والايمان وقوله عليه السلام ثلث من جمعهن فقد جمع الايمان الانفاق من الاقتار
والانصاف للمومن من نفسه وبذل السلام وقوله عليه السلام اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا
والطفهم باهله وقوله عليه السلام لاناس من اصحابه ما ايمانكم قالوا نصبر على البلا ونشكر في
الرخا ونرضى بالقضا فقال عليه السلام مومنون ورب الكعبة ○ **باب**
في انواع الجهل الانسان في الجهل على اربعة منازل الاول من لا يعتقد اعتقادا لا صالحا
ولا طالحا وامره في ارشاده سهل اذا كان له طبع فانه كلوح ابيض لم يشغله نقش وكارض
بيضا لم يلق فيها بذر ويقال له باعتبار العلم النظري غفل وباعتبار العلم العملي غمر
ويقال له سليم الصدر الثاني معتقد لراي فاسد لكنه لم ينشا ولم يترب عليه ويستنزله
عنه سهل وان كان اصعب من الاول فانه كلوح يحتاج فيه الى حك وكتابة وارض
يحتاج الى قلع وزراعة ويقال له غاو وضال والثالث معتقد لراي فاسد قد تقرر
ان ذلك قد نزل له محبة وركن اليه بجهله وضعف بصيرته فهو ممن وصفه الله تعالى بقوله
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الايه فهذا ذو دا عيا يا طبيبا فلا سبيل الى
تنبيهه وتهذيبه كما قيل للحكيم تعظ شيخا جاهلا ما تصنع فقال اغسل مسحا لعله يبيض
والرابع معتقد اعتقادا فاسدا عرف فساده او يمكن من معرفته لكنه اكتسب
دنية لراسه وكسبا لما سنه فهو يحامي عليها فيجادل بالباطل ليدحض به الحق ويذم اهل
العلم ليجر الى نفسه الخلق ويقال له فاسق ومنافق وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر
في نحو قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله الايه وقوله تعالى والذين

لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون فنبه تعالى انهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه
لمعرفتهم ببطلانه لكن يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال ابليس في الاباء عن السجود لادم
عليه السلام الجنون هو عارض يغمر العقل والحمق قلة التنبه لطريق الحق وكلاهما
يكونان خلقة تارة وعارضا تارة وقد يعظم الحمق حالما يعظم الجنون وقد صدق الشاعر في قوله
لكل دا دوا يستطب له الا الحماقة اعيت من يداويها   وقد حكيت حكاية وهي وان
لم تصح فانها تمح ذكر ما روي ان عيسى عليه السلام اتي باحمق ليداويه فقال اعياني مداواة الاحمق
ولم يعيني مداواة الاكمه والابرص ومما يعرف بينهما ان المجنون يكون غرضه الذي يريده ويقصده
فاسدا وسلوكه الى غرضه صوابا والاحمق يكون غرضه الذي يريده صحيحا وسلوكه اليه خطا
ولهذا يعرف المجنون اذا تبينت ارادته قبل سلوكه الى مراده والاحمق يعرف مراده بل يعرف
سلوكه ولهذا متى صح ارادة المجنون صح فعله حتى يتعجب كثير من فعله انه صواب والاحمق
لا يكاد يصيب في شي من مسالكه واما البله فقلة التنبه على الامور الدنيوية ويقابله
الكيس وقد تقدم ان البله والكيس يقالان تارة باعتبار الامور الدنيوية وتارة بالامور
الاخروية فمتى كان في احدهما كيسا كان في الاخرى ابله وقال ابو بكر رضي الله عنه الكيس
الكيس التقي واحمق الحمق الفجور واما الرقيع فالذي يلصق بقلبه كل محال كانه رقع بذلك
والارعن الذي ياتي بما يخرج عن الصواب تشبيها برعن الجبل وهو الحد الناتي منه والاحمق
الناقص العقل العملي من قولهم احمقت السوق اي نفقت والغمارة قلة التنبه في الامور العملية
مع تحصيل علم وقد يكون الانسان غمرا في شي غير غمر في اخر والخرق يقال في الجاهل بالعلوم العملية

وذلك بأن يفعل أكثر ما يجب أو أقل على غير النظام المحمود وفساد كل عمل لا يعدو أحد هذه الوجوه
الثلاثة ومضادة الحذق والغي اتباع الهوى وترك ما تقتضيه العقل والضلال أن يقصد
اعتقاد الحق أو قول الصدق أو فعل الجميل فيظن لقصوره وسوء تصوره فيما كان باطلا أنه
حق فاعتقده أو فيما كان كذبا أنه صدق فقاله أو فيما كان قبيحا أنه جميل ففعله والجهل عام
في كل ذلك والخبث استعمال الدهاء في الأمور الدنيوية صغيرها وكبيرها والجربزة مثله ولكن
يقال فيما يسعى في أرباح الدنيه والدها مثله لكن يقال في الأمور العظام إذا أدرك غاياتها
ولهذا قالوا الدهاة في الإسلام أربعة فذكروا المتوجهين في الاحتيالات الدنيوية التي
بلغوا بها أمورا كبارا ومن الجهل الكفر وهو غطاء الإنسان للحق على سبيل المكابرة لا اسفر
وأصله ستر ما جعله الله للإنسان بفطرته وصبغته من المعارف بما يتعلمه ويتحراه من عناد
الحق ومن ترك النظر والإخلال بالتزكية للنفس المعنية بقوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب
من دساها

باب كون العلم مركوزا في نفوس الناس

نفس الإنسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة مجعولة لها بالقوة كالنار في الحجر والنخلة
في النواة والذهب في الحجارة وكالماء تحت الأرض لكن كان من الماء ما يجري بغير فعل البشر ومنه ما يعاين
تحت الأرض لكن لا يوصل إليه إلا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه إلى حفر
وتعب شديد فإن عني به أدرك وإلا بقي غير منتفع به كذا العلم في نفوس البشر منه ما يوجد من غير
تعلم بشري وذلك كحال الأنبياء عليهم السلام فإنه يفيض عليهم المعارف من جهة الملأ الأعلى ومنه ما يوجد
بأدنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده كحال عوام الناس ولكون العلم مركوزا في النفوس قال تعالى

وإذ أخذ ربك من بني آدم الآية فنبه أنهم أقروا بأن الله تعالى هو الذي يربهم ويغذيهم ويرزقهم
ويكلؤهم من الطفولية فهذا إقرار نفوسهم كلهم بما ركز في عقولهم فأما الإقرار باللسان فلم يحصل
من كلهم وكذلك المعنى بقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أي لئن اعتبرت أحوالهم لكانت
نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك وعلى ذلك فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الآية فبين أن
الدين الحنيف وهو المستقيم قد فطر الناس عليها أي خلقهم عالمين به وأن المعاندين وإن قصدوا
تبديله وإزالة الناس عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من
الله صبغة وقال الله تعالى فيمن قوي حسن الفطرة والصبغة أولئك كتب في قلوبهم الإيمان فسمى
ذلك كتابا وقول النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وهذه الشهادة المأخوذ عليهم
فالناس فيها ضربان ضرب أجالوا فكرهم وخواطرهم حتى أدركوا خفايا فيها فصاروا ممن
حمل شهادة فنسيها ثم تذكرها ولذلك قال في غير موضع لعلكم تذكرون وليتذكر أولوا الألباب
وضرب أهملوا أنفسهم ولم يشتغلوا بتذكر ما حملوا كما قال تعالى وإذا ذكروا لا يذكرون فهم
في الجهالة يتسكعون وعلى التذكر حث الله تعالى بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر أي يسرنا القرآن ليكون سببا للتذكر
أن ينتقلوا به إلى تذكر ما سبق من عهدكم وعقدكم والتذكر على ضربين الأول أن يكون باللسان
عن صورة ما حصل في القلب الثاني أن يكون بالقلب كصورة ما حصل عن شيء معهود إما بالبصر أو
بالبصيرة أو عن غيره من المشاعر والثالث أن يكون عن صورة ضمنه بالفطرة في الإنسان وهو
المشار إليه بهذه الآيات ومن هذا الوجه قال الحكماء المعلم ليس يجلب إلى الإنسان شيئا من خارج

في الحقيقة وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه بجلائه فمثله كمثل الحافر المستنبط
للماء من تحت الارض وكالصيقل الذي يبرز الجلاء في المرآة وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله

باب في انواع المعلومات

انواع العلوم ثلثة نوع
يتعلق باللفظ ونوع يتعلق باللفظ والمعنى ونوع يتعلق بالمعنى دون اللفظ فاما المتعلق
باللفظ فهو ما يقصد به تحصيل الالفاظ بواسطة المعاني وذلك ضربان احدهما حكم ذوات
الالفاظ وهو علم اللغة والثاني حكم لواحق الالفاظ وذلك شيئان شيء يشترك فيه النظم والنثر
وهو علم الاشتقاق وعلم النحو وعلم التصريف وشيء يختص بالنظم وهو علم العروض وعلم القوافي
واما النوع المتعلق باللفظ والمعنى فخمسة اضرب علم البراهين وعلم الجدل وعلم الخطابة وعلم
الشعر وعلم البلاغة واما النوع المتعلق بالمعنى فضربان علمي وعملي فالعلمي ما القصد به
ان يعلم فقط وذلك معرفة الباري جل جلاله ومعرفة النبوة ومعرفة الملائكة ويوم القيامة
ومعرفة العقل ومعرفة النفس ومعرفة مبادي الامور ومعرفة الاركان ومعرفة الآثار العلوية
من الافلاك والنيرين والنجوم ومعرفة طبايع النبات ويقال له علم الفلاحة ومعرفة طبايع
الحيوانات ومعرفة طبايع الانسان ويقال له علم الطب واما العملي فهو ما يجب ان يعلم ثم يعمل
وتارة يسمى السنن والسياسات وتارة الشريعة وتارة احكام الشرع ومكارمه وذلك
حكم العبادات وحكم المعاملات وحكم المطاعم وحكم المناكح وحكم المزاجر والطرق التي
يستفاد منها العلوم اضرب الاول المستفاد من بديهة العقل ومبادئ الحس وذلك جهة
يحصل لكل من لم يكن معتوف الآلة وان اختلف احوالهم في ذلك والثاني المستفاد من جهة النظر

اما بمقدمات عقلية او بمقدمات حسية الثالث المستفاد بخبر الناس اما بسماع من افواههم
او بالقراءة من كتبهم ولا يكون الخبر علما الا ما كانت الظنة عن مخبره مرتفعة الرابع ما كان
من الوحي اما بلسان ملك مرئي كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك واما بسماع كلام
من غير رؤية كحال موسى عليه السلم واما بالقاء في الروع في حال اليقظة كما قال عليه السلم ان يكن في
هذه الامة محدث فهو عمر واما بالمنام وهو المعنى بقوله عليه السلم الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن او يرى له جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وينطوي على ذلك قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

باب ما يعرف به فضيلة العلوم

فضيلة العلوم تعرف بشيئين احدهما بشرف ثمرته والاخر بوثاقة دلالته وذلك كشرف علم الدين
على علم الطب فان ثمرة علم الدين الوصول الى الحيوة الابدية وثمرة الطب الوصول الى الحيوة
الدنيوية المنقطعة وعلم الدين اصوله ماخوذة من الوحي واصول الطب اكثرها من التجارب
ورب علم يوفي على غيره باحد الوجهين وذلك الغير يوفي عليه بالوجه الاخر كالطب مع الحساب
فللطب شرف الثمرة اذ هو يفيد صحة البدن وللحساب وثاقة الدلالة اذ كان العلم به صرفا
غير مفتقر الى التجربة وليس يجب ان يحكم بفساد علم لخطا وقع من اربابه كصنيع العامة اذا
وجدوا من اخطا في مسئلة حكموا على صناعته بالفساد واذا راوا من اصاب في مسئلة حكموا
لصناعته بالصحة وذلك عادتهم في الطب والتنجيم فيعتبرون الصناعة بالصانع خلاف ما قال
امير المؤمنين علي رضي الله عنه يا حار ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله
وليس يدرون ان الصناعة مبنية على شيء روحاني والمتعاطي لها باشرها بجسم وطبع يعوقها

العجز فهو خلق من نوع الخطابة ثم الانسان قد ينتحل ما لا يحسنه ويتذرع بدعوى ما لم يحز
آلته ثم كثير ممن تخصص بصناعة يدعي لصناعته ما ليس في طبعها كالكثير من المنجمين المدعين بالموجود
في التنجيم ما ذا الاعتبار بدعاوى الناس **باب**

استحسان معرفة انواع العلوم حق الانسان ان لا يترك شيئا من العلوم امكنه النظر فيه
واتسع العمر له الا ويخبر بتتمة عرفه وبذوقه طيبه ثم ان ساعده القدر على التغذي به
والتزود منها ونعمت والا فيهم لجهله محله وعداوته عن معرفته معاداته بطبعه
فمن ترك ذا فمن يعرض كلامه ابد الآبد ان لا ومن جهل شيئا عاداه والناس اعدا ما جهلوا
بل قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكي عن بعض فضلاء القضاة
انه رأى بعدما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال وجدته علما
نافعا فكرهت ان اكون جاهلا به معاديا له ولا ينبغي للعاقل ان يستهين بشيء من العلوم بل يجب
ان يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه ومنزلته الذي يستوجبه ويشكر من هداه لفهمه
وصار سببا لعلمه فقد حكي عن بعض الحكماء انه قال يجب ان نشكر آبا الذين ولدوا لنا الشكوك
اذ كانوا اسبابا بالمنزلة بحركة خواطرنا للنظر في العلم فضلا عن شكر من افادنا طرفا من العلم ولولا
مكان فكر من تقدمنا لاصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح الدنيا فضلا عن مصالح
الاخرى فمن ابلغ حكمة الله تعالى في ان الآلة يستعملها الناس كالمقراض حتى جمع بين سكينين
مركبا على وجه يتوافق حدهما على نمط واحد للغرض اكثر شكر الله تعالى وتعظيمه ولقال
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **باب** معاداة بعض الناس لبعض العلوم

العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله بكل منزلة منها حفظة كحفظة الرباطات
والثغور في طرق الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التي عليها مبنى الشرع ثم حفظ كلام
رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بعد ذلك
من الوسايط من معرفة اصول البراهين والادلة ولهذا قال تعالى هم درجات عند الله
وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكل واحد من هولا الحفظة
اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته وقام بحق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله تعالى
ثوابا بحفظ مكانه ثوابا على قدر عمله وعمله لكن ما يملك كل منزلة منها من شرف في ذاته ٤
وشرفه في مكسبه وطالب الرياسة رجاهل معجب بنفسه نصب الاحل يتنوق بلغته صار زاعما ان المنزل
الذي فوق منزلته من العلم معاديا له ولهذا ترى كثيرا ممن حصل في منزلة من منازل العلوم
دون الغاية عائبا لما فوقه وصارفا عنه من رامه فان قدر ان يصرف الناس عنه بتشبيه من حرمه
فعل ولا ان الناس عنهم نعلو عن قال الله تعالى فيهم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه وما ارى من هذا صيغة الا من الذين وصفهم الله بقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الاخرة ويصدون عن سبيل الله الاية وذكر الترمذي هذه المسألة وقال اذا كان من يقطع
على الناس طريق مكاسبهم الدنيوية يستحق ما ذكر الله تعالى في قوله انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله الاية فما الظن بما يستحقه من العقوبة من يقطع الطريق على المسافرين الى
الله تعالى وحكي عن عيسى عليه السلم انه قال يا علماء السوء قعدتم على باب الجنة فلم تدخلوها ولم تدعوا
غيركم يدخلها مثلكم كمثل الدفلى زهره حسن وثمره يقتل من اكله **باب** ________

اختص علم من العلوم بكونه ... (marginal note, partly illegible)

من كان قصده الوصول الى جوار الله عز وجل والتوجه نحوه كما قال ففروا الى الله وكما اشار اليه
النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا فحقه ان يجعل انواع العلوم كزاد موضوع في منازل السفر
فيتناول منه في كل منزل قدر البلغة ولا يعرج على تقضيه واستفراغ ما فيه فيقتضي الانسان نوعا
واحدا من العلوم على الاستقصاء يستفرغ اعمارا ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره وقد نبهنا البارئ عمر ابد
بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال علي رضي الله عنه العلم كثير فخذوا من كل شئ احسنه
وقال الشاعر فلو اخذ العين من كل نعمة لهم غير فضل لكن ناظر العين وقيل احلب
طبقك بالعيون والعقول فالشجرة لا تشبهها ملة الجراد اذا اكلت شيئا نافعة وجب ان الخوض
الانسان في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه حاجته فازدحام العلم
في السمع مضلة للفهم وعلى هذا قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي لا يتجاوزون
فنا حتى يحكموه علما وعملا ويجب ان يقدم الاهم فالاهم من غير اخلال بالترتيب وكثير من الناس ثكلوا
الوصول بتركهم الاصول وحقه ان يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به الى ما فوقه حتى يبلغ النهاية
والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة والمحدودة فالعلوم كلها خدم لها
وهي حرة وروي انه رأى صورة حكيم من القدماء المتألهين في بعض مساجدهم وفي يد احدهما
رقعة فيها ان احسنت كل شئ فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب
الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله اشرب واظما حتى اذا عرفته
رويت بلا شرب بل قال الله تعالى ما قد اشار به الى ما هو ابلغ من حكمة كل حكيم قل الله ثم ذرهم
الا عن حق المعرفة ولم يقصد بذلك ان يقول ذلك قولا باللسان اللحمي فذلك قليل الغناء ما لم يكن

عن طوية خالصة ومعرفة حقيقته وعلى ذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل
الجنة ويجب ان لا يتعرى علمه من مراعاة العمل فيه فيقلع ولذلك ترى انه ما اخلى ذكر الايمان في عامة
القرآن من ذكر العمل الصالح نحو قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات والى ذلك اشار بقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة العلم من غير العمل مادة للذنوب وقيل
العلم اثمر العمل وثمار المرء انا باطل وقال الحكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل يا هذا
اذا افنيت جميع عمرك في جمع السلاح فمتى تريد ان تقاتل وقال الشاعر ياطالبا ان يكون
اشارة الى هذا المعنى فعلام انك تنفق نفسا هزلا يا صاحبي اجيد حمل سلاح

باب احوال الانسان في استفادة العلم وافادته

كما ان
للانسان في قنيته الاموال اربع احوال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسب
فيكون به غنيا عن المسألة وحال انفاق على نفسه فيصير به منتفعا وحال افادة غيره
فيصير به سخيا كذلك ايضا له في العلم اربع احوال حال استفادة وحال التحصيل وحال
استبصار وحال تبصير وتعليم ومن اصاب حالا فاسمع به وينفع غيره مستحقه كالشمس
تضيء لغيرها وهي مضيئة والمسك الذي يطيب وهو طيب وهذا اشرف المنازل ثم بعده
من استفاد علما فاستبصر به فاما من افاد علم غيره ولم ينتفع هو به فكالدفتر يفيد غيره
الحكمة وهو عادمها وكالمسن يشحذ وهو لا يقطع وكالمغزل يكسو ولا يكتسي وكذبالة
المصباح تضيء للناس وهي تحترق ومن استفاد علما ولم ينتفع به هو ولا نفع غيره فانه
كالنخل تنزع شوكا لا يذود به عن حمله كحجارة وهو منتبذه

باب

يجب على المتعلم ان يتحرى

حق المرشح لتعلم الحقائق ان يراعي اشيا من الامور الاول ان يطهر نفسه من ردي الاخلاق
تطهير الارض للبذر من خبائث النبات فقد تقدم ان الطاهر لا يسكن الا مسكنا طاهرا وان الملائكة
لا تدخل بيتا فيه كلب والثاني ان يقلل من الاشغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية
فما صاحب الشطوان يعمر منهلا ووعا اذا امتلا ربعا ومنهلا وقد قال الله تعالى ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه والفكرة متى توزعت كالجدول يفرق ماؤه فينشفه الجو وتنشف به
الارض ولا ينتفع به نفع واذا جمع بلغ المزرع فانتفع به والثالث ان لا يتكبر على معلمه ولا على
العلم فالعلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانك من اعطائه اياك بعضه على خطر وكانما اياه عنى من قال
حرم العلى بخدمته وهي التي لا تخدم الاقوام ما لم تخدما ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كارض
دمثة نالت مطرا غزيرا فتلقته بالقبول لم ينتفع بحجته ان يصرع له كما قال تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد اي لمن ليس في نفسه علم يستغني به او بذل الاستماع
الحق وانقاد له ممن عنده العلم وقال بعض العلماء في قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى
اشارة الى فضل المعلم على المتعلم وفي تبيين فضل المعلم حث المتعلم على الانقياد له وكان الذي حق
المريض ان يكل الى الطبيب الناصح الذي وقف على دائه لتطلب الطبيب دواءه وغذاءه فانه ان اشتهى
لم يشته الا ما فيه داؤه ولم يجتنب الا ما فيه شفاؤه فمن ترك ذلك فمرض فيجد من اهماله الما لازما
كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا ان يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس بصدد تعلمه
وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح انه قال لموسى حيث قال له هل اتبعك على

ان تعلمني مما علمت رشدا فقال له لا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فنهاه عن مراجعته
وليس ذلك نهيا عما حث الله تعالى عليه في قوله فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وذلك
ان النهي انما هو عن نوع العلم الذي لم يبلغ منزلته بعد والحث انما هو على سؤال الغير فيما صعب
ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه ومن حق من هو بصدد تعلم علم من العلوم ان
لا يصغي الى الاختلافات المشكلة والشبه الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده
لئلا ينقدح له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك به الى الارتداد ولذلك نهى تعالى من لم يكن
قد تقوى في الاسلام عن مخالطة الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
الاية وقال لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل الاية ومن اجل ذلك كره للعامة ان يجالسوا
اهل الاهواء والبدع لئلا يغووهم فالعامي اذا خلا بذوي البدع كالشاة اذا خلت بالسبع
وقال بعض الحكماء انما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لانه اراد ان يقطع العصمة بين العرب
وبين الذين كانوا يتشككونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى فحرم على المسلمين ذلك اذ
هو معظم مأكولاتهم وعظم الامر في تناوله وهيئته ليتنزه المسلمون عن الاجتماع معهم في المواكلة
والانس وقال عليه السلام المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما لذلك واما الحكيم فلا باس ان يجالسه (خ: نارأيهما)
ايام فانه جار مجرى سلطان ذي اجناد وعدة وعتاد لا يخاف عليه العدو حيثما توجه
ولهذا اجوز له الاستماع الى الشبه بل اوجب عليه ان يتتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجادلهم
ويدافعهم فالعالم افضل المجاهدين الذابين عن الدين فالجهاد جهادان جهاد باللسان وجهاد بـ
بالسنان ولما تقدم سمى الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع كقوله حكاية عن موسى عليه السلام اني آتيكم بسلطان مبين

باب ما يجب أن يجريه المعلم مع المتعلمين منه حق المعلم
أن يجري متعلميه مجرى بنيه فإنه في الحقيقة لهم أشرف الأبوين كما قال الإسكندر وقد قيل له
أمعلمك أكرم عليك أم أبوك فقال بل معلمي لأنه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي الفانية
وقد نبه النبي عليه السلام على ذلك بقوله إنما أنا لكم مثل الوالد فحق معلم الفضيلة أن يقتدي بالنبي عليه السلام
في أن يجري الناس مجرى بنيه ويشفق عليهم إشفاقه ويحنو عليهم تحننه كما قال عز وجل في وصفه صلى الله عليه وسلم
عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وأي عالم لم يكن له من يفيده العلم صار كعاقر لا نسل له فيموت ذكره بموته
ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجودا وإن فقد شخصه كما قال علي رضي الله عنه العلماء باقون ما بقي
الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة وقال بعض الحكماء في قوله تعالى هب لي من لدنك وليا
أنه سأل نسلا يورثه علمه لا من يورثه ماله فلأعراض الدنيا أهون عند الأنبياء أن يشفقوا عليها
وكذا قوله تعالى وإني خفت الموالي من ورائي أي خفت أن لا يرعوا العلم وقال عليه السلام العلماء ورثة على هذا
الأنبياء وكما أن من حق أولاد الأب الواحد أن يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلك من حق بني العلم
بل بني الدين الواحد أن يكونوا كذلك فأخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة ولذلك قال تعالى إنما
المؤمنون إخوة وقال عز من قائل الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ومن حق العالم أن يصرف
من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بلطف في المقال وتوسع في الخطاب والتعريض أبلغ
من التصريح لوجوه أحدها أن النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعاني تميل إلى التعريض شغفا
منه باستخراج معناه بالفكر ولذلك قيل رب تعريض أبلغ من تصريح والثاني أن التعريض لا تنهتك
به حجب الهيبة ولا يرتفع به ستر الحشمة والثالث أن ليس للتصريح إلا وجه واحد وللتعريض وجوه

ومن هذا الوجه يكون أبلغ ومن هذا الوجه حذف أجوبة كثير من الشروط المقتضية للثواب
أو العقاب نحو قوله تعالى حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها الآية والرابع أن للتعريض
عبارات مختلفة فيمكن إيراده على وجوه مختلفة والتصريح ليس له إلا عبارة واحدة فلا يمكن
إيراده إلا على وجه واحد والخامس أن تصريح النهي داع إلى الإغراء ولذلك قيل اللوم إغراء
وقال دع اللوم إن اللوم مغرى وإنما أراد صلاحا من يلوم فأفسدا وقال النبي عليه السلام لو نهي وربما
الناس عن فت البعرة لفتوه وقال لو ما نهينا عنه إلا وفيه معنى وكفى بذلك شاهدا ما كان من
آدم وحواء في نهي الله تعالى إياهما عن أكل الشجرة ومن حق المعلم مع من يفيده العلم أن يقتدي بالنبي
عليه السلام فيما علمه الله تعالى حيث قال قل لا أسألكم عليه أجرا ولا يطمع في نائلة من جهة من يفيده
علما ثوابا لما يبذله وليعلم أن من باع علما بعرض دنيوي فقد ضاد الله تعالى في حكمه وذلك أن الله تعالى
جعل المال خادما للمطاعم والملابس وجعل المطاعم والملابس خادما للبدن وجعل البدن
خادما للنفس وجعل النفس خادما للعلم فالعلم مخدوم غير خادم والمال خادم غير مخدوم
فمن جعل العلم ذريعة إلى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غير خادم خادما لما هو خادم
غير مخدوم ۝

باب وجوب منع الجهلة من حقائق العلوم والاقتصار

بهم على قدر أفهامهم واجب على الحكيم والعالم النحرير أن يقتدي بالنبي عليه السلام فيما قال إنا معاشر
الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس بقدر عقولهم وأن نضن بما [illegible] وقال علي رضي الله عنه
لكميل بن زياد وأومأ بيده إلى صدره إن هاهنا علوما جمة لو وجدت لها حملة بلى أصبت لقنا
غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بنعم الله تعالى على عباده وبحججه على كتابه عنادا

لا يملك الحق ببصيرة له فيقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة وروي عن النبي عليه السلام
انه قال كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال
عليه السلام ما احد يحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة على بعضهم وقال عيسى عليه السلام
لا تضعوا الحكمة في غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكن كالطبيب الحاذق يضع
دواءه حيث يعلم انه ينفع وقيل تصفح طلاب حكمتك كما تتصفح خطاب حرمتك ولهذا المعنى قال
ابو تمام   وما انا بالغيران من دون جارتي   اذا انا لم اصبح غيورا على العلم
وقيل لبعض الحكماء ما بالك لا تطلع كل احد على حكمة تطلبها منك فقال اقتداء بالباري تعالى حيث
قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم الاية فبين انه منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين ان في اسماعهم ذلك
مفسدة لهم وسال رجل جاهل حكيما عن مسالة من الحقائق فاعرض عنه ولم يجبه فقال له اما
سمعت قول النبي عليه السلام من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك
اللجام ههنا واذهب فاذا جاء من يفقه ذلك وكتمته فليلجمني به وقال بعض الحكماء في قوله تعالى
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما انه نبه به على هذا المعنى وذاك انه لما
منعنا من تمكين السفيه من المال الذي هو عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر بعادية انه يؤديه
الى الهلاك الدنيوي فلان نمنع من تمكينه من غرائب العلوم التي اذا تناولها السفيه ادته الى الضلال والاضلال
والهلاك والاهلاك احق واولى فانه   اذا ما اقتنى العلم ذو شرة   تضاعف ما ذم من مخبره
وصادف من علمه قوة   يصول بها الشر في جوهره
وكما انه واجب على الحكام اذا وجدوا من السفهاء رشدا ان يرفعوا عنهم الحجر ويدفعوا اليهم

اموالهم لقوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فواجب على الحكماء اذا
وجدوا من المسترشدين قبولا ان يدفعوا اليهم العلوم بقدر استحقاقهم فالعلم قنية يتوصل بها الى
الحيوة الاخروية كما ان المال قنية في المعاونة على الحيوة الدنيوية وباذل العلم لمن لا يستحقه يستوجب
عقوبة ومانعه اهله يستوجب عقوبتين ولذلك قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال عز من قائل ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا الاية وقال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الاية فاذا ثبت
ذلك وجب ان يكون من يتقيد من العامة بتقييد الشرع تحسنت حاله ان لا يصرف عما هو بصدده
فيؤدي ذلك الى انحلاله عن قيده ثم لا يمكن ان يتقيد بتقييد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين
الشرور وبعينه ومن اشتغاله بعمارة الارض من زراعة او تجارة او مهنة يحق ان يقتصر به من العلوم
على مقدار ما يحتاج اليه من مهنته في عبادة الله الواجبة وان لا ينفسه من الرغبة
والرهبة الواردتين في القران ولا يورد له الشبه والشكوك فان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما
بانبعاث شبهة تولدت له او لورود بدعة دفع اليه فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها
فحقه ان يختبر فان وجد ذا طبع موافق للعلم وفهم ثاقب وتصور صائب خلي بينه وبين التعلم
ويساعد عليه بما يوجد من السبيل اليه وان وجد شريرا في طبعه او ناقصا في فهمه منع
اشد المنع ففي اشتغاله بما لا سبيل له الى ادراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع الى
العباد والبلاد واشتغاله بما يكثر به شبهه وليس فيه نفعه وكان بعض الائمة المتقدمين
اذا اتى احدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقائق العلوم والخروج من حد العامة الى الخاصة

اخبر بانه لا يوجد خير في الخلق اوعز منه فينبغي للمتعلم منع اشد المنع وان وجد خيرا ومتهيئا للعلم شرط عليه ان يتقيد بقيد من ذرار الحكمة ويمنع ان يخرج حتى يحصل له العلم او ياتي عليه الموت فمن عمد ان شرع في حقايق العلوم ثم لم يبرع فيها تولدت له الشبه وكثرت فيصير ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر قيل نعوذ بالله من نصف متكلم ٥

باب وجوب ضبط المتصدين للعلم ومضرة اهمال ذلك

لا شي اوجب على السلطان من مراعاة احوال المتصدين للرياسة بالعلم فان الاخلال بها ينتشر الشر ويكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك ان السواس اربعة الانبيا وحكمهم على العامة والخاصة ظاهرهم وباطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكما وحكمهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم على بواطن العامة وصلاح العالم بمراعاة امر هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة وفساده في عكس ذلك ولما ترك مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ وترشح قوم للزعامة في العلم من غير استحقاق منهم لها فاحدثوا بجهلهم بدعا استغووا بها العامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقرب جوهرهم منهم وكل قرين الى شكله كانس الخانس بالعنس وفتحوا بذلك طرقا منسدة ورفعوا به ستورا مسبلة وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشره فبدعوا العلما وكفروهم اغتصابا لسلطانهم ومنازعة لمكانهم فاغروا بهم اتباعهم حتى وطئوهم باخفافهم واظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام ٥

باب ذكر من يصلح لوعظ العامة

وانما يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص في الحكيم بل لنقص في العامي ولن يرى الشمس ابصار الخفافيش والصقر يعجزوا عن طراد الدخل وانما تباين الحكيم والعامي من تنافر طبعيهما وتنافي شكليهما من التنافر قريب مما بين الما والنار والليل والنهار وقد قيل للسلطان كسبيكة العلى برفض العامة ولذي كل حزب ضاطع فعال الا ان ضعف عيونهم قصر عن نوره والناس الى اشكالهم اميل وبهذا النظر لما قال الجاهل للحكيم اني احبك قال لعله نعيت الى نفسي فقيل له لم قال لانه ان صدق فليس ميله الي الا لنقيصة بدت من نفسي لنفسه فانست بها وعلى هذا قال الشاعر

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طايل

فحق الواعظ ان يكون له مناسبة الى الحكما يقدر على الاقتباس منهم والاستفادة ومناسبة الى العامة يقدرون على الاخذ منه كالوزير للسلطان الذي يجب ان يكون فيه اخلاق الملوك وتواضع السوقة ليصلح ان يكون واسطة بينه وبينهم وكالنبي الذي جعله الله من البشر واعطاه قوة الملك ليمكنه ان ياخذ من الملك ويمكن البشر ان ياخذوا منه والى هذا اشار تعالى بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا منبها انه ليس في وسعكم التلقي عن الملك ما لم يتجسم ويصير في صورة رجل فحق الواعظ ان يكون له نسبة الى الحكيم والى العامة ياخذ منه ويعطيهم كنسبة الغضاريف الى اللحم والعظم جميعا ولولاهن لما امكن العظم ان يكتسب الغذا من اللحم وهذا اما اذا تؤمل اطلع منه على حكمة عجيبة وصنعة غريبة ٥

باب الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ

حق الواعظ ان يتعظ ثم يعظ ويبصر ثم يبصر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد ومسنا يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء ولها افضل مما تفيد

وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمى اكثر ما تنيل ويجب ان لا يخالف مقاله بفعاله ويكذب
لسانه بحاله فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه الاية وبحق ما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان جاهل
متنسك وعالم متهتك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه والواعظ
متى لم يكن مع مقاله فعاله لم ينتفع به وذلك ان عمله مدرك بالبصر وعلمه مدرك بالبصيرة واكثر
الناس اصحاب الابصار دون البصائر فيجب ان يكون عنايته باظهار عمله الذي يدركه جماعتهم
اكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك الا بالبصيرة ومن لم يكن الواعظ من الموعوظ من له المدارك
من المدارك فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه سم ثم راوه اكلا له عد ذلك سخرية
وهزؤا كذلك الواعظ اذا امر بما لا يعمله وبهذا النظر قيل يا طبيب طب لنفسك ولما قال تعالى
لم تقولون ما لا تفعلون الاية الى غير ذلك من الايات وايضا فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى
الطابع من المطبوع وكما انه محال ان ينطبع الطين عن الطابع بما ليس منتقشا به كذلك محال ان
يحصل في نفس الموعوظ ما ليس بموجود في الواعظ واذا لم يكن الواعظ الا ذا قول مجرد من الفعل
لم يتلقه عند الموعوظ الا القول دون الفعل وايضا فان الواعظ يجري من الناس مجرى الظل
من ذي الظل فكما انه محال ان يعوج ذو الظل والظل مستقيم كذلك محال ان يعوج الواعظ
والموعوظ مستقيم وايضا فكل شيء لا حالة يحصر بها فانه يجر غيره الى نفسه بقدر وسعه بان
منه او عن ارادة كالماء الذي يحيل ما يلقاه من العناصر الى نفسه بقدر وسعه وكذلك النار
والارض والهواء فالواعظ اذا كان غاويا جر بغيه غيره الى نفسه ولهذا حكى الله تعالى عن الكفار

ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا وقال تعالى فاغويناكم انا كنا غاوين فمن ترشح للوعظ
ثم فعل فعلا قبيحا اقتدي به غيره فقد جمع وزره ووزرهم كما قال عليه السلام من سن سنة سيئة فله
وزرها ووزر من عمل بها وقال تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة وقال تعالى وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم الاية

باب صعوبة المعيار الذي

تعرف به حقائق العلوم كما ان للدراهم والدنانير ميزانا تعرف احوالها صحة فلكل علم له ميزان
نحو الحساب للمعدودات والهندسة للممسوحات والعروض للشعر والنحو لالفاظ العرب والى هذا
اشار بقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان واوصى الذين
اعطاهم الميزان فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم الاية وكل شاك ومنازع غيره في مقدار
حقه ان يعتمد ميزانه ان عرفه ويقلد اربابه ان لم يعرفه فان من ترك ذلك واخذ يخرص ويحزر
ويظن ويخمن لم يزل شكه ولم يسقط خلافه فالخرص فيما يصدق والظن فيما يحق ولذلك عيب
بالخرص عن الكذب فقال تعالى ان هم الا يخرصون وقال تعالى قتل الخراصون وقال عز وجل في
ذم الظن ان يتبعون الا الظن الاية ومعلوم ان ميزان الدين الذي صوابه يوصل الى الثواب
العظيم وخطاؤه يفضي الى العذاب الاليم اصعب الموازين واشرفها واولاها بالمعرفة وكثير ممن نما
يتحلى بعلم الكلام ويترشح للجدال والخصام ويرام الزعامة فيه فيل وانها فطلب عنه وناته بعد
من انها اخذ كل واحد منهم يخرص خرصا ويظن ظنا ويسلك بظنه طريقا عن نهج فاذا وقع بينهم خلاف
جعل كل واحد منه انه خرصه واتبع فيما اعتقد ظنه فاذا تحاكموا الى الحذق ومن انا صار
خلافهم في الميزان اكثر من خلافهم في الموزون فهم في ذلك كمن غص بالطعام فاستعان بالماء فشرق به

او كمتوقع نارٍ يستعد له بالجهل يدعى من نارٍ وكبريت لا جرم ان كثيرا من اساطينهم
لما تولد الشبهة ولا يتم الحجة ولا يقوم عنه اثنان الا انشاطة … بل بظلمات بعضها
فوق بعض ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

باب

كراهية الجدل للعوام ونعته اباحة تعاطي الجدال للعامة الذين لم يتدربوا في تحصيل القرآن
ولم يتدربوا في سبيل البراهين يجري مجرى من حل قيد الشياطين ورفع سد ياجوج وماجوج
فانها تثور سلطان توهم السبعية خالعة من يدها قيد العقل وقيد الشرع فالجدال
مكروه للعلماء الا لما يكون للجهال الا عنها الا ترى ان الله تعالى قال لنبيه عليه السلام وجادلهم بالتي
هي احسن فلم يطلق له الجدال مطلقا حتى قيده بالاحسن هذا مع وصفه عليه السلام بقوله وانك لعلى
خلق عظيم وقال تعالى في ذم الجدال ما ضربوه لك الا جدلا الاية وقال تعالى ومن الناس من يجادل في
الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والجدال مع
كونه مكروها شرايط ومتى تعاطاه ولم يكن يستدرا بها كان صاحب جدال والخصومة عديمة
الفايدة قليلة العايدة فان الجدل مع ما فيه يذهب حفظ الفهم وينشر … لا اقتباس العلم والخصومة
لا يثمر الا العداوة وانكار الحق ولهذا اجملها الله تعالى شر من الجدال فقال بل هم قوم خصمون وقال
تعالى فاذا هو خصيم مبين ولم يذكر الخصام في موضع الا عابه واما الجدال لا يخلو ان يجري مجرى
تعاون وكشف … او يجري مجرى تحارب وكل واحد منهما يجتهد ان يكون هو الفاعل وصاحبه المنفعل
وان يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع والقابل كالموثر والسامع كالمتاثر ومتى لم يخضع المتاثر
لقبول اثر المؤثر لم يتولد منهما … وقال الحكيم المجادل للدافع يضع في نفسه عند الخوض في الجدال

ان لا يقنع بشيء ومن لا يقنعه الا ان لا يقنع فما الى اقناعه سبيل ولو اصفق عليه الحكماء بكل حجة
بل لو اجتمع عليه الانبياء بكل معجزة كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية

باب ما يجب ان يعامل به المجادل المماحك اذا ابتليت بمجادل
مهارش ومساجل مناوش فصده اللجاج لا الحجاج ومراده مباهاة العلماء ومماراة السفهاء كما قال
عليه السلام من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء الحديث وقال الشاعر في مثله
نراه معدا للخلاف كانه بردٍّ على اهل الصواب موكل   فحقك ان تعرض عنه وان تكرم الاسا ود
والاسود فان لم تجد من اولئك بدا فقابل انكاره الحق بانكارك الباطل ودافعه الصدق بدفاعك
الكذب وحسنك في ذلك قول الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا الاية وقوله تعالى ومكروا ومكر الله الاية وقوله
تعالى حكاية عن المنافقين انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ
الله قلوبهم الاية وينبغي ان تكون معه واياك ان تخرج معه الى بث الحكمة وان تذكر له شيئا من الحقايق ما
لم يحصل له قلبا طاهرا لمعاقد الحكمة فقد قال عليه السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب فان لكل تربة
غرسا ولكل بناء اسا وما كل راس يستحق التيجان ولا كل طبيعة تستحق افادة البيان وان كان لا بد
فاقتصر معه على اقناع يبلغه فهمه وقد قيل كما ان لب الثمار معد للانام والتبن مباح للانعام
فلب الحكمة معد لذوي الالباب وقشرها مجعول للاغنام وكما انه من المحال ان تشم الاخشم
ريحانا فمحال ان تفيد الحمار بيانا واعلم ان سبيل الانكار للحجة والسعي في افسادها اسهل من سبيل المعارضة
بمثلها والمقابلة لها ولهذا يتحرى الجدل الخصم ابدا الدفاع لا المعارضة بمثلها وذلك ان الافساد
هدم وهو سهل والاتيان بمثله بناء وهو صعب فان الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات

واعراض النبات والنفوس على ما دثر منها بمكنة افساد حجة قوية بضرب من الشبه المزخرفة لا يمكنه
الاتيان بمثلها لاجل ما ملنا دها ابه الناس في الحجج الى الاتيان بمثلها الا السعي في افسادها كما
قال فاتوا بسورة من مثله قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فرضي ان ياتوا بما فيه مشابهة له وان
كان ذلك معجزا وقال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من المشرق الاية ٥

باب

الوجوه التي من اجلها تقع الشبه والخلاف. السبب الموقع للشبه والمولد للخلاف على القول المجمل
من باب المعنى واللفظ فاما ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من جهة الناظر او من جهة المنظور فيه
وهو الحجة او من جهة الالة التي يستعملها الناظر فان الناظر في الشيء المعتبر اياه جار مجرى وزان يحجه
كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر عديم العقل كان عمى البصيرة فيجري مجرى وزان
اعمى البصر فلا سبيل له الى الوزن ومتى لم يكن عمى البصيرة لكنه غير مالك لقوانين البراهين والحجج
والادلة كان جاريا مجرى وزان عديم الميزان فاخذ بالحدس والتخمين فلا يسلم من غلط يلحقه ويقع منه من
الصواب بغير معتمد به اذ لا اصل له يسكن اليه النفس ومتى لم يكن عمى البصيرة لكن لا يعرف اي
حجة يستعمل فيما يقصده فيطلب المعقول من جهة المحسوس والمحسوس من جهة المعقول كان جاريا مجرى
وزان بصير لكن يزن الدراهم بصنج الدنانير والدنانير بصنج الدراهم واما ما كان من جهة اللفظ فاما
ان يكون ذلك واقعا من جهة مفردات اللفظ او من تركيبه فان كان من مفردات اللفظ فاما ان يكون من حيث
ان اللفظ مشترك بين معنيين كالعين واليد ونحوهما او يكون اللفظ عاما موضوعا موضع خاص او خاصا
موضوعا موضع عام او يكون اللفظ مستعملا على سبيل المثال والاشارة والرمز او يكون لفظا مستعملا
لشيء لم يتقرر صورة ذلك الشيء في نفس السامع فيتخيل له وهم فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات

فاسدة في الملائكة والجن والشيطان والجنة والنار والميزان والصراط والكرسي والعرش
فاما ما كان من جهة التركيب فاما ان يكون من جهة الكمية وذلك بان يكون اللفظ اكثر مما يجب واقل مما
يجب ان يكون واما من جهة الكيفية وذلك بان يقدم ما حقه ان يؤخر ويؤخر ما حقه ان يقدم كقول
الشاعر وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه ومن اجل ما وقع في
الالفاظ من الشبه قال الحكماء يجب ان يكون نظر الانسان من المعنى الى اللفظ اكثر من نظره من اللفظ
الى المعنى فان اللفظ في الحقيقة لا يدل على المعنى الا بواسطة صورة ذلك المعنى في القلب ومتى
لم تثبت صورة المعنى في القلب لم يفهم المعنى من اللفظ البتة ٥

باب

بيان اختلاف جميع الناس في الاديان والمذاهب. جميع الاختلافات من اهل الاديان والمذاهب
على اربع مراتب الاولى الخلاف بين اهل الاديان النبوية وبين الخارجين عنها من السوفسطائية والدهرية
وذلك في حدوث العالم وفي الصانع عز وعلا وفي التوحيد والثانية الخلاف بين اهل الاديان النبوية
بعضهم بعضا وذلك في اعيان الانبياء كاختلاف المسلمين واليهود والنصارى والثالثة الاختلاف
المختص باهل الدين الواحد بعضهم بعضا في الاصول التي يقع فيها التبديع والتكفير كالاختلاف في
كثير من صفات الله تعالى وفي القدر كاختلاف المجبرة والرابعة الاختلاف المختص باهل المقالات في
فروع المسائل كاختلاف الشافعية والحنفية فالاختلاف الاول يجري مجرى مسافرين في مسلكيهما
كاخذ طريق الشرق واخذ طريق الغرب او كاخذ ناحية الشمال واخذ ناحية الجنوب والثاني
يجري مجرى اخذ كرا الشرق واخذ يمينه او شماله فهو وان كان اقرب من الاول فليس يخرج احدهما
عن ان يكون ضالا ضلالا بعيدا مما قصد تعالى بقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا

والثالث يجري مجرى آخذ من جهة واحدة لكن احدهما سالك المنهج والثاني تارك للمنهج وهذا
التارك للمنهج ربما بلغ وان كان الطريق يطول عليه والرابع جار مجرى جماعة سلكوا منهجا
واحدا لكن اخذ كل واحد شعبا غير شعب الآخر وهذا هو الاختلاف المحمود بقوله عليه السلام الاختلاف (شعبة ج شعب)
في هذه الامة رحمة ونحوه نظر من قال كل مجتهد في الفروع مصيب لاحد الطرق الثلثة امرنا ان
نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقال تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية وجميع الخلاف الواقع في هذه الامة اثنان وسبعون
على ما ورد في الخبر لا زايدا ولا ناقصا وقد روي الخبر في ذلك على وجهين احدهما ستفترق امتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وفي الخبر الثاني كلها في الجنة الا واحدة وهم
الزنادقة وهذان الخبران لا يمتنع ان يكونا صحيحين ولكن على نظرين ومعنيين وقد ذكر ذلك وتحقيقه
في رسالة منفردة ٥

باب النطق والصمت

النطق اشرف
ما خص به الانسان فانه صورته المعقولة التي بها باين سائر الحيوان ولهذا قال عز وجل خلق
الانسان علمه البيان ولم يقل وعلمه اذ جعل علمه تفسيرا لقوله خلق الانسان تنبيها ان خلقه
تعالى اياه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعا لكانت الانسانية مرتفعة ولهذا قيل ما
الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقيل المرء مخبو تحت اللسان وقال
الشاعر لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم اي اذا توهم
ارتفاع النطق الذي باللسان والعقل الناطقة التي هي بالقلب لم يبق الا صورة اللحم والدم
فاذا كان الانسان هو الانسان بذلك فلا شك ان من كان حظه اكثر كان اكثر انسانية

[illegible]

والصمت من حيث هو صمت مفضول بل ذلك من صفات الجمادات فضلا عن الحيوانات وقد جعل
الله تعالى بعض الحيوانات لا صوت وجعل لبعضها صوتا بلا تركيب ومن مدح الصمت فاعتبارا بمن
يسيء في الكلام فيقع منه جنايات عظيمة في امور الدين والدنيا كما روي ان الانسان اذا
اصبح كفرت اعضاؤه للسانه فيقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
فاما اذا اعتبرا بانفسهما فمحال ان يقال ان الصمت فضل فضلا عن ان يقارب بينه وبين النطق وسئل
حكيم عن فضلهما فقال الصمت افضل حتى يحتاج الى النطق وسئل آخر عن فضلهما فقال الصمت
عن الخنا افضل من الكلام بالخطاء وعلى هذا قال الشاعر الصمت احرى بالفتى من منطق في غير حينه
والفرق بين الصمت والسكوت والانصات والاصاخة ان الصمت ابلغ لانه قد يستعمل فيما لا
قوة فيه للنطق وفيما لا قوة له للنطق ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت
يقال لما له نطق فيترك استعماله والانصات سكوت مع استماع ومتى انفك احدهما من الآخر لم يقل
له انصات وعلى ذلك قال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فقوله
وانصتوا بعد قوله فاستمعوا له لان الانصات بعد الاستماع ذكر خاص بعد عام والاصاخة
الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد ٥

باب

الصدق ومدحه والكذب وذمه اصلهما في القول ولا يكونان بالقصد الاول من القول الا في الخبر دون
غيره من اصناف الكلام فاما بالعرض فقد يدخل في انواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك ان
قول القائل ازيد في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذا اذا قال واسني في
ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذني في ضمنه انه يؤذيه وكلاهما اعني الصدق والكذب

يستعمل في الاعتقاد ايضا كقولهم صدق ظنه واعتقاده وكذبا ويستعملان ايضا في افعال الجوارح
نحو صدق في القتال وكذب فيه وحد الصدق التام هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا ومتى
انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما بل اما ان لا يوصف بالصدق والكذب او يوصف تارة بالصدق
وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله فان هذا يصح ان
يقال فيه انه صدق لكون المخبر عنه كذلك ويصح ان يقال فيه كذب لمخالفة قوله ضميره ولهذا انه
كذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون الآية وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد في الدار
انه في الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين مختلفين ولهذا قال عليه السلام من قال في القرآن
برأيه واصاب فقد اخطأ وفي خبر فقد كذب على الله والمبرسم لا قصد له فاذا قال زيد
في الدار لا يقال انه صدق ولا كذب والصدق احد اركان بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعا
لما صح نظامه وبقاؤه وهو اصل المحمودات وركن النبوات ونتيجة التقوى ولولاه
لبطلت احكام الشرائع ولذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
والاختصاص بالكذب انسلاخ من الانسانية لخصوصية الانسان بالنطق ومن عرف بالكذب
لم يعتمد نطقه واذا لم يعتمد نطقه لم ينتفع واذا لم ينتفع بنطقه صار هو والبهيمة سوا
بل يكون شرا من البهيمة فان البهيمة وان لم ينتفع بلسانها فانها لا تضر والكاذب يضر
ولا ينفع ولهذا قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل واعلم ان كل كلام
خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب في الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتحرزون
من التحدث به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف في خدمة الملوك ان سبعا وذئبا

وثعلبا اجتمعن فتعاقدن لتشترك فيما يتصيدن فظفرن بعنز وظبي وارنب فقال السبع للذئب
اقسم فقال هو مقسوم العنز لك والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع فادماه ثم
قال للثعلب اقسم فقال هو مقسوم العنز لغدائك والظبي لقيلك والارنب لعشائك
فقال له السبع من علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب الارجواني الذي على الذئب وعلى
المثل حمل قوم قوله عز وجل ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقوله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فقال يصح هذا وان كان مثلا
وان لم يجر العادة في وجود حبة هكذا ه

باب ما يحسن ويقبح من الصدق والكذب

ذهب كثير من المتكلمين الى ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة
ان الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الخاصة ويحسن الصدق لما يتعلق به من المنافع الخاصة
وذلك ان الاقوال من جملة الافعال وشيء من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته بل انما يحسن لما يتعلق به
من النفع ويقبح ما يقبح لما يتعلق به من الضر الموفي على ما فيه من النفع الا ترى ان اعظم ما يجري
في العالم القتل والغصب وقد يقع كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه يقبح وكذا المقال
من الصدق والكذب ولذلك قال عليه السلام الكذب الا في ثلث اصلاح ذات البين وكذب
الرجل لامرأته ليرضيها وكذب في الحرب فانها خدعة وقد روي اذا اتاكم عني حديث
يدل على هدى او يردع عن ردى فاقبلوه قلته او لم اقله وان اتاكم عني حديث يدل على ردى
او يردع عن هدى فلا تقبلوه فاني لا اقول الا حقا قال والكذب يكون قبحه بثلث شرائط
ان يكون الخبر بخلاف المخبر عنه وان يكون المخبر قد علم خلافه قبل الاخبار به وان يقصد ايراد

ما في نفسه. لا نفعا اعظم من ضرر ذلك الكذب مع شرط ان لا يمكن الوصول الى ذلك النفع
بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا وآجلا فاما لو لا يلزم على هذا ان يقال
جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي فالمنفعة الدنيوية ولو كانت ملك الدنيا بحذافيرها
على ضرر ادنى كذب وانما هذا الذي قلناه مخصوص بنفع اخروي يكون للانسان فيه معذورا
عاجلا وآجلا كمن سال عن مسلم استتر في داره ومن يريد قتله فيقول هل هو في داره فيقول
لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب يوفي على ضرره وهو فيه معذور ولا خلاف ان المعاريض
حيث اضطر اليها يجوز ولذلك قيل ان في المعاريض مندوحة عن الكذب ولم يزل الانبياء والاولياء
يفزعون اليها كقول النبي عليه السلام للعرابي لمن ابن انت فقال من الما وقال ابرهيم عليه السلام اني
سقيم وقوله هذه اختي وقوله بل فعله كبيرهم واما الصدق فانه يحسن حيث يتعلق به نفع
ولا المحض راجحا يتعلق به فيقبح قول من يقعد ويقول السما فوقي والارض تحتي من غير ان يريد
ان يجعل هذا مقدمة لدليل او افادة معنى يتعلق به ولذلك قبح النميمة والغيبة والسعاية
وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية ذنبا انه يقبح فيها الصدق واقبح الكذب مع قبح
كله او جله ما لا يتعلق به رجا نفع عاجل او آجل ويجلب الى المقول له ضررا كالرجل ياتيك عن بلد
بعيد فيقول ان ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوق اليك وربما قال ان تاتيه ليشركك ملكه
وجاها فاذا اورده لم يجد ذلك صدقا بل وجدت ذلك الملك حنقا عليه

باب

انواع الكذب والسبب الداعي اليه الكذب اما ان يكون اختراع قصة لا اصل لها او زيادة في
القصة او نقصا بتغيير المعنى او تحريفا بتغيير عبارة فما كان اختراعا يقال له الافترا والاختلاق

وما كان عن زيادة او نقصان فمين وكل من اورد كذبا عن غيره فاما ان يقوله بحضرة المقول فيه
او بغير حضرته واعظم الكذب ما كان اختراعا بحضرة المقول فيه وهو المعبر عنه بالبهتان وكل من
اورد حديثا فاما ان يقوله عن علم او غلبة ظن او عن تخمين وظن ورا فما قاله عن علم فمحمود بلا شك
وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن وقد يقبح وما كان عن تخمين وظن ورا فمذموم ولذلك قال تعالى يا ايها
الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم واعلم ان الداعي الى الكذب محبة
النفع الدنيوي وحب الترأس وذلك ان المخبر يرى ان له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه
بالعالم الفاضل في ذلك وينظر انه يجلب بما يقوله فضيلة ومسرة وهو يجلب به فضيحة ونقيصة
مفضحة كذبة واحدة لا توازي مسرة دهره فالكذب عار لازم وذل دايم وحق
الانسان ان يتعود الصدق ولا يترخص في ادنى كذب فمن استحلاه عسر عليه فطامه وقد قال
بعض الحكما كل ذنب يرجى تركه بتوبة او انابة ما خلا الكذب فان صاحبه يزداد على الكبر
فقد راينا شارب خمر اقلع ولصا نزع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه
فقال لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه

باب

الذكر الحسن من المدح والثنا محبة الذكر الحسن اشرف خصايص ابنا الدنيا وهي في جبلة
الناس من خصايصهم ولا توجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر

حب الثنا طبيعة الانسان ولولا التكلف لما ظهر العدا لذ اكثر الناس ومن لا يحرقه
الهجا ولا يسره الثنا لا يرتدع عن سو الفعال الا مسوط او سيف وقيل الذي ينهى عن القبيح
ويحث على الجميل اربعة اشيا العقل ثم الحيا ثم المدح والهجا ثم الترغيب والترهيب وقيل من لم يردعه

الذم عن سيئة ولم تدعه المدح الى حسنة فهو جماد او بهيمة ولاجله سارع الناس الى الرياسة
والمنازل الرفيعة وليس الثناء في نفسه بمحمود ولا مذموم وانما يحمد ويذم بحسب المقاصد فمن قصد
طلب المستحق به الثناء على الوجه الذي يستحب فذلك محمود وهو طلب ابرهيم عليه السلم حيث قال
واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي اجعلني بحيث افعل ما اذا امدحت بشيء يكن مادحي
صادقا ومن هذا الوجه ندب الانسان الى ان يقول اذا مدح اللهم اجعلني خيرا مما يظنون
والمذموم منه ان يحب ان يحمد بغير تحريه لفعل ما يقتضيه وذلك من اعظم الآفات لمن تحراه
فانه ينتج الحسد والحسد ينتج الكذب والكذب راس كل مذموم وقد توعد الله تعالى من
طلب الحمد من غير فعل حسنة يقتضيها فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما
لم يفعلوا الآية وبالنظر الى ما تقدم قال عليه السلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن
وقال المؤمن اذا مدح في وجهه ربا الايمان في قلبه وبالنظر الى الثاني سمع النبي عليه السلم رجلا
اثنى على آخر فقال قطعت مطاه لو سمع ما افلح والفاضل يكره الثناء عليه في وجهه سيما اذا كان
من مادح مطرٍ وجليس مغتنٍ ومن تعرف قبل ان تعرف ومن ثم اذا وجدنا مادحا نفتح واذا وجد
مادحا نهج واما ثناء الانسان على نفسه فشناعة وقطاعة فقد قيل للحكيم ما الذي لا يحسن
وان كان حقا فقال مدح الرجل نفسه وقال العقوبة اجل من يستبد فوق حده فقال الا ما فعال
لو كنته لما علمت وانما استقبح ما كان من يوسف عليه السلم حيث قال اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم لانه قصد بذلك التنبيه على سبق الاله بما سال ان يفوض اليه وقد احسن
ابن الرومي حيث اعتذر من مدح نفسه قصدا الى الدلالة على مكانه

وعزيز علي مدحي لنفسي غير اني جشمته للدلالة
وهو عيب يكاد يسقط فيه كل خير يريد اظهار آلة

باب الشكر

الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها وقيل هو مقلوب عن الكشر اي الكشف وضاده
الكفر وهو من كفر الشيء اي تغطيته وقيل هو من قولهم دابة شكور اي مظهر بسمنه اسدا صاحبها اليه وقيل
اصله من عين شكرى اي ممتلئة فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ومن هذا الوجه قيل
هو ابلغ من الحمد لان الحمد لا يقتضي الامتلاء ومن وجه اخر ابلغ من الحمد لان الحمد ذكر الشيء بصفاته
المحمودة والشكر ذكر بصفاته وبنعمه والشكر ثلاثة اضرب شكر بالقلب وهو تصور النعمة
وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقه وهو ايضا
باعتبار الشاكر والمشكور ثلاثة اضرب شكر الانسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثناء
والدعاء وشكر لنظيره وهو بالمكافاة وشكر لمن دونه وهو بالثواب وقد وصف الله تعالى
نفسه بالشكر لصالحي عباده وشكر العبد له هو معرفة نعمته وحفظ جوارحه عن
استعمالها الا فيما ينبغي ومعناه بالفارسية سپاس دارم خداي را اي انا حارس له على جوارحي
وشكر المنعم في الجملة واجب بالعقل كما هو بالشرع واوجبها شكر الباري تعالى ثم شكر من جعله
الله تعالى سببا لوصول خير اليك على يده ولهذا قال عليه السلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال
عليه السلم اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا دوام لها
اذا كفرت وقال بعض العلماء كل نعمة يمكن شكرها الا نعمة الله فان شكر نعمته نعمة منه يحتاج
العبد الى شكر ثان كشكره الاول وكذلك الحال في الثالث والرابع وهذا يؤدي

الى ما لا يتناهى ولهذا قال موسى عليه السلم الهي امرتني بالشكر على نعمك وشكري لك نعمة من نعمك ومن هذا
اخذ الشاعر
اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي بها في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر
ولهذا قيل غاية شكر الله تعالى الاعتراف بالعجز عنه بل قدر ما انعم الله تعالى له ان يعد وانعم الله بتخصيصها
وايضا فكل ما يفعل الله تعالى بعبده فهو نعمة منه وان كان بعض ذلك قد يعد بلية ولهذا قال
بعض الحكماء الصالحين يا من شكره عطا وبلاؤه نعما ومن اجل صعوبة شكره قال تعالى وقليل من
عبادي الشكور ولم يثن بالشكر على الانبياء الا على اشرفهم فقال في ابرهيم عليه السلم شاكرا
لانعمه يخص لفظ الانعم الدال على ادنى العدد وقال في نوح عليه السلم انه كان عبدا شكورا واعلم
ان الصبر والشكر جماع الايمان كما روي في الخبر وقد روي الصبر نصف الايمان لكن قال بعض المتصوفة
الشكر افضل من الصبر فان الصبر حبس النفس على مساءة البلاء والشكر ان لا يلتفت الى البلاء
بل يراه من النعماء فمن صبر فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر فقد تجاوز الى اظهار السرور بما صنع
له الصابر وايضا الصبر ترك العمل السيء والشكر اظهار الفعل الحسن وليس من ترك قبيحا
كمن فعل جميلا ولما قابل تعالى الشكر بالمجازاة فعل الكسب بحسبه فقال وسيجزي الله الشاكرين
وقابل الصبر بالاجر صنيع المستاجر باجيره فقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وان الاجر وان كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء ثم ما في الصبر من علم يسم فاعله وقال
في الشكر سيجزي الله الشاكرين فانظر الى هذا اللطف في المقال فقيل انها الى الفعال
ولم يذكر ابتدائه بالشكر الا اشرف كما تقدم ووصف جماعتهم بالصبر فقال كل من الصابرين

وقال ان في ذلك لايات لكل صبار شكور فجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى لان الصبر
محمول عليه فهو اول والشكر مؤدي طبعا

باب الغيبة والنميمة

الغيبة ان يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب من غير ان احوج الى ذكره وقد عظم الله تعالى
امرها فقال عز من قائل ولا يغتب بعضكم بعضا الاية وقال ليمان حسانيهم وقال عليه السلم
لا يدخل الجنة قتات وروي النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء وقيل من يوجد عائبا الا كان
معيبا وقال الغيبة لاجل تغاب بغيره فقد تلطف بما تعافه الكرام وحق الانسان ان لا يتعودها
فان لها ضراوة ولذلك عتب انسان بالغيبة فقال لو تلطفت بها ما صبرت عنها ثم ان من عاب
اغتيب ومن عاب بعيب فحتم عيوب الناس يحمل الناس على البحث عن عيوبه وكما يجب ان
لا يتخذها ينبغي ان يتجنب سماعها وسماع كل قبيح من الكذب لئلا يعلق وضره ووسخه
بفكرته فرب كلمة عوراء لا تكاد تظهر العلة منها الا بزمان مديد وعلاج شديد وسماع القبيح
قد يصير سببا لفساد الفكر المحنك وغواية العالم المستبصر فضلا عن فساد الحدث الغر والناشي
الغمر لذلك قال تعالى في مدح قوم واذا مروا باللغو مروا كراما وقد اجاد من قال
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
ولقبح الغيبة والنميمة
المسابة قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه ما تساب اثنان الا غلب الامهما والا انحط
الاعلى الى رتبة الاسفل منهما وقيل اذا سمعت كلمة تؤذيك فتطامن لها حتى يتخطاك ه

باب الكلام القبيح

البذا الكلام القبيح ويكون من القوة الشهوية
طمعا كالرفث والسخف ويكون من القوة الغضبية طمعا متى كان معه استعانة بالقوة

الفكاهة كان عند السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردا لا يفيد نطقا كالبوك
كبير من قار عصبه وهاج هائجه والرفث فواحش الكلام في باب النكاح واوصاف
النساء وهو قبيح قال بعضهم اني لاستقبح من الرجل ان يكثر وصافا لبطنه وفرجه ومن حق الانسان
ان يصون عن ذلك سمعه كما يصون عن التفوه به فيه ولذلك قال تعالى في مدح قوم واذا
مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم الاية والسباب بلفظ الاول قدح في نسب المسبوب والثاني في نفسه او بدنه
لعاهة به وآفة والثالث في شيء يفعله او فعل به والسفه التسرع الى القول القبيح او
الفعل القبيح ٥

باب المزاح والضحك

المزاح اذا كان على الاقتصاد
محمود وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا وروي عنه عليه السلام
كلمات مازح بها وقال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط فيه يذهب بالبهاء ويجرّئ
عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين لكن الاقتصاد فيه صعب جدا لا يكاد
يوقف عليه ولهذا تحرج عنه اكثر الحكماء حتى قيل المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاخاء وقيل
لا ينتج الا الشر واما الضحك فمن خواص الانسان وذلك انه يكون من التعجب والتعجب لا يكون الا
عن فكر وبالفكر يتميز الانسان عن البهائم والاقتصاد فيه محمود ما لم يخرج عن حده كما هو في
المزاح وقيل اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وتورث النسيان وقيل كثرة الضحك
من الرعونة وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء الى غير الضحاك خ
ارب واما ايراد المضحكات على سبيل السخف فنهاية القباحة وقد قال عليه السلام ويل

للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له ويل له ٥

باب الحلف

اقبح من الكذب اليمين الفاجرة فيها مع الكذب الاستهانة بالمقسم به وحق المسلم ان يتحاشى من
الاستعانة باليمين في الحق فكيف في الباطل وان يتحقق تقدير القسم وما يتبادر به ليعلم ان الاعراض
الدنيوية اوضع امرا واحقر قدرا من ان يفزع فيها الى الحلف بالله وتقدير ذلك هو ان القائل ئل
اذا قال والله ان لي عليك كذا اي كون ذلك عليك حق كما ان وجود الله حق وهذا كلام يتحاشى
منه من في قلبه حبة خردل من تعظيم الله وقد قال تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقال
تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقال امير المؤمنين علي رضي الله عنه الحلف ينفق السلعة
ويمحق البركة ولم يحلف بشيء من يمين الا ما قول النبي عليه السلام من حلف على ما (?) له فانه
وان كان يبطل الفقهاء تصور حنثه انه فسحة في الحلف صادقا فانه يحظر الحكماء حث على ايثار تعظيم
الله تعالى وتعظيمه على ايثار المال وتعويض بان ذلك فانه عوض حاضر لا الدين والمروءة وهو
اشارة الى قوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الاية وحق العاقل اذا اضطر
اليها ان يسلك سبيل التعريض فيسد دون التصريح وما لم يضطر اليه تركه تعريضا وتصريحا وان
يقع منه سهوا احلف تبعه بالاستثناء كما قال عليه السلام من كان حالفا فليقل ان شاء الله فانه
يدفع الحنث ويذهب الحنث (?) وينجز الحاجة ويدفع اللجاجة وقيل العاقل اذا تكلم اتبع كلامه
مثلا والاحمق اذا تكلم اتبع كلامه حلفا وعلامة الكاذب جوده بيمينه لغير مستحلف قال
الشاعر وفي اليمين على ما انت واعده ما دل انك في الميعاد متهم
وقال بعض الحكماء اللغة الحلافة تدل على كذب اربابها فان ذلك لقلة الركون الى كلامهم و

جوّز النبي عليه السلام الكذب حيث اضطر إليه وجوّز الحنث في اليمين فقال إذا حلف أحدكم على شيء فرأى غيره
خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفّر عن يمينه ه **الفصل الثالث** فيما يتعلق بالقوة
الشهوية **باب الحيا** الحيا انقباض النفس عن القبائح وهو
من خصائص الإنسان وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان وجعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به
عما تنزع إليه الشهوة من القبائح فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من جبن وعفة ولذلك لا يكون المستحيي
فاسقاً ولا الفاسق مستحيياً لتنافي اجتماع العفة والفسق وقلما يكون الشجاع مستحيياً
والمستحيي شجاعاً لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة ولعزة وجود ذلك يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة
والمدح بالحيا نحو: يجري الحيا الغض من قسماتهم في حين يجري من أكفهم الدم أحمر
كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرماح دوامي ومتى قصد به دوامي
الانقباض فهو مدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح فهو مدح لكل أحد
وبالاعتبار الأول قيل الحيا بالأفاضل قبيح ومن هذا الوجه قيل عن ذي غنى يا من الهوان ومن ذي
خزاية من الاستحيا يجعلان من منبع واحد وبالاعتبار الثاني قيل إن الله تعالى يستحيي من ذي
الشيبة في الإسلام أن يعذبه أي يترك عذابه وأما الخجل فحيرة النفس لفرط الحيا ويحمد
في النساء والصبيان ويذم باتفاق من الرجال والوقاحة مذمومة بكل لسان إذ هي
انسلاخ من الإنسانية وحقيقتها لجاج النفس في تعاطي القبيح واشتقاقها من حافر وقاح
أي صلب لهذه المناسبة قال الشاعر: يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
وما أصدق قول الشاعر: صلابة الوجه لم تغلب على أحد إلا تكامل فيه الشر فاجتمعا

فأما مداواة اكتساب الحيا فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أجل من في نفسه حتى كأنه يراه
فالإنسان يستحيي ممن يكبر في نفسه ولذلك لا يستحيي من الحيوان ولا من الأطفال الذين لا يميزون
ويستحيي من العالم أكثر مما يستحيي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحيي من الواحد والذي
يستحيي منهم الإنسان ثلاثة البشر وهو أكثر من يستحيي منه ثم نفسه ثم الله عز وعلا ومن استحيا
من غيره ولم يستحي من نفسه فنفسه أخس عنده من غيره ومن استحيا منهما ولم يستحي من الله
فلعدم معرفته به فإن الإنسان يستحيي ممن يستعظمه ويعلم أنه يراه أو يسمع بخبره فيبكّته ومن
لا يعرف الله تعالى فكيف يستعظمه وكيف يعلم أنه يطلع عليه وقول النبي عليه السلام استحيوا من الله حق
الحيا في ضمنه حث على معرفته وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى تنبيهاً أن العبد إذا علم أن ربه
يراه استحيا من ارتكاب الذنب وسئل الجنيد عما يتولد منه الحيا من الله تعالى فقال رؤية العبد
آلاء الله عليه ورؤية تقصيره في شكره إن قيل كيف قال النبي عليه السلام من لا حيا له فلا إيمان له
قيل الحيا أول ما يظهر في الإنسان من أمارة العقل والإيمان آخر مرتبة العقل ومحال حصول
المرتبة الأخيرة لمن لم يحصل له المرتبة الأولى فبالواجب أن من لا حيا له فلا إيمان له وقال عليه السلام
الحيا شعبة من الإيمان وقال عليه السلام الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا ه **باب**
وأما كبر الهمة فخاص بالإنسان فأما الحيوانات فكل جنس يتحرى الفعل بقدر ما في طبعه وهو حال بين
التفنّخ وصغر الهمة فالتفنخ تأهل الإنسان لما لا يستحقه وهو البذخ وصغر الهمة تركه التفنخ
لما يستحقه وهو الدناءة وكلاهما مذمومان لكن المتفنخ جاهل أحمق والصغير الهمة جاهل غير أحمق
وليس كبر الهمة إفراطاً مذموماً في الحقيقة وإنما الإفراط يدخله كل فعل يتصوره بعض الناس

تصور علو الهمة وليس كذلك واعلم انه يقال فلان كبير الهمة وفلان صغير الهمة اذا كان احدهما
يطلب معنى اكبر واشرف مما يطلبه الآخر والكبير الهمة على الاطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية
قدر وسعه فلا يصير عبد عاريته بطنه وفرجه بل يجتهد ان يتخصص بمكارم الشريعة فيصير من
خلفاء الله او لياليه في الدنيا ومن مجاوريه في الاخرة والصغير الهمة من كان على الضد من
ذلك وقال اعرابي فلان عظيم الهمة الا انه في عنيه مكان خارج من سلطان بطنه فلا يشتهي
ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وخارج من سلطان فرجه فلا يستحق له رأيا ولا بدنا وخارج من سلطان لسانه ء فلا يستخف
ان يبطل عن ذلك فانه ان كان بعضهم حيوانا فبعقله وفعله ملكا اذا ضيع نفسه صار وفك
شرا من بهيمة وذلك هو الخسران المبين وقيل من عظمت همته لم يرض بقنية مستردة وحياة
مستعارة فان امكنك ان تقتني قنية مؤبدة وحياة مخلدة فافعل ولا تعتد بما له
فنا فالكبير الهمة على الاطلاق هو من يتحرى الفضائل لا الجاه ولا الثروة ولا اللذة ولا استشعار
نخوة واستعلاء على البرية بل يتحرى مصالح العباد شاكرا بذلك نعمة الله ومبتغيا به مرضاته
غير مكترث بقلة مصاحبيه فانه اذا عظم المطلوب قل المساعد وطرق العلا قليلة
الايناس

باب الوفا والغدر

الوفا اخو الصدق والعدل
والغدر اخو الكذب والجور وذلك ان الوفا صدق في اللسان والفعل معا والغدر كذب بهما
وفيه مع الكذب نقض العهد والوفا يختص بالانسان فمن فقد فيه فقد انسلخ من الانسانية
كالصدق وجعل الله تعالى العهد من الايمان وصيره قواما لامور الناس فالناس مضطرون
الى التعاون ولا يتم تعاونهم الا بمراعاة العهد والوفا ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع

التعايش ولذا عظم الله امره فقال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال تعالى واوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم وقال تعالى ويتأبد ونظيره قبل نزره فلبك عن الغلة وقال تعالى والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا وقال في مدح والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وعظم حال
السموأل فيما التزم من الوفا بدروع امرئ القيس ولقلة وجود ذلك في الناس قال تعالى وما
وجدنا لاكثرهم من عهد وضرب المثل به في العزة فقيل هو اعز من الوفا قال
ابى الناس الا ذميم الفعال اذا جربوا وقبح الكذب ه

باب المشاورة

المشاورة اشتقاقها من شرت الدابة اذا استخرجت جريها وهي استنباط المرء الرأي من غيره
فيما يعرض من الامور المشكلة ويكون ذلك في الامور الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها
ونعمت العدة هي قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه المشاورة حصن من الندامة وامن من
الملامة وقيل الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة
فالرأي الواحد كالسحيل والرأيان كالخيط والثلاثة امرار لا ينتقض وكفاك مدحة قول
الله تعالى لنبيه عليه السلام وشاورهم في الامر وقد استحسن الحكماء قول بشار

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح او نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة وريش الخوافي تابع للقوادم

لكن اعتبار من يحتاج
لمشورته صعب جدا فانه يحتاج ان يكون صديقا اديبا مجربا حازما ناصحا رابط الجاش
غير معجب بنفسه ولا متلون في رأيه ولا كاذب في مقاله فمن كذب لسانه كذب رأيه ويجب ان يكون
فارغ البال وقت ما يستشار وقد احسن بشار حيث قال

وما كل ذي لبٍّ بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحدٍ ... فحقٌّ له من طاعةٍ بنصيب

باب النصح

اصله من نصحت الثوب اذا خطته وهو اخلاص المحبة لغيره في اظهار ما فيه صلاحه وهو ضرب
المحبة المختصة بالفضيلة دون محبة اللذة والنفع وقد عظم النبي عليه السلام امره فقال الدين النصيحة
فقيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فبين صلى الله عليه ان النصح واجب
لكافة الناس وذلك بان يتحرى مصلحتهم في امورهم بقدر وسعه واول النصح ان ينصح الانسان
نفسه فمن غشها فقلما ينصح لغيره وحق من استنصح ان يبذل غاية النصح وان كان ذلك
في شيء يضره ويتحرى فيه قول الله يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط الآية وقوله تعالى
واذا قلتم فاعدلوا وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يزال الرجل يزداد في صحة رأيه ما نصح
لمستشيره فاذا غشه سلبه الله صحة رأيه وما الطف قول من قال اذا نصحت للرجل فلم يقبل
منك فتقرب الى الله بغشه فذلك قول القاه الشيطان على لسانه اللهم الا ان يريد
بغشه السكوت عنه فقد قيل كثرة النصيحة تورث الظنة ومعرفة الناصح من الغاش
المتنصح صعبة جدا فان الانسان لمكره يصعب الاطلاع على سره اذ هو قد يبدي خلاف ما يخفي
وليس كالحيوان الذي يمكن الاطلاع على طبيعته ٥

باب كتمان السر

السر ضربان احدهما ما يلقى الى الانسان من حديث يستكتم وذلك اما لفظا كقولك لغيرك اكتم
ما اقول لك واما حالا وهو ان يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده او يخفض صوته او يخفيه
عن مجالسيه ولهذا قيل اذا حدثك انسان بحديث فالتفت فهو امانة والثاني ان يكون حديثا

في نفسك مما يستقبح اشاعته او شيئا تريد فعله والى الاول من ذلك اشار النبي عليه السلام
بقوله من اتى منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله والى الثاني اشار من قال
من وهي الامر اعلانه قبل احكامه وكتمان النوع الاول من الوفا وهو من خواص عامة الناس والثاني (خ اعلامه)
من الحزم والاحتياط وهو من خواص الملوك واصحاب السياسات واذاعة السر من قلة الصبر وضيق
الصدر وهو يوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان والسبب في انه يصعب كتمان
السر هو ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما متشوقة الى الفعل المختص بها ولولا
ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها لما اتاك بالاخبار من لم تزود فصارت هذه
القوة تتشوق الى فعلها الخاص بها فعلى الانسان ان يمسكها ولا يطلقها الا حيث يجب
اطلاقها والحذر عنك من يسر كقول من قال   واكتم السر فيه ضربة العنق   وقول من ينشدك
وكاتم الاسرار حتى انه ليصونها عن ان يرتبها له   فذلك قول من يستنزلك عما في قلبك
فاذا استفرغ ما عندك لم يبق منه حظك وقد قيل الصبر على القبض على الجمر ايسر من الصبر على
كتمان السر وما اصدق من انبأ عن حقيقة حاله حيث قال لصديقه اريد ان افشي
اليك سرا تحفظه علي فقال لا اريد ان ارى قلبي نجواك واجعل صدري خزانة شكواك
فيقلقني ما اقلقك ويؤرقني ما ارقك فتبيت بائتا بيسير همها وابيت قلبي بحره حرجا
وقيل اكثر ما يستنزل الانسان عن سره في ثلثة مواضع عند الاضطجاع على فراشه وعند
خلوه بعرسه وفي حال سكره ومن حق من ابتلي باسرار غيره ان يجتنب المحافل لامرين احدهما ان يسا
بد النظر فيهذا يقول قد اغتابني وذا يسر بيده والثاني ربما يتبع بالفحص منطلع

على مراده ولذلك قال عليه السلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . **باب**

التواضع والكبر

التواضع اشتقاقه من الضعة وهو رضى الانسان بمنزلة دون ما
يستحقه فضله ومنزلته وفضيلة لا تكاد تظهر في اشراف الناس لانحطاط درجتهم واما ذلك
يتبين في الملوك واجلا الناس وعلمائهم وهو من باب التفضل لانه ترك بعض حقه وهو بين الكبر
والضعة فالضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به لتضييع حقه والكبر رفع نفسه فوق
قدره والفرق بين التواضع والخشوع ان التواضع يقال فيما بين رفع ووضع وانما التواضع
يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار افعال الجوارح ولذلك
قيل اذا تواضع القلب خشعت الجوارح قال تعالى خاشعة ابصارهم وقال وخشعت الاصوات
للرحمن وقد عظم النبي عليه السلم التواضع فقال طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من
من غير مسكنة وقيل لبزرجمهر هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلا لا يرحم صاحبه عليه فقال نعم اما
النعمة فالتواضع واما البلا فالكبر وقال بعض الحكما وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد
عند الحكما من الكبر مع الادب والسخا فانبل بحسنة غطت على سيئتين وافتح بسيئة
غطت على حسنتين والكبر ظن الانسان بنفسه انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك وهذه
صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب ولذلك صار مدحا
في الباري تعالى وذما في البشر وانما شرف المخلوق في اظهار العبودية كما قال تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله لا يعني بها ان ذلك رفعة لا ضعة والمتكبر والضرع كلاهما جاهل
لكن الضرع غبي والمتكبر غبي احمق وشتان ما بينهما فالغبي قد يتادب والاحمق لا سبيل الى

تاديبه وان الضرع قد ترك ما له والمتكبر ادعى ما ليس له وشتان ما بين المنزلتين وان الكبر يتولد
من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل راس الانسلاخ من الانسانية ومن الكبر
الامتناع من قبول الحق ولذلك عظم الله تعالى امره فقال انه لا يحب المستكبرين وقال اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين وقال اليوم تجزون عذاب الهون الايه وقال وكذلك يطبع الله على قلب كل متكبر
جبار وقال عليه السلم يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قذفته
في نار جهنم ونبه الله على مبلغ فعله احسن تنبيه فقال تعالى ولا تمش في الارض مرحا الايه واقبح
كبر من الناس ما كان معه بخل ولذلك قال عليه السلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل والكبر ويحسن
قول الشاعر   جمعت امرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك وافعال المماليك
ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناة عنصره ومن تكبر في نسب ذاته مغرور حبذا وسنها ه   نزكب
وارساطة عن نقصه ورفض كبره وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله فلينظر الانسان مم خلق الايه
وقال تعالى قتل الانسان ما اكفره وقال انا خلقنا الانسان من نطفة الايه والى هذا المعنى اشار
ونظر مطرف بن عبد الله الشخير الى المهلب اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة
وانت تحمل فيما بين ذلك عذرة واخذ الشاعر منه فقال   كيف يزهى من رجيعه ابد الدهر ضجيعه
وقال يا قرب العهد بالمخرج لم لا تتواضع   ومن كان تكبره لغنية فليعلم ان ذلك ظل زائل وعار
مسترده والاستطالة اظهار الطول لمن اظهر ذلك من غير طول فقد انسلخ من الانسانية ومن
اظهره مع الطول فقد ضيع طوله والصلف يقال باعتبار الميل في عنقه والصعر ميل في خده
ولذلك استعمل في ذلك ثني الراس نحو قوله تعالى لووا رؤسهم والباو استغنا النفس بالترفع

عن الانقياد للواجب والخجل الا ان يظن بنفسه ما ليس فيها من فنون الخلق ولنفسر هذا المعنى
فالحكيم اعجاب المرء بنفسه ان يظن بها ما ليس فيها مع ضعف قوة تمييزه وقلة تجاربه والزهو
الاستخفاف من الفرح بنفسه فاما العزة فالترفع بالنفس عما يلحقه غضاضة واصلها
من العزاز وهو الارض الصلبة فالمتعزز من حصوله في عزاز المحقة فيه غضاضة كالمتطلف
في كونه في طلعة من الارض المحقة فيه خذله والعزة حسن لشرفه وهي نتيجة معرفة الانسان
بقدر نفسه واكرامها عن الضراعة للاعراض الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه
وانزالها فوق منزلتها وكثيرا ما يتصور احدهما بصورة الآخر كتصور التواضع والتضرع والتذلل
بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن لمن قال له ما اعظمك
في نفسك فقال لست بعظيم ولكني عزيز وقد قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال النبي
عليه السلام لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه ولما قلنا قالوا التكبر على الاغنيا تواضع فيشبها ان هذا
التكبر في الحقيقة عز نفس من اجل ان هذا التكبر غير مذموم قال تعالى سيتكبرون في الارض بغير الحق
فشرط غير الحق وقال ابن مسعود من خضع لغني ووضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا مروته وشطر
دينه ٥ باب الفخر الفخر هو المباهاة بالاشيا الخارجة
عن الانسان وذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله فاعراض الدنيا عارية
مستردة ولا يومن في كل ساعة ان ترتجع والمباهي بها مباه بغير ما هو له ومتبجح بما في بطن سواه كالفاخرة
يتبجح بينها بلا هو ادون من ذلك ولهذا قال بعض الحكما لمن افتخر بآبائه ان افتخرت بفرسك فالحسن
والفراهة له دونك وان افتخرت بثيابك والآلة فالجمال لها دونك وان افتخرت بآبائك فالفضل

فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الاشيا لقالت هذه محاسننا فما لك من الحسن وايضا فالاعراض
الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع وظل زائل عن قريب يضمحل كما قال الشاعر
انما الدنيا كرؤيا فرحت من رآها ساعة ثم انقضت ۞ بل كما قال الله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السما الاية فان افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك فما ذا يعجبك من الدنيا
شي فاذكر فناك وبقاه او بقاك وزواله او فناكما جميعا واذا رايت ما هو لك فانظر الى قرب
خروجه من يدك وبعد رجوعه اليك وطول حسابك عليه ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وقد
ذم الله تعالى الفخر فقال والله لا يحب كل مختال فخور ٥ باب العجب
العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها ولهذا قال اعرابي لرجل رآه
معجبا بنفسه يسرني ان اكون عند الناس مثلك في نفسك وان اكون في نفسي مثلك عند الناس
فتمنى حقيقة ما يعتقده المخاطب ورأى ان ذلك انما تم حسنه متى هو عرف عيوب نفسه وقد
نبه المحسن من شرار الناس فالعز يرى انه افضلهم وقال بعضهم الكاذب في نهاية البعد من الفضل
والمرائي اسوأ حالا من الكاذب لانه يكذب بفعله وقوله والمعجب اسوأ حالا منهما فانهما يريان
نقص نفسهما ويريدان اخفاءه والمعجب عمي عن مساوي نفسه فيراها محاسن فيبديها ولهذا قال
وان المرائي والكاذب قد ينفع بهما كالملاح خاف ركابه الغرق من مكان في البحر فبشرهم بتجاوزه
قبل ان يجاوزه لئلا يضطربوا فيتعجلوا الغرق فيردي بهم ذلك الى العطب وقد يجتهد الرئيس اذا
قصد ان يقتدى به في فعل الخير والمعجب لا حظ له في ذلك بوجه ولانك اذا وعظت المرائي
والكاذب فنفسهما تصدقك ويبكتهما لمعرفتهما بنقصهما والمعجب لجهله بنفسه يظنك في وعظه

بنقصه

ملقيا فلا ينتفع بما لكدره اياه فقد نبه تعالى بقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ثم قال فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات منبها انهم لا يغفلون لاعجابهم وقال النبي عليه السلام ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الحكماء اذا ظفرت من ابن ادم بثلث
لا اطالبه بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وكما ان المعجب بفرسه وان
كان رديا لا يروم ان يستبدل به غيره كذا المعجب بنفسه لا يريد بحاله وان كانت ردية
بدلا واصل الاعجاب من حب الانسان نفسه وقد قال عليه السلام حبك للشي يعمي ويصم ومن عمي
وصم تعذر عليه رؤية عيوبه وسماعها فيجب علينا ان نجعل على انفسنا عيونا تعرفنا عيوبنا
فنحو ما قال عمر رضي الله عنه رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي ويجب للانسان اذا راى من
غيره سيئة ان يرجع الى نفسه فان راى ذلك منها نزعها ولم يغفل عنها
من جهل نفسه فقدره راى غيره منه ما لا يرى   والتيه قريب من العجب لكن المعجب
يصدق نفسه فيما ظن بها توهما والتياه يصدقها قطعا كانه متحيز بتيه ٥

باب انواع اللذات وتفاضلها   اللذة ادراك المشتهى والشهوة
انبعاث النفس لنيل ما تشوقه وهي ثلث بحسب القوى الثلث وبحسب المقتنيات الثلث لذة
عقلية وهي التي يختص الانسان بها كلذة العلم والحكمة ولذة بدنية تشارك فيها جميع الحيوان
الانسان كلذة المأكل والمشرب والمنكح ولذة مشتركة بين الانسان وبين بعض الحيوان
كلذة الرياسة والغلبة واشرفها واجلها وجوه اللذة العقلية فشرفها انها لا تملّ
ولا تبتذل بها لكن لا يعرفها الا من يختص بها فالحكمة لا يستلذها الا الحكيم وادون اللذات

منزلة واكثرها وجودا اللذة البدنية نحو لحيوان يشوبها لكن تملّ تارة وتزداد تارة وهي
ممزوجة مداواة من الام وممزوجة بالالم وعلى هذا قال الحسن في وصف الانسان صريع جوع
وقتيل شبع وجميع اللذات تنقسم عشرة اقسام ماكل ومشرب ومنكح وملبس ومشم ومسمع
ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الالات وما تشبهها وقد جعل ذلك سبعة وادخل المركب
والخادم والمرفق وما يجري مجراه داخلا في جملة المبصرات وعلى ذلك ما روي عن امير المؤمنين
علي رضي الله عنه حين قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس فقال يا عمار علام تنفسك ان
كان على الاخرة فقد ربحت تجارتك وان كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك فاني وجدت
لذاتها سبعا المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات
والمسموعات والمبصرات فاما المأكولات فافضلها العسل وهي صنعة ذباب واما
المشروبات فافضلها الماء وهو مباح اهون موجود واعز مفقود واما المنكوحات فمبال
في مبال وحسبك ان المرأة تزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها واما الملبوسات
فافضلها الديباج وهو نسج دود واما المشمومات فافضلها المسك وهو دم فارة
واما المسموعات فريح هابة في الهوا واما المبصرات فخيالات صائرة الى الفنا
وقد ذكر الله عز وجل اصل ذلك في قوله زين للناس حب الشهوات الاية والمشار اليه
بحب الدنيا هذه الاشيا السبعة على ما ذكر امير المؤمنين علي رضي الله عنه والعشرة على ما ذكر
غيره وكلا القولين صحيح في التفصيل والمراد بالنسا اقتناؤهن والاستكثار منهن وبالبنين
الذكور الاولاد والحفدة والخدم وبالانعام الازواج الثمانية وبالخيل المسومة السائمة

منها المستعملة. واعلم ان التي هي ضرورية للانسان من هذه اللذات ولا قوام له في هذه
الدنيا الا بها ما هو مشترك بينه وبين جنسه من الحيوان المأكل والمشرب ويجمعهما اسم الغذاء
والمنكح فبالغذاء بقاء الاشخاص وبالنكاح بقاء الانواع ولذلك صارت الحاجة اليهما ضرورية
وصارتا لهما لابد للناس منه وسائر اللذات مخصوص بها الانسان وليس بضروري له وتناوله
تفكه وبالغ الملوك من هذه الملاذ الا اشرف السماع لكونه من وجه لذة روحانية والثنا
لكونه دالا على الهمة الرفيعة ومتى كانت الشهوة مناسبة عقلية كاهتمام بدينه قيل لها الحرص
والحرص فيه يكون محمودا ولذلك قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ومتى كانت الشهوة
للقنيات قيل لها الشره سواء كان مالا او طعاما او نكاحا ومتى كانت للطعام قيل لها النهم
واذا كانت للنكاح قيل لها الشبق وثلثتها اعني النهم والشبق والشره مذمومة وما روي
من قوله عليه السلم منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم فالنهم في العلم استعارة
وهو ان يحمل على نفسه ما يقصر قواه عنه فينبت وقد قال عليه السلم ان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى

باب فيما يحسن تناوله من المطعم وما

ينبغي منه الغذاء ضربان احدهما ما لا يستغنى عنه في قوام البدن كالطعام الذي يتغذى
به والماء الذي يروى والانسان اذا تناول من ذلك مقدار ما لا يمكن التبلغ باقل منه على ما
يجب وكما يجب بقدر ما يجب فمشكور ومأجور وعلى هذا ما روي عند اكل الصالحين تنزل الرحمة
وحقه ان يتناوله تناول المضطر ما يتغذاه له وان يرى ادخاله جوفه كدخول المستراح
ويحق ان نسبة الانسان الى الغذاء والثمار كنسبة الجعل الى الروث فلو نطق الشجر

لقال للاكل انت تاكل فضالتي كما اكل الجعل فضالتك بل الحري اذا استطاب فضالة
الانسان ما هو الا كاستطابتنا لفاظة الشجر وبهذا يعلم ان شرف المطعم والمشرب ما افاد فيه
لا بالاطلاق فالق ايها الانسان عن عينيك الدثار واجل البصيرة واستعمل الاعتبار تجد
صدق ما قلت ومن تناول من الطعام اكثر من ذلك كره له طبا وشرعا اما طبا فان الدا
اكثر ما ينشأ يكون من الطعام او الشراب وقد قال النبي عليه السلم البطنة اصل الدا والحمية اصل
الدواء وعود كل بدن ما اعتاد وقال ابن كلدة المتطبب ما ترك النبي عليه السلم في الطب شيا الا
اتى به في هذه الكلمات الثلث واما شرعا فقد قال عليه السلم ما من وعا ابغض الى الله من بطن
ملي من حلال وذلك ان امتلا البطن مقوي للشهوة وتقوية الشهوة داعية الهوى والهوى
اعظم جند للشيطان ومن اشبع هواه واسترخى بدنه حل كل عضو منه جزء وسعة له بفعله
وكثر جنود الشيطان والشيطان اذا تسلط على الانسان سباه من ربه وصرفه عن بارئه بارخبه
وقيل لحكيم ما بالك لا تدع كبرك لا تستقيد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر
فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش
والضرب الثاني من المطعم ما يستغنى عنه ولو توهمناه مفقودا لم يخل بافساد البدن واعظمها
ضررا المسكر فتعاطيه ليس بضروري وتناوله تسهيل لطريق الشيطان الى تهييج القوى السبعية
واثارة سلطان الهوى كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الاية وقيل
حيث الشراب واللهو لا تسكن العفة والحكمة فان قيل فقد قال الله تعالى قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فلم يخص من اكل الغذا دون غذا وجنسا دون جنس

قيل الطيب التام الطيب هو الذي جمع اللذة والنفع والفضيلة وذلك هو قدر المتبلغ به
على ما يجب وكما يجب ألا ترى أنه كيف ذم من لم يكن ذلك قصده فقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الا انه
ويلههم الأمل فسوف يعلمون وقال تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام
والنار مثوى لهم ومن الدلالة على خسة كثرة الأكل ادعاء عامة الناس الاستغناء بالقليل
وقلة وجود المفتخر بكثرة الأكل وقيل من همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه
وقد استحسن قول الشاعر   وإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا
وقال عليه السلام حسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب لقيمات خ
وثلث للنفس وقال عليه السلام المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء فنبه
في الخبرين أنه لا يستحب للإنسان أن لا يأكل في شبع بطنه وهو ما ذكر من اللقمات وذلك دون
عشر لقمات لا أن تجمع بالعدد التام ما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه النهم أن يبلغ ثلث
بطنه فيحصل من ذلك أن أكل المؤمن في اليوم يجب أن يكون سبع بطنه أو ثلثه ۝

باب ما يحسن من المنكح وينبغي منه

قد تقدم أن النكاح
ضروري في حفظ النسل وبقاء النوع كما أن الغذاء ضروري في حفظ الشخص ولذلك قال
عليه السلام تناكحوا تكثروا وقال خير النساء الولود الودود وشرها العقيم وقال صلى الله عليه وسلم
تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم وقال عليه السلام سوداء ولود خير من حسناء عقيم
ولقصد النسل حظر إتيان النساء في محاشها وعلى هذا نبه بقوله تعالى نساؤكم حرث لكم
فأتوا حرثكم أنى شئتم فنبه أنه لا يجوز إتيانها إلا في المحرث وكره العزل تأكيداً للمقصود

من الجماع وعلى ذلك نبه بقوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم وتحري النكاح على ضربين أحدهما على
الوجه الذي يقتضيه الشرع وذلك إما محمود وهو أن يتعاطاه قاصداً به النسل أو مزيلاً
على ما يجب لوجهه ومسكناً لنفسه فأما إذا أجمع في مقره بحيث يحتاج أن يلقى في تهييج بعظم
بحبس الفضل ويدعو صاحبه إلى ما هو في الشرع محرم وإما مكروه طباً وإن لم يكن مكروهاً شرعاً
وذلك أن يتعاطاه لا لما ذكرنا مما تقدم ذكره فإنه يفسد العمر ويستنفد القوى ويوسع
أوعية المني ويجلب إليها دماً كثيراً ويزيد شهوة وأعظم فائدة فيه أن يلحق صاحبه بأفق البهائم
من التيوس والثيران ونحوها مما وصفنا بالشبق والضرب الثاني هو أن يكون على غير الوجه
المشروع وذلك ضربان أحدهما تعاطيه في المحرث ولكن على غير الوجه الذي يجب وكما يجب كالزنا
وقد عظم الله أمره فقرنه مرة بالشرك فقال الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية
لا ينكحها إلا زان أو مشرك ومرة بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال والذين لا يدعون مع الله
إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون وسمى ذلك سفاحاً من حيث أن
المجتمعين عليه لا غرض لهما سوى سفح الماء للشهوة لكن تضييع ما في غير حرثه والثاني تعاطيه في غير
المحرث كاللواطة وهي أعظم من الزنا لأن الزاني وضع البذر في المحرث على غير الوجه الملائم
فهو كما لو زرع في أرض غيره على غير الوجه الذي يجب أن يزرع فيها ومن اللواطة مع ذلك
تضييع البذر فمتعاطيها ممن قال الله تعالى فيه ويهلك الحرث والنسل ولهذا وصف الله تعالى
قوم لوط بالإسراف فقال إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وأما
المحتشي للشهوة فخارج عن جملة ما وضع من أجله الجماع ومتجاوز لحد البهائم في عدم ملكة النفس

ردم الهوى لان المعشوق لم يرض بارادة لذة الباءة التي هي من اسمح الشهوات بل ارادها من موضع
واحد فازداد لذلك عبودية على عبودية وذلا على ذله والبهيمة احسن حالا منه لانها اذا اسقطت
الاذى عن نفسها بالسفاد سكنت فعادت الى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة
الشهوة واستجلابها وانما اعطانا الله تعالى العقل لنقمع به الشهوة القبيحة لا لنجعله خادما لها
وساعيا في جمعها وتعاطي العشق حال كل جاهل فارغ سيما اذا نظر في اخبار العشاق وحالهم
وربما يؤدي بالعاشق الى الرق والذبول لا الى الموت قال الشاعر
لو فكر العاشق في منتهى معشوقه قصر عن عشقه — ومن اثار شهوته كمن يثير بها بهيم عادية
وسبعا ضارية ثم يلتمس دفاعها والخلاص منها وكفى بما يهتاج من باعث الطبيعة عن اثارتك
بالفكر والروية فمن اعان الطبيعة على ذلك فهو كما قيل
كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا — وقال الحكيم لتلميذ له هوي جارية — الناس
هل تشك في ان الابدان تفارقها سوما ما فقال لا فقال فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك اليوم
في يوم حل هذا واربح ما بينهما من الحزن المنتظر وصعوبة معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام
الالفة اليه وقيل لبعض الحكماء ما العشق فقال جنون لا يؤجر عليه صاحبه وسئل اخر عنه فقال مرض
نفس فارغة لا همة لها وقال اخر هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة ما شاروا كلهم الى معنى
واحد

باب في ذكر العفة

العفة تتعلق اما بالقوى
الشهوية والتي تتعلق من القوى الشهوية الا بالملاذ الجسمانية وهي المتعلقة بالقاربين البطن
والفرج دون الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المستحسنة فانه قيل فاستطابة الرائحة

قد يكون للبهائم الا ترى ان الذئب يستطيب ريح الغنم والكلب يستطيب ريح الارنب فقيل
ان استطابتهما لذلك استطابة الاكل لا الذي قلناه من الرائحة وهو ما يستطاب لذاته لا
لاجل غيره وما هو لاجل احد القاربين فحكمه حكمهما كاستطابة الانسان ريح السكباج فثبت
ان العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الجسمانية وهي حال متوسطة بين افراط هو الشره
وتفريط هو خمود الشهوة وهي اس الفضائل من القناعة والعفة والزهد وغنى النفس
والسخاء وعدمها يعفي على جميع المحاسن وتعرى عن لبوس المحامد ومن اتسم بسمة العفة
فما من العفة لا يجمع ما سواها من الفضائل وسهلت له سبيل الوصول الى المحاسن واتيها
تتعلق بضبط القلب عن تطلع الشهوات الدنية عراعفا دملكو جالبا للبغي والعدوان
وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني وسوء الظن اللذان هما
اس كل رذيلة لان من تمنى ما في يد غيره حسده واذا حسده عاداه واذا عاداه نازعه
واذا نازعه ربما قتله ومن اساء الظن عادى وبغى وتعدى ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعا
فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
فالمانع منهما يقطع شجرة تتفرع عنها جل الرذائل والمآثم ولا يمكن الانسان تمام العفة — بقلع اصل خ
حتى يكون عفيفا اليد واللسان والسمع والبصر فمن عدمها في اللسان السخرية والتجسس
والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالالقاب ومن عدمها في البصر مد العين الى المحارم وزينة
الحيوة الدنيا المولدات للشهوات الردية ومن عدمها في السمع الاصغاء الى المسموعات القبيحة
وعماد عفة الجوارح كلها ان لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص به كل واحد منها الا ما يسوغ

فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوى واعلم انه ليس المتعفف عفيفا الا بشرائط وهي
ان لا يكون تعففه عن الشيء انتظارا لاكثر منه او لانه لا يوافقه او لجمود شهوته او لاستشعار خوف
من عاقبته او لانه ممنوع من تناوله او لانه غير عارف به لقصوره فان ذلك كله ليس بعفة بل هو اصطياد
او تطبب او مرض او حزم او عجز او جهل ومن ترك ضبط النفس عن الشهوة اذم من تركها عن الغضب فالشهوة
تعتنا لها مخادعة والغضب مغالبة والمنخدع عن المخادع ارذل حالا من المنخذل عن المغالب ولهذا — خ مختار له
قيل عبد الشهوة اذل من عبد الرق وايضا فالشره قد يجهل عيبه فهو شبيه بدنية لهم سنة
ردية واهلها يدعون صحتها ومن لا يضبط نفسه للغضب لم يكد يجهل عيبه فهو شبيه بدنية لهم — خ الاتحاد
سنة ردية يتعاطونها وهم يعرفون قبحها وليس من يتعاطى قبيحا لا يعرفه كمن يتعاطاه وهو يظنه
حسنا.

باب القناعة والزهد

القناعة الرضى بما دون
الكفاية والزهد الاقتصار على الزهيد اي القليل وهما متقاربان لكن القناعة تقال اعتبارا
برضا النفس والزهد يقال اعتبارا بالمتناول لحظ النفس وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد
لا زهد ولذلك قال بعض الصوفية القناعة اول الزهد تنبيها ان الانسان يحتاج اولا
الى قدع نفسه والتخصص بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد والقناعة هي الغنى الحقيقي
فالناس كلهم فقراء من وجهين احدهما افتقارهم الى الله عز وجل كما قال عز من قائل يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله والثاني لكثرة حاجاتهم فاغناهم اقلهم حاجة ومن سد مفاقره بالمقتنيات
فما في انسدادها مطمع فانه كمن يرقع الخرق بالخرق ومن يسد الفقر بالفقر ومن سدها بالاستغناء
عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول الضروري منها فهو الغني والمقرب من الله كما اشار تعالى

اليه فيما حكى عن طالوت ان الله مبتليكم بنهر الاية وان الغني من عدم الحاجة فاغناهم اقلهم حاجة
ولذلك كان الله تعالى اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به البتة وعلى هذا دل النبي عليه السلم بقوله ليس الغنى
بكثرة العرض وانما الغنى غنى النفس ومن ابيات الحكمة

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة ... فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

والمجبر ان يستغني
عن الدنيا ومن ان يستغني بها كالمجبر ان يكون مالكا او مملوكا وقويا او ضعيفا ومعافى او
مبتلى وحيا او ميتا فمتى اختار الا يستغني بها فقد اختار ان يكون مملوكا وضعيفا ومبتلى
ولهذا قال النبي عليه السلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
وقيل لحكيم لا تغتم فقال لاني لم اتخذ ما يغمني فقده واعلم انه ليس الزهد من ترك
المكاسب فيستغني كما توهمه قوم افرطوا حتى قربوا من مذهب المانوية والبراهمة والرهابنة فان ذلك
يؤدي الى خراب العالم ومضادة الله تعالى فيما قدره ودبره وقد تقدم ذلك والزهد من وجه
ضرب من الجود والجود ضربان جود بما في يدك متبرعا وجود عما في يد غيرك متورعا وذلك اشرفهما
ولا يحصل الزهد في الحقيقة الا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف عيوبها وآفاتها ويعرف ما يستغنى
عنها ويعرف الآخرة وافتقاره اليها ولا جرم ان لا يتم ذلك الا من العلم قال الله تعالى قال الذين يريد — ون
الحيوة الدنيا يا ليت لنا الاية وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير الاية ولان الزاهد في الدنيا
راغب في الاخرة فهو يبيعها بها كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة ومحال ان يبيع كيس عينا باثر الا اذا عرفهما وعرف فضل المبتاع على المبيع وقيل لبعض
الزهاد ما ازهدك واصبرك فقال اما زهدي فرغبة فيما هو اعظم مما انا فيه واما صبري فلجزعي من

باب الورع

الورع اصله جبن وضعف وقد يستعمل كل واحد منهما لكن جعل في عرف الشرع لترك التسرع الى تناول اعراض الدنيا وذلك ثلاثة ضروب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف عن الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل الضرورات وذلك للنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقد ما اعلمنا الله لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس ومنها لاعتبار المنزل الثاني لما قال له رجل ما اشد الورع ما ايسر الورع اذا شككت في شي فدعه

الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبية

باب ما يتبع من القوى الغضبية

الحمية وهي قوة الغضب متى تحركت تحرك دم القلب فيتولد منه ثلثة احوال وذلك انها اما ان تتحرك على من فوقه او على من دونه او على نظيره فان كان ذلك على من فوقه ممن يظن انه لا سبيل الى الانتقام منه تولد منها انقباض الدم وذلك هو الجزع وان كان على من دونه ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه تولد منه فوران دم القلب لارادة الانتقام وذلك هو الغضب وان كان على نظيره ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط وذلك هو الوتر والحقد ولكون الغم والغضب بالذات واحدا واختلافهما بالاضافة سئل ابن عباس فقال مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه اظهره غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا ومن هذا قال الشاعر

فحزن كل اخي حزن اخو الغضب

وانبساط دم القلب للحقد يحمر منه وجهه وينتفخ اوداجه

كان يلتهب ويسود وجهه نارا وذلك اذا اكثر واشتد غضبه كان في غاية فيسود وجهه وانقباض دم الجزع عن ظاهر الجلد واجتماعه في القلب يصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك ولتردد ذد
دم الحقد بين هذه الاحوال يحمر ويصفر ويسود والحقد هو الغضب لكن قد يستعمل اذا كان معه قصد المغضوب عليه ولذلك قيل الحقد داء الاسد

باب انواع الصبر

وتحرير الصبر ضربان جسمي ونفسي فالجسمي هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية وهي ثابتة معلومة واكثرها لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر

والصبر بالارواح يعرف فضله صبر الملوك وليس بالاجسام

وذلك في الفعل كالمشي ورفع الحجر وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع والثاني نفسي وبه يتعلق الفضيلة وذلك ضربان صبر عن تناول المشتهى ويقال له العفة وصبر على تحمل مكروه او محبوب وذلك تختلف اسماؤه بحسب اختلاف مواقعه وان كان في نزول مصيبة فاقتصر به اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع والحزن وان كان في احتمال الغنى فقد يسمى ضبط النفس ويضاده البطر وان كان في محاربة يسمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان في امساك الغضب يسمى حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده ضيق الصدر والضجر والتبرم وان كان في امساك كلام في الضمير يسمى كتمان السر ويضاده الافشا وان كان عن فضول العيش يسمى قناعة وزهدا ويضاده الحرص والشره ولكون الصبر عاما قال تعالى والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس الا ترى كانهم يصبرون في الباسا اي الفقر وفي الضرا اي المصيبة وحين الباس اي المحاربة فالعمهم ضبط النفس يعالج الاتيان الملك

والصبر يقال في الأشياء المختلفة، وقال بعضهم بل هما من الأسماء المترادفة على معنى واحد، إن قيل
ما معنى قول النبي عليه السلام: الصبر نصف الإيمان؟ قيل لما كان جميع المحامد ضربين ترك الشر ويعبر
عنه بالصبر وفعل الخير ويعبر عنه بالشكر صار الصبر الذي هو ترك الشر نصف الإيمان ٥

باب الشجاعة

الشجاعة إن اعتبرت في النفس
فصرامة القلب على الأهوال وربط الجأش في المخاوف، وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على
موضع الفرصة، وهي فضيلة بين التهور والجبن، ويتولدهما من الغضب والفزع إذا كانا متوسطين،
فإن الغضب قد يكون مفرطاً كمن يحتدم سريعاً من أشياء صغيرة، وقد يكون مفرطاً كمن لا يغضب من
الأمور العظيمة ويشتم أبيه وأمه، وقد يكون متوسطاً كما يجب وقدر ما يجب، وكذلك الفزع يكون
مفرطاً فيتولد منه الجبن الهالع، ومفرطاً فيتولد منه الوقاحة أو الغارة كمن لا يفزع من شتم
آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه به، وقد يكون متوسطاً كما يجب وقدر ما يجب، ولكونهما أعني الغضب
والفزع على حالين محمودة ومذمومة صار يحمد تارة ويذم تارة أخرى، فإن الغضب في نحو
قوله تعالى وغضب الله عليهم، والفزع في نحو قول الشاعر: فزعت لظلمه، محمودان، والتهور
من النبات المذموم في الأمور المعطبة، والجبن من الفزع المذموم من الأمور المعطبة، وأنواع
الشجاعة خمسة: سبعية كمن أقدم لثوران غضب وتطلب غلبة، وبهيمية كمن حارب توصلاً
إلى مأكل ومنكح، وتجربية كمن حارب مراراً وظفر فجعل ذلك أصلاً يبني عليه، وجهادية كمن حارب
ذباً عن الدين، وحكمية وهي ما يكون في كل ذلك عن فكر وتميز وهيئة محمودة بقدر ما يجب وعلى ما يجب،
ألا ترى أنه يحمد من أقدم على كافر غضباً لدين الله أو طمعاً في ثوابه أو خوفاً من عقابه أو اعتماداً

على ما رأى من إنجاز الله تعالى وعده في نصرة أوليائه، فإن كل ذلك محمود وإن كان بعض
الشجاعة أن لا يقصد بالإقدام حوز ثواب ودفع عقاب، فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم،
والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحكمة وإخلاص الدين وبين المقدم في الحرب لغيره أن المقدم
لغير الحكمة والإخلاص كان الموت أكثر ما خاف، والمقدم للحكمة والإخلاص بالضد
من ذلك فإنه يختار الموت الحميد على الحياة الذميمة، ولذلك قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:
أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة
على فراش، ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الإنسان نفسه أو غيره، وكل واحد منهما ضربان: مجاهدة
النفس بالقول وذلك بالتعلم، وبالفعل وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية، ومجاهدة الغير بالقول
وذلك بتقرير الحق وتعليمه، وبالفعل وذلك بمدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب ٥

باب

أسماء أنواع الفزع والجزع والفرق منها وما يحمد منها وما يذم: الفزع والجزع أخوان، لكن
الفزع ما يعتري من الشيء المخيف، والجزع ما يعتري من الشيء المؤلم، والفزع لفظ عام سواء كان
عن ضار عن أمارة أو دلالة أو خاصاً عن ذلك، ومتى كان ذلك عن عار فهو الحياء والخجل، ومتى كان
عن شيء يضر فهو الفرق والذعر، ومتى كان لفوت محبوب فهو الإشفاق، ولهذا قال حكاية عن
أهل الجنة إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين، والخوف توقع مكروه عن أمارة، والخشية خوف يشوبه
تعظيم والمخشي مع المعرفة، ولذلك قال عز وجل من خشي الرحمن بالغيب، والوجل استشعار
عن خاطر غير ظاهر ليس له أمارة، قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، والرهبة
خوف مع تحرز واضطراب، ولتضمن الاحتراز قال الله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي

فان منون الهيبة رهبة جالبة للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستجاع كل محتشم قال
الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها وهذه الاشياء قد من عن خ
تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار الامور الاخروية قال الله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال واياي فارهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء
والخوف من الله ليس يشار به الى الخطر البال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب من الاسد
وانما يشار به الى ما تقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصي ولذلك قيل لا تعدن خائفا من
لم يترك الذنوب وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون اي
لا تفعلوا ما تقتضيه الخوف منه وافعلوا ما تقتضيه خوفي ان قيل كيف مدح المؤمن بالخوف
والحزن مع قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل انما الممدوح به
هو فيما وذلك انما هو الى العبادات واما المنفي عنهم منهما اللذان يكونا من الشره من الاشرار خ

باب مداراة الغم وازالة الخوف حق الانسان ان يعلم الحزن خ

ان الدنيا جمة المصائب رنقة المشارب تثمر للبرية اصناف البلية فمع كل لقمة غصة
ومع كل جرعة شرقة فهي عدوة محبوبة كما قال ابو نواس اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق وقد روي عن الحسن انه قال ما تمثلنا مع الدنيا الا كما قال
كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت فما احد منها الا وهو ء
في كل حال غرض لاسهم ثلثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية
يناضله الافات من كل جانب فتخطيه يوما ويوما تصيبه وقال بعض الحكماء اسباب الحزن

فقد محبوب او فوت مطلوب ولا يسلم منهما انسان لان الثبات والدوام معدومان
في عالم الكون والفساد فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه فهو غير عاقل لانه يريد ان
يملك ما لا يملك ويجد ما لا يوجد ويحق المرء ان لا يخلي قلبه من اعتبار ما يرى من ارتجاع ودا بعها
من اربابها وحلول تغير احوالها باصحابها ومما احسن ما قال ابن الرومي

المرء يرزأ الدهر من قبل كونه كفاحا اذا افكرت في كلمات
فالكل امرئ منا من له بشبك اشد عن من تعنبا ت
فان قلت مكروه اتانا فجاءة فما موجت نفس مع الخطرات
ولا عوفيت نفس تبلوى وقد دان عظات من الايام بعد عظات
اذا بغتت اشياء قد كان مثلها قديما فلا تعتدها بغتات

ثم من حقه ان يعلل من افتنا ما نوبه الحزن فقد قيل لحكيم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ج
ما يغمني فقده واخذ الشاعر ذلك فقال ومن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
وقيل للحكيم فلان يمكن الانسان ان يعيش امنا فقال نعم اذا احترز من الخطية وقنع بالقدر ولم يحزن
لما سوى واقع به لا محالة واعلم ان الجزع على ما فات لا يلم ما تشعث ولا يبرم ما انتكث كما قال
وهل جزع مجد علي فاجزعا فاما غمه على المستقبل فلا يخلو من ثلثة اوجه اما من شيء يمتنع
كونه او واجب كونه او ممكن كونه فان كان على ما يمتنع كونه فليس ذلك من شان العاقل وكذلك
ان كان من قبيل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العباد وان كان ممكنا كونه فانه
ان كان من الممكن الذي لا سبيل الى دفعه كاتيان الموت قبل الهرم فالخوف له جهل واستجلاب
فالحزن

لدفاعه

عن الى غيره وان كان من الممكن الذي يصح دفاعه فالوجه ان يحتال لدفعه بفعل غير مشوب
بحزن فان دفعه والا فليلقاه بصبر ولتتحقق معنى قوله ما اصابكم من مصيبة في الارض ولا
في انفسكم الاية فمن علم ان ما جرى في حكمه وسبق في علمه لا سبيل الى ان لا يكون هان عليه الكون
واعلم ان الذي يغر الناس حسن ظنهم باختيار الآفات واغترارهم حالا بعد حال بصفاء
الاوقات لو تاملوها بالبصيرة لتحققوا انها كما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه ما قال الناس
لقوم طوبى لكم الا وقد خبا لهم الدهر يوم سوء   ان الليالي لم تحسن الى احد الا اساءت اليه بعد احسان
واما سبب الاغتمام بالموت فلا ينفك من اربعة اوجه اما لفوات شهوات بطنه وفرجه واما على
تخلفه من ماله وولده اما على جهله بما له واما خوفا لما قدمه من عصيانه فان كان ذلك لشهوة بطنه
وفرجه فليعلم ان ذلك كشهوة دا يقابله بدا مثله فان الانسان لا يستلذ الطعام حتى يجوع
والجوع دا مهروب منه والشبع دا مهروب منه فمثل من يستطيب الجوع ليستطيب به الاكل
كمثل من يستطيب القعود في الشمس لينال الحر ليستطيب القعود بعده في الظل ومحبة ذلك
رقاعة بالحمد ولا بعد وان كان غمه على تخلفه من ماله فذلك لجهله بخساسة الاعراض الدنيوية
وكونها مجمع كل بلية وبنفاسة الاملاك الحقيقية التي وعد المتقون بها وان كان غمه لجهله بما له
فدواوه العلم والمعرفة الحقيقية التي يرى بها حال الانسان بعد الموت كما قال حارثة للنبي عليه السلم
كاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل النار يتعاوون
فيها وان كان خوفا لما كان من عصيانه فتداركه المبادرة بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة
ما جعل الله لنا في الاسلام من تلافي ما فرط منه ووعد به التائبين **باب**

احوال الناس في محبة الموت والاحيا العلة المبالاة به   الناس في ذلك على ثلاثة اضرب الاول
حكيم يعلم ان الحيوة تسترقه وان الموت يعتقه وان الانسان في هذا العالم وان طال لبثه
فهو كخطفة برق لمعت ثم كان لم تكن فسيان عادت للاختفا وانه في دنياه كمبعوث الى ثغر يحوطه
وبلد يسوسه براعيه استرعى ويستريد عائبا اذا دعي ولا يتكاده خروجه منها الا بقدر
ما يفوته من خدمة ربه والازدياد من قربه والاشفاق مما يقول ربنا له كما قال بعض
الصالحين وقد روي عنه جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال اجزع اني اسلك طريقا لم اسلكه
واقدم على رب لم اره ولا ادري ما اقول له فقال الثاني رجل انس بهذا العالم فالفه ولزم كرهه
فسبيله سبيل من الف مشاء مظلما قذرا ولم يعرف غيره فهو يكره الخروج منه وان كان في كرهه دخوله
منه كما قال الشاعر   دخلنا كارهين لها فلما ... الفناها خرجنا مكرهينا
وما حب البلاد بنا ولكن ... امر العيش فرقة من هوينا
وبحق ما قيل لو رضي الناس بارزاقهم رضاهم باوطانهم لما شكا احد فقره فهذا متى خرج عن
دنياه واطلع على ما اعد للصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تخلا صه
كما حكى الله تعالى عمن استقر به القرار في جنة النعيم حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الايتين والثالث رجل عمي البصيرة متلطخ الثوب بما ارتكبه من انواع الجريرة رضي بالحيوة الدنيا
واطمان بها وبغض الاخرة كما يبغض الكفار من اصحاب القبور فاذا اخرج منها الى دار الخلود
والخلاص ابغض ذلك كما نفر رايح الورد الجعل فاذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم
العلى ومصاحبة الملا الاعلى ومنادمة اولي العلى فمعنى قوله تعالى من كان في هذه اعمى

فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ولهذا قال عليه السلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واجدر
بان من بقي في هذا العالم يغتذا فيه من العلم والعمل الصالح ان لا يشتاق اليه بعد الخروج منه
ويدلك على انه خرج من بطن امه كارها باكيا وقد قال بعض الحكما اول ما ينال الصبي عند
سقوطه لما ضغطه من مضيق خروجه ويصيبه من الم الهوا مستوحش والوجع يورثه
الغم والغم يحمله على البكا وذلك ان للصبي كل ما يمكن للحيوان غير النطق من اللذة والالم والجوع
والعطش ومن هذا اخذ ابن الرومي فقال

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكا الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانه ... لافسح مما كان فيه وارغد

قال ابن عباس رضي الله عنه
ما احد الا والموت خير له من الحيوة لان الله تعالى قال في الابرار وما عند الله خير للابرار
وقال تعالى في الاشرار انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل الصالح اذا مات استراح من الدنيا
والطالح اذا مات استراحت منه الدنيا قال بعض الصالحين من الحكما من قال الخير صائر الى الناس
من الايام وصروف الزمان فانه يدعو الى الموت فان الانسان لا ينفك من ذلك الا بعد خروجه من
دار الكون والفساد وقال بعض الصوفية حق ملك الموت ان يحبه المسلم من اجل انه يوصل محبه
من حيث انه احد اسباب تعرضه الحيوة السنية الابدية من حيوة الدنيا الدنيوية ولهذا
امرنا ان نقول في دعائنا اللهم صل على جبريل وميكائيل وملك الموت فان جبريل وميكائيل هما
سببان لانبائنا من ذلك العالم بالوحي وخلاصنا من دار الكون والفساد وملك الموت سبب لنجاتنا
من دار الكون والفساد فانه رحمة عظيم وشكره لازم وقد حكي ان قوم من الاوايل كانوا يعظمون

وان خرج كارها لانتقاله الى الروح
الرحم بعد خروجه منه
وانها

زكا بالتقديس والتسبيح له وقال لوانه لا يعتبر على الحيوة الوصفية لما هو سبب انفاذ امر الدنيا
الدنية وقال بعض الاولياء في مناجاته الهي ان سالتك الحيوة في دار الممات فقد رغبت في البعد
عنك وزهدت في القرب منك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقا الله احب الله
لقاه ومن كره لقا الله كره الله لقاه وقال بعضهم ان كان في قلبك الدنيوية غني فمن
انقطاع الحاجة كلها الغنى الاكبر والانقطاع لها الا بمفارقة الدنيا فانها تناسب فاقتنا والعبودية
محبته خ — لغير الله وينبغي للعاقل ان يجتنب الفاقة والخضوع بعبودية غير رب العزة والموت سبب كمال الانسان
ومن رغب عن ذلك لهو من الذين خسروا انفسهم ومن كره الموت اخرج عن الدنيا كارها فيكون كعبد
ابق رد الى مولاه اما سوقا وقيد الى حضرته مقهورا وشتان من رد بدعاه مولاه فاتاه طوعا
رغبة وابق اسيرا تأتي به قهرا وحق العاقل ان يكثر من ذكر الموت فذكر الموت لا تقرب اجله
اللم — ويفيده ثلث القناعة بالرزق والمبادرة بالتوبة والنشاط في العبادة ولذلك قال عليه
اكثروا ذكر هادم اللذات فانه ما ذكر احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا ضيقها عليه
وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرب المنى فيهون المصائب ويحول بين الانسان
النفس خ — والطغيان

باب السرور والفرح

السرور انشراح الصدر
بلذة فيها طمانينة الصدر عاجلا وآجلا وذلك في الحقيقة انما يكون اذا امن زواله ولا يكون الا في
العقبات الاخروية ولذلك قيل لا سرور في الدنيا على الحقيقة والفرح انشراح الصدر بلذة
عاجلة غير آجلة وذلك في اللذات البدنية الدنيوية ولهذا قال لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم والفرح يدعو الى النشاط والنشاط الى المرح والمرح داعية من الاشر مفلته البطر

واكثر ما يظهر ذلك في الاحداث والصبيان لفقد ما يغلب عليهم من الغفلة وقد ذمه الله تعالى
بقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقال رجل ذكر لما
كسبهم يوم حزن في الارض ابدا وقال كل حزب بما لديهم فرحون وقد يسمى الفرح سرورا والسرور
وجالك على نظر من لا يعتبر الحقائق ويتصور احدهما بصورة الآخر ولذلك قيل من طلب السرور بالخارجات
منه لم ينله ○ **باب** العذر والتوبة المذنب اذا عوتب اى خاف
العتب لا ينفك من وجهين اما ان يكون مصرا او معتذرا فاما المصر فقد يستحق في بعض الاحوال
التجافي عنه وقد سمع رجل حكيما يقول ذنب لا اصرار اولى لا اعتذار فقال صدق ليس فضل من
عفا عن السهو القليل لكن عفا عن العمد الجليل واما المعتذر فهو المظهر لما يمحو به الذنب
وجميع المعاذير لا ينفك من ثلثة اوجه اما ان يقول لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيبين
ما يخرجه عن كونه ذنبا او يقول فعلت ولا اعود فمن انكر وانبا عن كذب ربما نسب له مغذرته
ساحته وان فعل وجحد فقد يعد التغابي عنه كرما واباه فقصد الشاعر بقوله
تغابى وما بك من غفلة لفرط الحيا وفضل الكرم ومن اقر فقد استوجب العفو لحسن ظنه
بك وقال بعض البلغا تجاوز عن مذنب لم يسلك بالاقرار طريقا حتى اتخذ من رجائك رفيقا
واما فعلت ولا اعود فهذا هو التوبة وحق الانسان ان يعتد ذلك الله في قبولها
وللتوبة شرايط وفضائل فاما فرضها ترك الذنب مع ترك العود اليه وتفلها التاسف لما
سلف من الذنب والاستغفار له وترك بعض المباحات مقابلة لما كان من العصيان واعلم
ان للتائب اذا تاب توبة نصوحا فضيلة على من لم يذنب مطلقا اوجبا الاول من جرب

العيوب والذنوب وعرف مداخل الشيطان على الانسان فيكون اهدى الى الاحتراز فقد
قيل للحكيم مرات لا نعرف الشر فقال ذلك اجدر ان تقع فيه والثاني ان المذنب التائب محتشم
قد غلب الحزن على قلبه فتنافى باب مولاه خزيان منكسرا ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه ويدل
بفعله وليس خدمة عبد عصى مليكا فرجع عليه خارجا ثم عاد اليه رجلا يتجوى عنه لخدمة
مراده بطاعته والثالث ان التائب حلب الدهر شطريه خيره وشره وحلوه ومره فهو ارفق
بالمذنبين واوفق لهم واصلح للامانة ممن يظن ان الذنب خارج عن طبيعة الانسان فيعجب
بنفسه ويزري بغيره ○ **باب** الحلم والعفو الحلم
امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم امساكها عن قضاء الوطر منه اذا هاج ولما كان الحلم
من اثار العقل وعنه ينفك عنها ربعته بعض كل عقل ظهر فعلا كقوله تعالى في ذم الكفار على
سبيل التعجب منهم ام تامرهم احلامهم بهذا او عني استعمل الحلم في الباري عز وجل فانه يراد به
العمل بمقتضاه ومعنى العفو دون الانفعال بعرض له وما لم يتم حلم الانسان الا بامساك الجوارح
كلها اليد عن البطش واللسان عن الفحش والسمع عن استماعه والعين عن فضول النظر ورب
لفظ يستعمل في ضد الحلم السفه واما العفو والصفح فهما صنوان الحلم ومخرجاه الى الوجود
فالعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح ترك التثريب واشتقاقه من تجاوز الصفحة التي
اثبت فيها ذنوبه او الاعراض بصفحة الوجه عن الملتفت اليه كان قد عنه وهو محمود اذا كان على
الوجه الذي يجب ولهذا قال الله تعالى فاصفح الصفح الجميل فخص نبيه عليه بجمال منه
وقد حث الله تعالى على ذلك بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فامر بالحلم والعفو

وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال تعالى فمن عفا واصلح والعفو
انما يستحب فيما كان من الاساءة عائدة بالضرر على الشرع او على جماعة الناس فاما ان كان فيها
ادنى شبهة فللسلطان العفو لقوله عليه السلام ادرؤا الحدود بالشبهات وان لم تكن
ذا شبهة فليس له العفو لهذا قال الله تعالى في الزناة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وحق
المعاقب ان لا يكون متسرعا في انتقامه بل يتعاقب حتى يزول سلطان غضبه لئلا يتقدم على
ما ليس بواجب ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد النظر
فيه قال بعضهم ينبغي للسلطان ان يؤخر العقوبة حتى ينقضي سلطان غضبه ويتعجل مكافاة
المحسن ويستعمل الاناة فيما يحدث فتاخير العقوبة فيه امكان العفو اذا حب ذلك وفي تعجيل
المكافاة بالاحسان مسارعة الاولياء الى الطاعة واتى الاسكندر بمذنب فصفح عنه فقال
بعض جلسائه لو كنت اياك لقتلته فقال اذا لم اكن انا اياك ولا انت اياي فكيف نقتله
نعابه وانتهى الى بعض اصحابه وهو يعتبه فقيل له لو انهكته عقوبة فقال احسنوا اسطاسا
رعايا اغتيابي واعلم ان لذة العفو اطيب من لذة التشفي لان لذة العفو يلحقها حمد
العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم والعقوبة الام حالات ذوي القدرة وهي طرف من
الجزع ومن رضي ان لا يكون بينه وبين الظالم الا ستر رقيق فلينتصف وقد نبه الله تعالى على
ذلك بلطيف من المقال فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى مجازاة المسيء باساءة
اساءة وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فسمى المجازي على
الاعتداء معتديا تنبيها على انه قد كاد ذكرت اياه والعقوبات بين الناس ابيحها

ما كان منها لم يظهر بالفعل فقد قال بعض الملوك انا املك الاجساد دون الضمائر ونحكم عن
الظواهر لا عن السرائر ثم من سلم ظاهره احتمل جرائره فقد هفوا المرء وبينت سلبه وبرك
وطريقة مستقيمة ۞ باب ثوران الغضب وفضل كظمه
الغضب في الانسان نار تشتعل والناس يختلفون فيه فبعضهم كالحلفا سريع الوقود
سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطئ الوقود بطئ الخمود وبعضهم سريع الوقود بطئ الخمود
فهم وبعضهم على عكس ذلك وهو احمدهم ما لم يكن مغضبا بما يخذوا الحمية ويفقد الغيرة والاخلا
تارة تكون بحسب الامزجة فمن كان طبعه حارا يابسا كثر غضبه ومن كان بخلافه قل وتارة
تكون بحسب اختلاف العادة فمن الناس من تعود السكون والهدو وهو المعبر عنه بالذلول
الهين واللين ومنهم من تعود الطيش والانزعاج فيحتد بادنى خاطر فهو كالكلب يسمع حسا
فيعوي قبل ان يعرف ما هو واسرع الناس غضبا الصبيان والنسا واكثرهم ضجرا
الشيوخ واجل الناس شجاعة وافضلهم مجاهدة واعظمهم قوة من كظم الغيظ وعلى ذلك
دل قوله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فجعلهم من المحسنين
معناه يرفعون وقال صلى الله عليه وسلم وقد مر بقوم يربعون حجرا فقال الا اخبركم باشدكم من ملك نفسه
عند الغضب واعلم ان نار الغضب متى كانت عنيفة تاججت واضطرمت فاحتدم منه غليان
دم القلب وملات الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا تسود منه حال العقل ويضعف
به فعله وكان الكهف الضيق اذا ملي حريقا اختنق فيه اللهب والدخان وعلا منه
الاجيج فيصعب علاجه واطفاؤه ويصير كل ما يدنى منه مادة لقوته كذلك النفس

اذا اشتعلت غضباً عميت عن الرشد وصمّت عن الموعظة فتصير المواعظ مادّةً
لغضبه ولهذا حكي عن ابليس انه قال متى اعجزني ابن آدم فلن يعجزني اذا غضب لانه ينقاد
لي فيما ابتغيه ويعمل بما اريده وارتضيه وقيل الغضب جنون ساعة وربما ادّى الى تلف
باختناق حرارة القلب منه وربما كان سبباً لامراض صعبة مؤدّية الى التلف واسباب الغضب
العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والضيم وطلب فضل التنافس
والتحاسد وشهوة الانتقام وحق من اعترته غضبة ان يفكر فان كان المغضوب عليه
تحت يده فلا معنى للاستطالة اذ هو متمكن من الانتقام منه على سكون الجاش وان كان غضبه على
من يستطيل عليه فلا معنى لتعذيبه نفسه في الوقت بل حقه ان يصبر حتى يمكنه ثم يفعل
بالواجب وقال الحكيم سُدّ طريق الغضب قبل تلهّب نار ه في الحطب وذلك فانما يمكن اطفاؤها
قبل انتشارها فاما اذا اشتعلت فلا سبيل الى اطفائها وقال سلطان لحكيم كف لي
ان لا اغضب فقال اياك ان تغضب في كل وقت ذاكراً انه يجب ان تطيع لا ان تطاع فقط وان تخدم لا ان
تُخدم فقط وان تحتمل لا ان تُحتمل فقط وان تحتوا ان الله تعالى يراك دايما فاذا فعلت ذلك
لم تغضب وان غضبت غضبت قليلاً ه

باب الغيرة والجوار

الغيرة ثوران الغضب على اكرام الحرم واكثر ما يراعى في النساء وجعل الله هذه القوة حماية
للانسان سبباً لصيانة الماء وحفظ الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها
وضعت الصيانة في نسائها وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته في السياسات
الثلث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسته منزله واهله وسياسته مدينته وصقعه

ولذلك قيل ليست الغيرة ذبّ الرجل عن امرأته ولكن ذبّه عن كل مختص به وقيل الغيرة متى تستحق
الذب عن كل ضعيف وسمّي كراهية النعم عند من لا يستحقها غيرة والغيرة ان كانت من
قوة الانسانية واجب كونها في كل جبلة فقد كثرت في العرب حتى ساهموا حتى ان من دخل
في دار احدهم والتجأ الى فنائه عدّوا فعله حرمة وجواراً وذماراً بل ان تعلق الدلو
بالدلو عهدة او لابس الطنب الطنب المستحمد الطنب بل كانوا يراعون ذلك في الحيوانات ء
والهوامّ حتى سمّي بعضهم مجير الجراد ومجير الغزال ومجير الذيب وسمّي الغضب المقتضي
للغيرة الحفيظة يقال احفظني فلان اي اغضبني الغضب الذي اثار مني قوة الحفظ

باب الغبطة والمنافسة والحسد الذي ينال الانسان

بسبب خير يصل الى غيره على سبيل التمني ان يكون له مثله فهو غبطة واذا كان مع ذلك سعي منه
في ان يبلغ هو مثل ذلك من الخير او ما هو فوقه فمنافسة وكلاهما محمودان وان كان
مع ذلك سعي في زوالها عن صاحبه من غير استحقاق له فهو الحسد والحسد تمني زوال نعمة عن مستحق
لها وربما كان مع ذلك سعي في ازالتها والحاسد اللئيم هو الخبيث النفس الساعي في ازالة
نعمة مستحقها من غير ان يكون طالباً ذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد يغدو من زوال نعمة نعمة
عليه وقال عليه السلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فحمد الغبطة وقال تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون فحثنا على التنافس اذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن وذلك
كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقول النبي عليه السلم ثلثة لا ينجو منها احد الظن
والطيرة والحسد وسأخبركم بالمخرج من ذلك فاذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض

والاشر واذا حسدت فلا تبغ اي اذا اصابك غم بخير ينال غيرك فلا تبغ ان الغم واعلم
ان الحسد من وجه غاية البخل لان البخيل يبخل بما لنفسه والحاسد يبخل بمال الله لذلك
قيل الحاسد بخيل بما لا يملكه ومن وجه هو اظلم ظالم لانه يظلم غيره في ازالة حاله ويظلم
ربه فيما قدره وقيل الحسد والحرص ركنا الذنوب ومنهما انتج ذنبا ابليس وآدم فابليس
حسد آدم فصار لعينا وادم حرص على ما نهي عنه فاخرج من الجنة فهما شجران يجتنى منهما
ساير الرذايل فمن قطع اسبابهما نجا ان فعل ما وجد قول النبي عليه السلام لا حسد الا في
اثنين رجل آتاه الله مالا فجعله في حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها فقيل عنى بالحسد
ههنا الغبطة وقد يسمى ذلك من حيث انها الغم الذي ينال الانسان من خير ينال غيره
وانما ليمو وعلى ذلك يقول الانسان لولا الا يحسد فلانا فيما يفعله اي الا يتمنى حاله ١
واعلم ان الحسد ضرب من الجهالة لان الغم فيما لا ينال ادوره واهل العقل يقتضي ان يغتم لما
نا له امل القبيح والفساد على ان الخير الذي ينال الغير اذا انفك عنه فهو انفع له مما ينال الاباعد

الفصل الخامس في العدالة والظلم والمحبة والبغض باب

في ذكر العدالة وفضيلتها العدالة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايفة
وهي في التعارف اذا اعتبرت بالقوة فهيئة في الانسان يطلب بها المساواة واذا اعتبرت
بالفعل فهي التقسيط العادل على الاستواء ولذا وصف الله تعالى بالعدل فليس من الهيئة
والايد اذ افعاله واقعة على نهاية الانتظام والانسان في تحري فعل العدالة يكون تام
الفضيلة اذا حصل منه فعله هيئة مستقرة لتعاطيه فقد يقع فعل العدالة من الانسان

والكون ممدوحا به نحو ان يقسط مراياة او توصلا الى نفع دنيوي او خوف عقوبة السلطان
والعدالة ان تفاضل الفضايل كلها من حيث انه لا يخرج شيء من الفضايل عنها وتارة يقال
هي اكمل الفضايل من حيث ان صاحبها يقدر ان يستعملها في نفسه وفي غيره وهي ميزان الله تعالى
المبرا من كل زلة وبها يستتب امر العالم ولذلك قال الله تعالى الله الذي انزل الكتاب
له بالحق والميزان وقال والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان وعبر عن العدالة
بالميزان اذ كان من اثرها ومن اظهر افعالها للحاسة وقال عليه السلام بالعدل قامت السموات
والارض اي لو كان شيء من موجودات العالم واصولها زايدا على الآخر او ناقصا عنه لم يكن
منتظما هذا النظام ومن فضيلتها ان الجور الذي هو ضدها لا يستتب الا به فلو ان لصوصا
تشارطوا فيما بينهم شرطا فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم امرهم ومن فضلها ان كل نفس تلتذ
بسماعها وتتألم من ضدها ولذلك يتخير الجائر عدل غيره اذا رآه او سمع به وقيل العدل
لا يجانب الذي من حيث العدالة لا خوف عليه ولحسن العدالة والمساواة ما سلم الفرس من كل
ما كان مركبا في العالم ليس له نظام مستقيم ولذلك كره العوج والعمه مستأم بيد ولتحري
المساواة جعل الله تعالى اعضاء الانسان الواقعة في الاطراف زوجين اثنين وفي الاوساط
واحدا واحدا وللانسان بد لا يحرى للغا سوار كل مستوى في جانب يستوي مثله في
الجانب الاخر لما اصيب الصحة معوجا لعدالته والعدالة وسط اطرافها كلها جور فالجور الخروج
من الوسط بزيادة او نقصان ولذلك صار الجور لا يخطاء الاضافة الى العدل والصواب من
حيث ما لا نهاية له والصواب من حيث المسامي وادراكها صعب ولصعوبة ذلك قال عليه السلام

استقيموا ولن تحصوا وامتدح تعالى بقوله واحصى كل شيء عددا تنبيها انه هو المحقق للعدالة والصواب من كل شيء وقال بعض الصوفية رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت بلغني يا رسول الله انك قلت شيبتني هود واخواتها فما الذي شيبك منها فقال قوله تعالى فاستقم كما امرت ولما كان الوصول اليها عسرا صار طالبها اذا تحراها بجهده وان اخطأها معذورا بل مأجورا ولذلك قال عليه السلام من اجتهد فاخطأ فله اجر ومن اجتهد فاصاب فله اجران

باب انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه

العدالة ضربان عدل مطلق يقتضي العقل حسنه ولا يكون في شيء من الازمنة منسوخا ولا يوصف بالجور على وجه وذلك نحو الاحسان الى من احسن اليك وكف الاذية عمن كف اذاه عنك وعدل مقيد يعرف كونه عدلا بالشرع ويمكن ان يكون منسوخا في بعض الازمنة وذلك مقابلة السيئة بمثلها كالحد والقصاص وارش الجنايات واخذ مال المرتد وهذا النحو يصح ان يوصف على المجاز في بعض الاحوال بالجور ولذلك قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى جزاء السيئة سيئة من حيث انه لو لم يكن معتبرا بالسيئة المتقدمة كانت هي سيئة وعلى ذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وبالنظر الى النوع الاول والاعتبار به قال بعض المتكلمين يعرف حسن العدل بالعقل قبل الشرع وبالنظر الى النوع الثاني قال بعضهم لا يعرف الا بالشرع وفي الجملة ان الشرع مجمع العدالة به يعرف حقائقها ولو لم يتمسك بها لكان يؤدي الى ان لا يكون عدالة على الحقيقة في شيء من جزئيات الافعال ولا في كثير من كلياتها والعدالة المحمودة هي التي يتحرى لا رياء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة وانما يكون تحريها للحق عن بصيرة والذي يجب ان يستعمل الانسان معه في العدالة خمسة الاول بينه وبين رب العزة تعالى بمعرفة توحيده واحكامه والثاني بين قوى نفسه وذلك بان يجعل هواه مستسلما لعقله فقد قيل اعدل الناس من انصف عقله

من هواه والثالثة بين اسلافه الماضين في انفاذ وصاياهم والدعاء لهم والرابعة بين معامليه من اداء الحقوق والانصاف في المعاملات من المبايعات والمقارضات والكرامات والخامسة النصفة من الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة وخلفائهم واما الحكام العدول في الارض فثلاثة حاكم من الله وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والعالم الآمر به وهو كالواسطة والناصر المعتبر به ولعلاه الدنيا رو معناه بالفارسية دين اورده والناصر من وجه حاكم ومن وجه كالالة للحاكم يعتبر اذا اقتبس علمه بعلم ولما كانت الشريعة مجمع العدالة ومنبعها صار من امتنع من التزامها اظلم ظالم ولهذا قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية ويكون الكفر ظلما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فقابل المؤمن بالظالم

باب

ما يحسن ترك العدالة فيه ترك العدالة الى الظلم عند الناس مذموم في جميع الاحوال والخارج عنها الى الظلم مستوجب لعقوبة عاجلة وسخطا من الله تعالى الا ان يتغمده بعفوه واما الخارج عنها الى الانظلام اي التزام الظلم فقد يحمد والانظلام من جهة الكمية ثلاثة اضرب انظلام في المال وهو الاسخاء للظالم في اخذ ماله وانظلام في الكرامة وهو الاستخذاء في بخس حقه من التعظيم وانظلام في النفس وهو الاستخذاء المنتهي لقتله وكل واحد يكون محمودا ومذموما ومن جهة الكيفية ضربان محمود ومذموم فالمحمود التغابن عن حق له في المال او في الكرامة او في النفس بقدر ما يحسن وفي وقت ما يحسن وهو المعني بالانخداع والتغافل الذي قيل فيه العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل واياه قصد معوية في قوله من خدعك فانخدعت له فقد خدعته وقال الشاعر

ممن يقدر على الشيء فتخادع وذلك اذا كان في المال فمسامحة واذا كان في الغيظ فعفو واذا كان
في الكرامة فتواضع واما على الوجه المذموم ففي المال غبن وفي الراي غبن وفي النفس والكرامة
هوان ومذلة وقد تقدم ان الافضال والاحسان اشرف من العدالة اذا كان الحكم بينك وبين
غيرك واما اذا حكمت بين اثنين فليس الا العدالة وانما الاحسان الى المتحاكمين ولهذا قال تعالى وان
حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقال تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها الاية وقال في مراعاة الحق وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال يحيى بن معاذ
اصحبوا الناس بالفضل لا بالعدل فمع العدل الاستقصاء ومع الفضل الاستبقاء واني لارجو
ان لا يحاسب الله عباده بالعدل وقد امرهم ان يصاحب بعضهم بعضا بالفضل وقد عظم الله امر
الاحسان والافضال فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال وهل يامر الحكيم بشيء ثم لا يفعله
وكيف يترك الكريم التفضل ويقتصر على العدالة وقد تبين ان التفضل افضل واكرم تعالى الله
ان يرضى لنفسه ادنى المنزلتين وكيف لا يرجى تفضله وانما له كلها عدل وعدله كله تفضل لانه مبتدي بالانعام
والابتداء بالانعام تفضل وهل يحسن ان يترك التفضل انتهاء وقد تحراه ابتداء ۝

باب

ذكر الظلم الظلم هو الانحراف عن العدالة ولذلك حد بانه وضع الشيء في غير موضعه المختص به
وقد تقدم ان العدالة تجري مجرى النقطة من الدائرة فتجاوزها من جهة الافراط عدوان وطغيان
والى ذلك اشار بقوله فقد ضلوا ضلالا بعيدا والانحراف عنها في بعض جوانبها جور والظلم اعم الاسماء
ولما كان الظلم يترك الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة صار العدول عنها الى ما فوقها واما
بعيدا لمن كان عنه ابعد كان رجوعه اليه اصعب ولذلك قال تعالى ويريد الشيطان ان يضلهم

ضلالا بعيدا اعتبارا بان الشيطان متى امعن بهم في التعدي عن الحق صعب حينئذ عليهم الاهتداء
ولاجل من جعلهم الشيطان كذلك قال تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد واما المستعمل معهم
الظلم فخمسة وهم الذين يجب استعمال العدالة معهم وقد تقدم ذكرهم الاول رب العزة تعالى
والثاني قوى النفس والثالث اسلاف الرجل الرابع معاملوه من الاحياء الخامس الناس
اذا تولى انسان الحكم بين بعضهم وبعضهم وقال بعض العلماء اشر الناس من جار على نفسه ثم من
جار على ذويه ثم من جار على كافة الناس وافضلهم من عدل مع كافة الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه
وهذا قول لا يرد بشرط عام فان الظالم لا يكون ظالما لغيره حتى يظلم اولا نفسه فانه في اول ما
يهم بالظلم فقد ظلم نفسه فاذن الظالم ابدا مبتدي بنفسه في الظلم والعادل مع الناس اذا
هم بالعدل وتحراه فقد عدل مع نفسه قبل ان عدل مع غيره وقال بعضهم الظلمة ثلثة الظالم مل
الاعظم وهو الذي لا يدخل في شريعة الله واياه قصد بقوله ان الشرك لظلم عظيم والاوسط
وهو الذي لا يلتزم حكم السلطان والاصغر وهو الذي يتعطل عن المكاسب والاعمال
فياخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعته ومن خرج عن تعاطي العدالة بالطبع وبالخلق والتخلق
والتصنع والرياء والرغبة والرهبة فقد انسلخ من الانسانية ومتى صار اهل صقع كلهم على ذلك
تهارشت وتغالبت واكل قويهم ضعيفهم ولم يبق فيهم اثر فتولى وقد تقدم ان عادة الله في امثالهم
افناؤهم واهلاكهم عن آخرهم ۝

باب الاسباب التي يحصل عنها الظلم

جمع ذلك اربعة اسباب الاول الشره لمن يقصر نصيبه عن مناله بفعله وذلك اخس الدواعي والثاني
الشهوة وهي ان يقصد ادراك شهوة لا يحصلها الا بان يضر غيره كعامة المتلصصة والعيارين

في الغرض الثالث الخطأ وهو أن يقصد الإضرار بمن يضره بوجه بأن يقصد فعلا آخر فأتى منه ذلك
بكون رمى قرطاساً فأصاب رجلاً فهذا معذور من وجه السابع الشقاوة كمن يصيبه ريح فأوقعته
على إنسان فمات ذلك الإنسان فهذا معذور ومرحوم ٥

باب

ذكر المكر والخديعة والكيد والحيلة المكر والخديعة متقاربان وهما اسمان لكل فعل يقصد
فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره وذلك ضربان أحدهما مذموم وهو الأشهر عند الناس
والأكثر وذلك أن يقصد فاعله إنزال المكروه بالمخدوع وإياه قصد النبي عليه السلم بقوله المكر والخديعة
في النار والمعنى يؤديان بقاصدهما إلى النار والثاني على عكس ذلك وهو أن يقصد فاعلهما استجرار
المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما كما يفعل بالصبي إذا امتنع من فعل خير وقال بعض الحكماء المكر والخديعة
يحتاج إليهما في هذا العالم وذاك أن السفيه يميل إلى الباطل ولا يقبل الحق ولا يميل إليه لمنافاته
لطبعه فيحتاج أن يخدع عن باطله بزخارف مموهة كخديعة الصبي عن الثدي عند الفطام ولهذا
قيل تخرق فإن الدنيا مخاريق وتسفسط فإن الدنيا سوفسطائية وليس هذا حثا على تعاطي
الخبث بل هو حث على جذب الناس إلى الخير بالاحتيال ولكون المكر والخديعة ضربين سيئا وحسنا
قال تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور وقال فلما جاءهم نذير
ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وقال أفأمن
الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض فخص في الآيات السيئ من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن
ووصف نفسه بالمكر الحسن فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وأما الكيد فإنه يستعمل في الأشياء ما يراد غايته لكن أكثر ما يستعمل

ذلك من الشر وهي متى قصد به شر فهو مذموم ومتى قصد به خير فمحمود وعلى الوجه المحمود قال تعالى
وكذلك كدنا ليوسف وعلى ذلك الاستدراج منه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فاستدراجه
تعالى تعطيته السبيل على الإنسان وتمكينه منه لتطلبه بالآلات التي أعطاه وذلك كتكليف له لما يقدر
عليه وإن كان فيه مشقة ولتمكينه معه من إدراك ذلك بما إذ لم يجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
فمن جاهد في سبيله وأعمل فكره حتى طرقه فسلكه على ما يجب وكما يجب سهل عليه الوصول وكان ذلك
منه حسنة ولطفا وإحسانا ومن عطل معاونة من الفكر والبصر والسمع حتى أضل طريقه كان ذلك
خذلانا له وعذابا وعلى كونها تقدم وصف الله تعالى نفسه بالحيل أو المحالة في قوله تعالى وهو شديد
المحال وهذه الألفاظ لولا أن الباري تعالى أطلقها في مواضع مخصوصة قاصدا بها معاني صحيحة لما
تجاسر من يعرف الله تعالى أن يخطر ذلك بباله فضلا أن يجريه في وصفه وإن قصد المعنى الصحيح تنبيها
له وتعظيما فيجب أن تتلى في القرآن حسبما ورد ولا يتعدى بها وذكر المحصلون أن كثيرا من الأوصاف
الشرعية كالرحيم والعفو والودود ما كان يتجاسر على الإطلاق عليه لولا السمع الوارد بها فمن
هذه الأسماء معنى المحبة والكراهية والانفعالات في وضع اللغة والله تعالى منزه عن كل ذلك وهذا
فصل كبير حقه نخبه عن هذا الكتاب ٥

باب ماهية المحبة وأنواعها

المحبة ميل النفس إلى ما تراه أو تظنه خيرا وذلك ضربان أحدهما طبعي وذلك في الإنسان والحيوان
وقيل قد يكون ذلك في الجمادات كالألفة بين الحديد وحجر المغناطيس والثاني اختياري وذلك يختص
به الإنسان فأما ما يكون بين الحيوانين فألفة وهذا الثاني أربعة أضرب الأول للشهوة وأكثر ما يكون
ذلك من الأحداث والثاني للمنفعة ومن جنسه ما يكون بين التجار وأصحاب الصناعات المهنية

واما المذاهب من الثالث مركب من الضربين لمن يحب آخر لنفع وذلك الآخر يحبه للفضيلة والرابع
كمحبة المتعلم للعالم وهذه المحبات على هذه الاوقات وهي المتشابهة بقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين واما الضروب الأخر فقد تطول مددها وتقصر بحسب طول اسبابها وقصرها
والصداقة اخص من المحبة وقلما تقع من جماعة ولا تستعمل الا في الحيوان واما العشق فمحبة
بافراط وذلك اما بحسب اللذة فيكون مذموما واما بحسب الفضيلة فيكون محمودا ولا يكون للنفع
فان النافع يراد لغيره والفضيلة واللذة يرادان لاعيانهما ٥

باب فضيلة المحبة

احد اسباب نظام امور الناس المحبة ثم العدل فلو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها
عن العدل فقد قيل العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة ولذلك عظم الله تعالى
المنة بايقاع المحبة بين اهل الملة فقال عز من قائل لو انفقت ما في الارض جميعا الاية وقال تعالى
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة في القلوب منبها ان ذلك
اجلب للعفاف بل هو افضل من المهابة فان المهابة تنفر والمحبة تؤلف وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة
الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج تزول بزوال سببه وكل قوم اذا
تحابوا تواصلوا واذا تواصلوا تعاونوا واذا تعاونوا عملوا واذا عملوا عمروا واذا عمروا
عمروا ولفضل وقوع المحبة شرع الله تعالى اجتماع اهل المحلة الواحدة في مساجدهم
خمس مرات لاقامة صلواتهم واجتماع اهل البلد كل اسبوع مرة في الجامع واجتماع اهل
المدينة واهل السواد كل سنة مرتين في الجبانة واجتماع اهل البلدان النائية في العمر مرة
بمكة كل ذلك ليتأكد باجتماعهم الانس فيقع بسببه الود ٥

باب فضيلة الصداقة

الصديق محتاج اليه في كل حال اما عند سوء الحال فليعاونوه واما عند حسن الحال فليؤانسوه
وليفرحوا معه عندهم ومن ظن انه يمكنه الاستغناء عن صديق فمغرور ومن ظن ان وجوده سهل فمغتر
ولكثرة نفعه سئل حكيم عن الصديق فقال هو آخر بالشخص الا انه انت بالنفس ولعزة وجوده سئل
آخر عنه فقال اسم على غير معنى وحيوان غير موجود ومن وجد اخوانا ذوي ثقة وجدتهم عقوقا
واذا اتاك ولو بأكلتها له فيرى الغائب بصورة الشاهد واختيار من يركن اليه لما دفعت صعب
اذ قد يتشبع لك الناقص فتظنه فاضلا فتكون لكن بحسب النخم فيمن تنتخبه وترتمه ٥

باب

في ذكر المحبة في الناس من محبة الله الى الناس فقد انعم عليه نعمة وسعة كما ان من بغضه
اليهم فقد جعل له نقمة فظيعة والسبب فيمن يكون محببا ان من رعاه الله صفا جوهره وطاب
روحه وحسن عمله حصل له نور يشرك في مشاعر من يراه فيحبه واياه قصد تعالى بقوله لموسى
عليه السلام والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقال عليه السلام اذا احب الله عبدا القى محبته في
الملا فلا يشعر به عبد الا احبه واذا ابغض عبدا القى بغضه في الملا فلا يشعر به عبد الا ابغضه
ولما القى الله تعالى على موسى عليه السلام من المحبة ما كان يتبينه من يبغضه بينهم يقتله الا اذا رآه وقلب
في آفاق وجهه طرفه والقى اليه كلامه سمعه انجذب بمفارقته على محبته ٥

باب

الحث على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار حق الانسان ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة
الاخيار فهي قد تجعل الشرير خيرا كما ان مصاحبة الاشرار تجعل الخير شريرا وقال بعض الحكماء من
صاحب خيرا اصابته بركته فجليس اولياء الله لا يشقى وان كان كلبا ككلب اصحاب الكهف قال تعالى
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولهذا اوصت الحكماء بمنع الاحداث عن مجالسة السفهاء وقال امير المؤمنين

علي رضي الله عنه لا تصحب الفاجر فيزين لك فعله ويود لو انك مثله وقيل جالسوا من يذكركم الله
رؤيته ويزيد في خيركم نطقه وقالوا اياك ومجالسة الاشرار فان طبعك يسرق من طبعهم وانت
لا تدري وقد قال النبي عليه السلم مثل الجليس الصالح كمثل الداري ان لم يحذك من عطره يعلقك من يحذك
ريحه ومثل الجليس السوء كمثل القين ان لا يحرقك بشرره يؤذيك بدخانه وقال عليه السلم
المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخال اي يجذبه خليله الى دينه ومن قوة هذا المعنى في
النفوس شاع على الالسنة قول الشاعر عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
وليس اعدا الجليس جليسه خلقه لمقاله وفعاله فقط بل بالنظر اليه فالنظر الى الصور يؤثر في
النفوس اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه فان من دام نظره الى مسرور سُرّ والى المحزون
حزن وليس ذلك في الانسان فقط بل في الحيوانات والنبات فالجمل الصعب قد يصير ذلولا
بمقارنة الجمال الذللة والذلول قد ينقلب صعبا بمقارنة الجمال الصعاب والريحانة الغضة
تذبل بمجاورة الذابلة ولهذا يلتقط اصحاب الفلاحة الرمم عن الزروع لئلا تفسدها ومعروف
ان الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة اذا قربت منهما وذلك مما لا يشك فيه ذو تجربة واذا كانت
هذه الاشياء قد بلغت في قبول الاثر هذا المبلغ فما الظن بالنفوس البشرية التي موضوعها
لقبول صور الاشياء خيرها وشرها وقد قيل سمي الانس لانه يأنس بما يراه خيرا وشرا وللانسان
في المعاشرة ثلثة احوال اما ان يكون شكسا اي قاسي الطبع او ملقا اي سلس الطبع او مساعدا
اي تاركا للخلاف على مقتضى العقل وهو المحمود وحق الانسان في المعاشرة ان يتقوى من جهة
الفكر بالمطابقة في الكلام ومن جهة الغضب بالتحالم ومن جهة الشهوة بالجود وان يتحرى من اضداد

ذلك وان يجامل المعاشرين والمعادين والمتشبهين بالاخوان ويصابرهم ويكاشرهم طلقا في عموم
احوالهم وان يتقي من شرهم حتى يكون ظريفا فما الظرف عبارة عن استجماع آلة العشرة من الطلاقة والاحتمال
ولين الجانب ٥ **باب** فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته
قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرد والاختلاط فبعضهم آثر التفرد عن الناس وبعضهم
الاختلاط بهم وامدح كل فريق ذلك اخبارا وذلك بسبب اختلاف نظريهما وابتلاء احدهما بمصاحبة
من لم يحمد مصاحبته ومصاحبة الاخر من حمد صحبته والاصل ان اجتماع الناس بعضهم مع
بعض امر ضروري لتعلق امور بعضهم ببعض ولهذا لما سمع عمر رجلا يقول اللهم اغنني عن الناس
قال يا رجل اراك تسأل الموت قل اللهم اغنني عن شرار الناس فان الناس لا يستغني بعضهم عن بعض
ما داموا احياء ثم في المعاشرة فالتفرد عن الاخيار الذين يفيدونك ويعينونك ويأخذون بك
مكروه سيما لمن لم يتدرب في الفضل ولم يستغن عن اقتباس العلم واما عن الارذال الذين
تدنس بمصاحبتهم فمحمود وقيل التفرد مكروه الا للملتمس سلطانا لا يتشاغل عن المملكة وحكيم
لاستنباط الحكمة ومتنسك لمناجاة رب العزة فان التفرد يبطل الانسانية ولا يظهر من صاحبه
فضيلة ومن ظن بالمتفرد خيرا فلاجل ان ليس يظهر منه شر وهذا يشاركه فيه الموتى وفضيلة
الانسان ان يكون خيرا لا ان لا يكون شريرا وان كان نادرا كما قيل
انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال فحق العاقل الفاضل ان يجتمع مع
العامة في ثلث خصال في ظواهر احكام الشرع وفيما هو من وظائف العبادات وان يتميز عنهم العقلة
بعقله الوسيع ويترفع عن خبز لسانهم في المعارف والاخلاق والافعال الجميلة ولما علم من الطاعم

قال عليه السلام عليكم بالسواد الأعظم والمراعاة التي تمنع عن منازلتهم في المعارف والأخلاق قبل المروءة
الثابتة مباينة العامة بل قيل من استأنس بالله استوحش من الناس وذلك لما لعلنا بيّنه في الخلق
والنهي عن الاغترار بكثرتهم والركون إليهم سيما من ليس قصده الآخرة وطلب الحق قال الله تعالى
إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية وقال تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم الآية

باب العداوة

العدو هو الذي يتحرى اغتيال الآخر
ومضادته فيما يؤدي إلى مصالحه وضده تعدّى فلان ومعناه فعل فعل العدو وهو من قولهم مكان
ذو عدواء أي متنافي الأجزاء ناب من حله وتضاد العداوة الولاية واشتقاقه من وليه
يليه والولاية أعم من الصداقة والمودة والعداوة ضربان باطن لا يدرك ذاته بالحاسة وظاهر
يدرك بالحاسة فالباطن إنسان الشيطان وهو أصل كل عدو يعادي معاداة جوهرية وقد
حذرنا الله سبحانه منه غاية التحذير فقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ألم أعهد
إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين أي ليتخذوه له وقال تعالى إن هذا
عدو لك ولزوجك وقال جل من قائل ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين والثاني
الهوى المعبر عنه بالنفس في قوله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء وقول النبي عليه السلام أعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك وكذا الغضب إذا كان فوق ما يجب ولكون هذه القوة في الإنسان إذا
أثرت طريقا للشيطان في وصوله إليه ولكونها كالخليفة له سماه النبي عليه السلام باسمه فقال الهوى
شيطان والغضب شيطان وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان إنه
عدو مضل مبين وأما الظاهر من العداة فالإنسان وذلك ضربان ضرب هو عدو مصطفى

للعداوة قاصد إلى الإضرار إما مجاهرة وإما مسارقة وذلك اثنان واحد يعادي كل
أحد وهو إنسان سبعي الطبع خبيث الطينة مبغض لكل من لا يحتاج إليه في العاجل يبغض إلى
كل نفس يحارش كل من لا يخافه كما قال الشاعر: يسطو بلا سبب وتلك طبيعة الكلب العقور
ومثله هو الذي عنى تعالى بشياطين الإنس والثاني عدو خاص العداوة وذلك إما بسبب
الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل للعاقل وإما بسبب نفع دنيوي كالتجاذب في رياسة ومال
وجاه وإما بسبب لحمة أو مجاورة فيورثه التحاسد كمعاداة بني الأعمام بعضهم لبعض وذلك في كثير
من الناس كالطبعي وقال رجل لآخر إني أحبك فقال لقد علمت ذلك قال فمن أين علمت فقال لأنك
لست لي بشريك ولا لي بنسيب ولا جار قريب وأكثر المعاداة بين الناس يتولد لشيء من ذلك والضرب
الثاني عدو غير مصطفى للعداوة لكن حاله بالإنسان يؤدي إلى أن يلحقه بسببه في مثل ما يلحق من كيد عدو
فيسمى عدوا لذلك كالأولاد والأزواج وعلى ذلك قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
وقال عليه السلام ليس عدوك الذي من قتلته أجرك الله في قتله وإن قتلك أدخلك الجنة ولكن أعدى
عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك وأولادك الذين من صلبك جعل عليه السلام
هؤلاء أعدى الإنسان لما كانوا سببا لهلاكه الأخروي لما يرتكبه من المعاصي لأجلهم فيؤدي به إلى الهلاك
الأبد الذي هو شر من هلاك المعادي المناصب إياه واعلم أنه لكون بعض الناس مشاركا للشيطان
في المعاداة سمى الله تعالى الأعداء شياطين نحو قوله تعالى شياطين الإنس والجن الآية وقد يسمى كل ما يتأذى
به شيطانا حتى قال الشاعر: ما ليلة الفقير إلا شيطان * مجنونة تودي بروح الإنسان
والفقير هو اسم رجل فجعل الليلة وروحها شيطانا لأنه يتأذى به

الفصل السادس

فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والانفاق والجود والبخل **باب**
في حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر اعلم انه لما صعب على كل احد ان يحصل لنفسه ادنى
ما يحتاج اليه الا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا تعب تحصيلها من الزرع والطحن والخبز
وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك احتاج الناس ان يجتمعوا فرقة فرقة متظاهرين ولاجل
ذلك قيل الانسان مدني بالطبع اي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم الى بعض
في مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك نبه النبي عليه السلم بقوله المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
وقوله عليه السلم مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا الم بعضه
تداعى سايره وقيل الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه
بعضا اختل ه **باب** تسخير الله الناس للصناعات المختلفة
وعناية كل واحد بما يتحراه لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله تعالى كل واحد منهم
لصناعة يتعاطاها وجعل بين طبايعهم وصنايعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية ليوثر
الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه لمزاولتها فاذا جعل
الى صناعة اخرى فربما وجد مستبلدا فيها ومتبرما بها وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا باجمعهم
صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاونات ولولا ذلك لما اختاروا من الاسماء الا احسنها
ومن البلاد الا اطيبها ومن الصناعات الا انظفها ومن الاعمال الا ارفعها ولتنازعوا على
ذلك ولكن الله بحكمته جعل كلا منهم في ذلك مجبرا في صورة مخير فالناس اما راض بصنعته لا يريد عنها
حولا كالحايك الذي يرضى بصناعته ويعيب الحجام والحجام الذي يرضى بصناعته ويعيب الحايك

وبهذا انتظم امرهم كما قال تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما
كاره لها يكابدها مع كراهيته اياها كانه لا يجد عنها بدا وعلى هذا دل قول النبي عليه السلم كل
ميسر لما خلق له بل صرح تعالى بذلك في قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية
وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة وقوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته ولهذا قال عليه السلم
لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا فالتباين والتفرق والاختلاف في نحو هذا
الموضع سبب الالتيام والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولاها
لما حصل لها نظام فسبحان الله احسن ما صنع واحكم ما اسس واتقن ما دبر ولهذا قيل
حق من قيض لصناعة مباحة ورزق منها ان يراعيها على ما يجب وكما يجب وعليه دل النبي عليه السلم
من رزق من شي فليلزمه ه **باب** كون الفقر وخوفه سبب
نظام امر الناس حصول الفقر وخوفه التابعان للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكلف في جمعه
الناس اما باختيار واما باضطرار ولهذا قيل رب ساع لقاعد ولو ان الناس لو كفي كل واحد
منهم امره لادى ذلك الى فساد العالم من حيث انه لم يكن احد يتولى لغيره مهنة وكان الواحد منهم
يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها فيودي ذلك الى فقر جميعهم وقد قيل قيام العالم بالفقر اكثر
من قيامه بالغنى لان الصناعات انما بالغنى يمكن الملك والتجارة والتناية وسايرها مما فيه الفقر
فلولا الفقر وخوفه لمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة ومن كان ينقل
الميرة والملابس من المشرق الى المغرب ومن الجنوب الى الشمال وعلى منفعة الفقر نبه قوله تعالى
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية

هذا مع ان من الناس من لو كفي امر دنياه لكان يوجد منه من البغي والتسلط ما يودي الى خراب
البلاد وفساد العباد بل كان يوجد منه ما يودي الى اهلاك نفسه في اسرع مدة وعلى ذلك نبه
قوله تعالى ولو بسط الله الرزق الاية ومن تدبر صنع الله في ذلك وتامل ما اشار اليه في هذه الايات
التي ذكرها لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول اذا كان الله غنيا جوادا واسعا فلم خص بعضهم بالغنى
وجعل اكثرهم فقراء ومن جهل الغني الذي استغنى غناه والجواد الذي لا يعوزه جود حتى يحتاج ان يخص
بالعطية بعضا دون بعض وذلك ان الجود الكامل هو الذي يعطي كل احد بقدر استيهاله على وجه يعود
بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل تعالى ذلك بالعباد

باب مناسبة بدن الانسان لصناعته

ان الله تعالى فرق همم الناس للصناعات المتفاوتة ويسر كلا لما
خلق له وجعل الاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها فجعل من قيضه لمراعاة العلم والمحافظة
على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف لايقة وامزجة لطيفة وابدانا لينة ومن
قيضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا
كزة وامزجة غليظة وابدانا خشنة وكما انه محال ان يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع كذلك
من المحال ان يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة وقد جعل الله تعالى لكل جنس من الفريقين عن غيره نفعا وصنيعا
فالبايع من تحرى الحذق في صناعته واقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه وادى الامانة
بقدر جهده ولم يشتغل عن عبادة الله تعالى كما قال عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وقال عليه السلام ان الله يحب الصانع الحاذق ومدح تعالى الملائكة بتوفيتهم حق ما وقفوا له احكامهم
لما ولوا فقال عز من قائل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون

باب وجوب الكسب

الكسب في الدنيا وان كان معدودا من المباحات من وجه فانه من الواجبات من وجه وذلك
انه اذا لم يمكن الانسان الاستقلال بالعبادة الا بازالة ضروريات حوائجه فازالتها واجبة اذ ما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب كوجوبه واذا لم يمكن له الى ازالة ضروراته سبيل الا باخذ تعب من الناس
فلا بد اذن ان يعوضهم تعبا له والا كان ظالما فمن توسع في دنياه ولم يعمل عمل غيره في ماكله وملبسه ومسكنه
وغير ذلك فلا بد له ان يعمل لهم عملا بقدر ما تناوله منهم والا كان ظالما لهم قصدوا افادته او لم يقصدوا
فمن رضي بقليل من عملهم علينا ولعز دنياهم لم يطلبوا منه الا القليل من العمل ولهذا ما قال عليه السلام
رضي من الله بقليل الرزق رضي الله منه بقليل العمل ومن اخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعا فانه
لم يأتمر بقوله تعالى في قوله وتعاونوا على البر والتقوى الاية ولم يدخل في عموم قوله المؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض ولهذا ذم من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يوخذ عنه ولا
عمل صالح في الدين يقتدى به بل يجعل همه غاية بطنه وفرجه فانه ياخذ منافع الناس ويضيق
عليهم معايشهم ولا يرد اليهم نفعا فلا طائل في مثلهم الا ان يكدروا الماء ويغلوا الاسعار
ولهذا المعنى كان عمر رضي الله عنه اذا نظر الى ذي سيما سال الحرفة فاذا قيل لا سقط من
عينه ويستحسن النبي عليه السلام وفد عبد قيس لما سالهم فقال ما المروة فقالوا العفة والحرفة
ومن اتكل على فتح يفعل من هذا صنيعه ان الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه اسرافا وبدارا فما حال من
اكل مال غيره على ذلك ثم لا ينيلهم عوضا ولا يرد عليهم بدلا ويحق كل مضطر الى كسب ان يقتصر على
ما يسد فقره وقته ولا يحمل هم غده على وجهه فمن بذل الساعات في جمع ما لا يحتاج فقد فعل الذي
يفعل الفقير ومن اقتصر على قدر ذلك فقد صار من المتوكلين الذين عناهم النبي عليه السلام بقوله

ولو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ه

باب مدح السعي وذم الكسل من تعطل وتبطل فقد انسلخ من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى وذاك انه خص الانسان بالقوى الثلث ليسعى في فضيلتها فان فضيلة القوة الشهوية تطالبه بالمكاسب التي تنميه وفضيلة القوة الغضبية تطالبه بالمجاهدات التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية تطالبه بالعلوم التي تهديه فحقه ان يتامل قوته ويسبر قدر ما يطيقه فيسعى بحسبه لما يفيده السعادة ويتحقق ان اضطرابه سبب وصوله من الذل الى العز ومن الفقر الى الغنى ومن الضعة الى الرفعة ومن الخمول الى النباهة وان من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد الراحة فحب الهوينا يكسب النصب وقد قيل ان اردت ان لا تتعب فاتعب لئلا تتعب وقيل اياك والكسل والضجر فانك ان كسلت لم تؤد حقا وان ضجرت لم تصبر على حق وقال الشاعر

ان التواني انكح العجز بنته … وساق اليها حين انكحها مهرا

فراشا وطيا ثم قال له اتكي … فقصركما لا بد ان تلدا فقرا

وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت امر الدنيا كله لئلا اتعود العجز وان الفراغ يبطل الهيات الانسانية فكل هيكل وكل عضو ترك استعماله يبطل كالعين اذا غمضت واليد اذا عطلت ولذلك وضعت الرياضات في كل شي ولما جعل الله تعالى للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقا الا بسعي ما منه لئلا تتعطل فائدة ما جعل له من قوة التحرك ولما جعل للانسان الفكر ترك من كل نعمة انعمها عليه جانبا يصلحه هو بفكرته لئلا تتعطل فائدة الفكر فيكون وجودها عبثا وتامل حال مريم عليها السلم وقد جعل لها من الرطب الجني ما كفاها مؤنة الطلب وفيه اعظم معجزة فانه لما كان

من ان امرها بهزها فقال وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكما ان البدن اذا تعود الرفاهية يكسل كذلك النفس اذا تركت التفكر والنظر تتبلد وتتبله ويرجع الى رتبة البهائم وحق الانسان ان لا يذهب ساعة او فلتة الا في اصلاح امر دينه او اصلاح امر دنياه متوصلا بها الى اصلاح آخرته ومن اعجب ما قال الحجاج ان امرا اتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه او يستغفر من ذنبه او يفكر في معاده لجدير ان يطول حسرته يوم القيمة واذا تاملت قول النبي عليه السلم سافروا تغنموا ونظرت اليه نظرا عاليا علمت انه حثك على التحرك الذي تنال به جنة المأوى ومصاحبة الملا الاعلى بل مجاورة الله تعالى وذلك يحتاج الى اربعة اشيا معرفة المقصود المشار اليه بقوله ففروا الى الله ومعرفة الطريق المشار اليه بقوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة وتحصيل الزاد المتبلغ به المشار اليه بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والمجاهدة في الوصول اليه كما قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده والتنبه لاشيا من الغرور الذي خوفه الله تعالى منه في قوله ولا يغرنكم بالله الغرور وهذه من المعالي التي دونها هول الهوالي ولا صبر لمن رامها ان يتدرع الصبر فقد اصاب من قال

فقل لمرجي معالي الامور بغير اجتهاد رجوت محالا ه

باب تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض الصناعات بالنظر ضربان اما اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة اشيا الزراعة والحياكة والبناية والسياسة واما متممة لكل واحد من ذلك وخادمة لها كالحدادة للزراعة والحلاجة والغزل للحياكة واما متممة لكل واحد منهما ومزينة لها كالطحانة والخبازة للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة

ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل اجزاء الشخص الى الشخص سواء فانها على ثلاثة اضرب اما
اصول كالقلب والكبد والدماغ واما فروع خادمة لتلك الاصول وخادمة لها كالمعدة والعروق
والشرايين واما مكملة لها ومزينة كاليد والحاجب واشرف اصول الصناعات السياسة
وهي اربعة اضرب الاول سياسة الانبياء وحكمهم على العام والخاص ظاهرهم وباطنهم والثاني الولاة
وحكمهم على ظاهر العامة والخاصة دون باطنهم والثالث الحكماء وحكمهم على باطن الخواص والرابع
الوعظة والفقهاء وحكمهم على بواطن العامة واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة
افادة العلم وتهذيب الناس به وبيان ذلك ان شرف الصناعة يعتبر من اوجه اما بحسب النسبة الى القوة
المدركة لها كفضل معرفة الحكمة على معرفة اللغات فان الاولى متعلقة بالقوة العقلية وهي متعلقة
بالقوة الحسية والعقل اشرف من الحس واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما
بحسب شرف الموضوع المعمول فيه كشرف الصياغة على الدباغة وقد علم ان الحكمة تدرك بالقوة
العقلية وهي اشرف قوى الانسان وانه يتوصل بها الى جنة المأوى وذلك ابلغ نفع وموضوعها الذي تعمل فيه
نفوس البشر وهي افضل موضوع تعمل فيه بل موجود في هذا العالم واما ان العلم من وجه صناعة
ومن وجه عبادة ومن وجه اجل خلافة الله تعالى فان الله تعالى مع استخلافه فقد فتح على قلبه العلم الذي
هو اخص صفاته فهو خازن لاجل خزائنه وقد اذن له في الانفاق على كل احد ممن لا يفوته
الانفاق عليه وكلما كان الانفاق اكثر على غيره كان نجاحه عند مستخلفه اوفر

باب في ان اصول الصناعات مأخوذة عن الوحي اصول الصناعات
والمكاسب مأخوذة عن وحي وذلك ان بعض الانسان محتاج بعضهم الى بعض ظاهر فان النفس محتاج

الى الكامل مما يحتاجوا اما ان يتصور حذو احد عن واحد الى غاية تنتهي وذلك يجاري الابانة لذوي عمر
محال واما ان ينتهي الى احد من البشر علمه الله الصناعات اما بتلقين من الملأ الاعلى واما بالهام
او منام وهذا هو الحق فمعلوم الذي للبيان قوى العقاقير وطبائع الحيوانات مما لا يمكن ادراك
خواصها بافهام البشر وتجربتهم ورؤساء كل صنعة يعزون ذلك فاهل النجوم يقولون ادريس
النجوم من هرمس ويقولون هو الذي عرج به روحا الى السماء فاطلع على ذلك وقيل هو من نبي يونس
عليه السلام وكذلك اصحاب الطب يعزون مثل ذلك في معرفة الادوية ثم اختصاص كل واحد من الموجودات
بفعل له على حدته واختيار العقلاء بنوعه ما هو اصلح لذلك الفعل حتى يحصل به صنع حكمة
البينة ٥ **باب** في بيان الناض المتعامل به وبيان حكمة
الفضة اعلم ان الناض احد اسباب ما به قوام الحياة الدنيوية وهي غير مقصودة في نفسها بعض
على الناس توجيه معاشهم وقد تقدم ان الناس محتاج بعضهم الى بعض ولا يمكنهم التعايش
ما لم يتظاهروا ويتولى كل واحد منهم عملا يصير معينا للآخر مواسيا له ولما كان كل من
واسى غيره فرحه ان يقابل بفعله مواساته لكن ربما الحضر حاجتها بتربيته فقيض الله لهم
هذا الناض علامة منه تعالى ليدفعه الانسان الى من يواسيه فيحصل الى من عنده متقاضاه
فيأخذ منه بقدر عمله ثم اذا جاء ذلك الآخر بتلك العلامة او نقلها الى الاول وطلب منه شيئا
مما عنده دفعه اليه ليستنظم بذلك امرهم ولهذا قيل الدرهم حاكم طاهر وعدل ساكت وخاتم
من الله نافذ وقيل لهذا المعنى سمي في لغة الفرس الدينار دين ار اي الدين آتي به والدين
فارسية معرب ولما كان ذلك حاكما عظم الله تعالى وعيد من احتبسه ومنع الناس عن التعامل به

خ ادريس العليم

خ نافذ

فقال الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الآية وذلك انه يصير باحتباسه اياهما كمن احتبس
حاكمين الناس بهما تمشي امور معاشهم ولذلك قال عليه السلام الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر
في بطنه نار جهنم لان اتخاذ الفضة والذهب آنية يؤدي الى منع الناس عن تصريفه في معاملاتهم وتضييق
عليهم مكاسبهم ٥ **باب** مدح المال وذمه المال اذا اعتبر بكونه
احد اسباب قوام الحياة الدنيوية فهو عظيم الخطر كما تقدم واذا اعتبر بساير القنيات فهو صغير
الخطر اذ هو اخس القنيات والقنيات ثلث نفسية وبدنية وخارجة والخارجة ادونها وادون الخارجات
المال لانه خادم غير مخدوم وساير القنيات خادم من وجه مخدوم من وجه لان النفس يخدمها البدن
والبدن يخدمه الماكلة والملبس وهما يخدمهما المال فالمال من حقه ان يكون خادما لغيره من القنيات وان
لا يكون شي من القنيات خادما له وان كان يكثر من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وابدانهم ونفوسهم خدما
للمال وعبيدا اياهم الذين ذمهم النبي عليه السلام بقوله تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد
الخميصة تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش ولعظم موقع المال عند من يتجاوز المحسوسات
قال حكاية عن بعض انبيائه فيما خاطب به امته استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات ولعظم
منافعه في الامور الدنيوية قال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية ونبه على حقارته قدرا بالاضافة الى
احوال الآخرة فقال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم الآية وخوف من اعجب باقتنائه فقال تعالى ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين الآية وقال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا
الآية فحق الانسان ان يعد المقتنيات الدنيوية التي هي موضوعة في خان سفر صالح للانتفاع
بها ما دام بها نازلا في ذلك الخان فيتناول منها مقدار البلغة ويتسلى عنها عند الرحلة ويستنجز

لنفسه ان يكذب ويغضب ويحزن ويجبن ويرتكب القبائح في سببها واعلم ان الناض الذي هو العين
والورق حجر جعله الله سببا للتعامل به كما تقدم انفا وخادم كما ذكرنا فصنع الجهال منه شيئا لنيل العطا بلغ
والاقتداء بالباري عز شانه والوصول الى الغنى الاكبر ان يتهافت على المال واكثر ما احتاج السو يحصل
نفسه اولا يتولى ولا تحته فرق ذوي الاطماع رق مخلد ويكون معتكفا منه على حجر يعبده كما
قال تعالى يعكفون على اصنام لهم وان كان ابراهيم لما سال الله تعالى فقال واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام لم يرد الا ان يحرسه وذريته عن محبة الاعراض الدنيوية الصارفة عن الله تعالى فكانه عليه السلام
واراده تنزه عن ان يشفق من اعتقاده في حجر انه صانع يعبد ويستحق عبادته وقد نبه في موضع آخر
اشارة الى هذا المعنى وعبر يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال بعض
الحكما مثل الانسان في شغفه بهذا الحجر بل بساير الاعراض الدنيوية كراكبي سفينة الى افضل
بلد فانتهى بهم المركب الى جزيرة ذات اسود واساود فامروا بالخروج والتهيؤ للطهارة
وان يكونوا على حذر واحتراز من جنابة زهر امتعة اعجبهم ذلك وشغفوا بها فتباعدوا عن
المركب ونسوا مقصودهم ومركبهم فبقوا لاهين حتى سارت السفينة وثارت عليهم الاسود
تفرسهم والاساود تنهشهم فلم تغن عنهم حجارتهم وزهرهم فصاروا كما قال تعالى حكاية عمن هذه
حاله ما اغنى عني ماليه الآية ٥ **باب** ذكر المال والادب
في اقتنائه والوجوه التي منها يحصل قد تقدم ان المال من الخيرات المتوسطة لانه كما قد يكون
سببا للخير فقد يكون سببا للشر لكن لما كان في اكثر الاحوال موجبا لكرامة اصحابه وتعظيم اربابه
حتى صدق الشاعر في قوله   الناس اعدا لكل مدقع صفر اليدين واخوة للمكثر

وحتى قيل ان ذا المال مهيبا وقال عليه السلم نعم المال الصالح للرجل الصالح واستصوب قول
طلحة في دعايه اللهم ارزقني مجدا ومالا فلا يصلح المجد الا بالمال ولا يصلح المال الا بمراعاة المجد ونظم
المتنبي هذا المعنى حيث قال   فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وقال بعض العلماء اطلب العلم والمال تحز الرياسة فالناس خاص وعام فالخاص يفضلك بما تحسن
والعام يعظمك بما تملك والاكتساب من الوجه الذي ينبغي صعب وتفريقه سهل كما قال الشاعر
له مصعد صعب ومنحدر سهل   ومن رام الاكتساب من وجهه صعب عليه فالمكاسب الجليلة قليلة   خ الجميلة
عند الكرام العادل ومن يعني بكسبه من حيث ما اتفق فقد يسهل عليه والفاضل يتقبض عن اقتنا المال
ويتسهل في انفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتساب المحمدة به لا لجمع المال عنده من هذا الكرم كما قال
لا يالف الدرهم المصرور خرقتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى طرق المعروف تستبق   وغير الفاضل يسترسل في
اقتنائه ويتقبض في انفاقه ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به والمال يحصل من وجهين
احدهما سبب منسوب الى الجد المحض والبخت الصرف من غير اكتساب من صاحبه كمن ورث
مالا او وجد كنزا او قبض له من اولاده شي والثاني ان يكتسب الانسان كمن اشتغل بتجارة
او صناعة فيستخرج منها مالا وهذا الضرب ايضا لا يستغني فيه عن الجد ولهذا قال
وعلي ان اسعى وليس علي ادراك النجاح   فحظ الجد اكثر من حظ الكد بخلاف الاخلاق والاعمال
الاخروية التي حظ الكد فيها اكثر وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها الاية فاشترط للعاجلة مشيته للمعطى وارادته للمعطى له ولم يشترط السعي واشترط في الآخرة

السعي لها مع الايمان ولم يشترط ارادته تعالى ومشيته وان كان ذلك لا يتعرى منها فحق العاقل
يعني بما اذا طلبه ناله واذا ناله لم يخف زواله ويقلل المبالاة بما ان فقده اتاه طلبه او لم يطلبه
وقال بعض الحكماء ان البخت مثله امراة حمقاء عيار رهاني حجرها جواهر وهي قاعدة على جسر وقد
تبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها وهي لا تسمع قولا ولا ترى وجها وقد اعتزل عنها قوم طلبوا العدد
ونقدوا اجرة وفي كل ساعة تولي قبضة مما في حجرها واحدا من القوم لا يخص بذلك احدا بل ربما
يخطيهم وربما جاءتهم كانها المعنية بقول الشاعر
لا تمدحن حسناء الجدا ان مطرت كفاه جودا ولا تذممه ان رزما
فليس يبخل ابقاء على نشب ولن يجود بفضل المال معتزما
لكنه خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما   وتارة تعرج على من
اعطته فتسلبه سلبا وقد تستخرجها دسا واما الفضائل الاخروية فكما قيل العلم لا يعطيك
بعضه حتى تعطيه كلك فان اعطيته كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر وقد قال
الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ه **باب** سبب اخفاق
العاقل وانجاح الجاهل   الحكمة تقتضي ان يكون العاقل الحكيم في اكثر الاحوال مقلا وذلك انه لا ياخذ
المال الا كما يجب من الوجه الذي يجب وفي الوقت الذي يجب اذا اخذه وناله لم يدخره عن كل من
يحق له والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لا يبالي من اين ولا بارتكاب محظور واستباحة محجور
واستنزال الناس عما في ايديهم بالمكر ومساعدتهم على ارتكاب الشر طمعا في نفعهم وكثير ممن ترى من
هم من جملة الموصوفين بقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق

شتى لكن ليمتحنهم فبعض يغضب على الملك وبعض يعتب على القدر وبعض يتجاوز الاسباب
فيعاتب الله تعالى حتى قال بعض المجان لقوله نحن قسمنا بينهم زاد الملا
ولو تولى غيره قسمة ارزاق الورى جرت خطوب بيننا لكننا نحن الولا وذلك لحملهم
على ارتكاب القبائح وجهلهم بما نقيض الله عباده من المصالح وقول الشاعر
هذا الذي ترك الالباب حايرة وصير العالم النحرير زنديقا فان الذي يصير العالم زنديقا
فبان يسمى الجاهل الشرير اولى من ان يسمى العالم النحرير فقد قال الحكيم سوءة لمن اعطى
العلم مجزع لفقد الذهب والفضة ولمن اعطى السلامة والدعة مجزع لفقد الالم والتعب
منشئ للعلم السلامة والدعة ولمرة المال الالم والتعب

باب

كون المال في ايدي الناس ان الله تعالى وجد اعراض الدنيا بلغة ما يتخذها الناس عقده
وصير الدنيا مرتحلا وممرا فصيرها موطنا ومقرا الا قليلا انهم لو تهاحث اليها الله تعالى
ومنهم الذين وصفهم بقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور تاجروا ابهار بهم كما قال تعالى يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة الاية فاعراض الدنيا عارية موجودة في ايدي الناس مستردة
كما قال وما المال والاهلون الا ودايعة ولا بد يوما ان ترد الودائع
ومن وجد منحة منحه الانسان ليستفيد منه بدرها ويستغني بجزه ومن وجد وديعة في يد من
رخص في استعمالها والاستمتاع بها بعد ان اسرف فيها لكن الانسان لجهله ونسيانه لما عهد
اليه بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل الاية اغتر بها فظن انه جعلت له هبة موبدة فركن
اليها واعتمد عليها ولم يتوق امانة الله تعالى فهام لما طولب برده بضرر منه فضجر فلم يفرح عنها

الا من يرجع من رده او كسر يده وبعضهم ومنهم الاملون حفظوا ما عهد اليهم فيها ولو ما يتناول
العارية والمنيحة والوديعة فادوا انها الامانة وعلموا انها مسترجعة فلما استردت
منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا وردوها شاكرين لما نالوه منها ومشكورين لاداء الامانة فيها
وقد ذكر بعض الحكماء في ذلك مثلا فقال ان مثل ابناء الدنيا فيما اعطوا من اعراض الدنيا مثل
رجل دعا قوما الى داره فاخذ طبق ذهب عليه بخور وما جر مكان اذا دخل احدهم سلفناه به
ويدفعه اليه لا ليتملكه بل ليشمه ويدفعه الى من يجي بعده فمن كان جاهلا برسومهم ظن انه
قد وهب له فتضجر اذا ارتجع منه ومن كان عارفا برسومهم اخذه بشكر ورده بانشراح
صدره

باب تفاوت احوال الناس في اعراض الدنيا

طلب
الدنيا وتناولها على ثلاثة اضرب فالاول من تناولها على وجه يستحق ان يكون الى المال مسكر
في المال واياه قصد بقوله في ذم من يحسب ان ماله اخلده والثاني من تناولها على وجه
يجب عليه تناوله وذلك اذا اقتصر على الامكن البلغ باقل منه من الوجه الذي يجب وكما يجب
ولوجوب تناول هذا القدر قيل مباحات الصوفية فريضة وفريضتها مباحة يعني انه اذا عدم
علمها ولم يباح حتى يضطر اليه يتحتم تناوله عليه يصير كان مباحا تناوله فرضا عليه والثالث يفعل
من الواجبات فوق ما يجب عليه مسارعا الى الله حتى يصير حكمها حكم النوافل وروي من طلب رزقه
على ما سن فهو في جهاد وقد قال عليه السلام ابن مسعود ان المؤمن ليوجر في كل شيء حتى في
اللقمة يضعها في في امراته ولم يعن ان كل احد على كل حال يوجر في ذلك وانما اراد تخصيص
المؤمنين الذين يراعون حكم الله في مكاسبهم وانما فهم يتحرون في ذلك عباد الله تعالى الضرب الثالث

لكي

من يتوسع في تناولها مراعيا من حكم الله تعالى لكي يكون وكيلا لله تعالى فيقتصر منها لنفسه على
تناول البلغة ويجعل الباقي مصروفا الى ما دعى الله فهذا افضل ممن تقدم ذكره فانه يصير بذلك
من خلفاء الله تعالى فمن تناول الدنيا على احد هذين الوجهين فقد ارتسم لله عز وجل في قوله تعالى
وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة الآية وما لاعتبار مثلهم قال الله تعالى قل من حرم زينة الله
الآية وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وجعلها
لهم ثم قال ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اي من تحرى عبادة الله بتناول الدنيا فانه يبلغ
بذلك مقصوده المذكور في قوله وان الى ربك المنتهى وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم والفضل هو الاحسان فنبه بذلك ان تناول المال اذا تحرى به الوجه الذي
يجب كان من فضل واحسان يستحق به الثواب وعلى ذلك قوله تعالى واسألوا الله من فضله
وقال في مدح قوم يتناولون الدنيا كما يجب من حيث ما يجب رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله الآية

باب في بيان ما ورد من الآيات المتفاوتة الظاهر

في الدنيا من تصور الوجوه الثلثة التي تقدم ذكرها في تناول الدنيا سقطت شبهة فيما ورد
من الآيات والاخبار المتفاوتة في الظاهر من ذم الدنيا واعراضها تارة ومدحها تارة وذلك
ان ما جاء من ذمها فاعتبارا لمن رضيها حظا لنفسه وجعلها قاصية مراده كما قال تعالى
ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وما جاء من مدحها فباعتبار تناولها وانفاقها على ما يجب
وعلى ذلك قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه الدنيا دار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود
منها والناس فيها رجلان بائع نفسه فموبقها ومبتاعها فمعتقها وعلى هذين الوجهين

مدح تارة عمارة الارض فقال تعالى واستعمركم فيها وقال عليه السلم من غرس غرسا لم يأكل
منه طائر ولا بهيمة الا كان له صدقة وذم مرة عمارتها فقال تعالى اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وعمروها اكثر مما عمروها وقال
عليه السلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

باب

احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والآخرة الناس في ذلك ثلثة اصناف صنف هم المنهمكون
في الدنيا بلا التفات منهم الى العقبى وهم المسمون عبدة الطاغوت وشر الدواب ونحوها
من الاسماء وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة يراعون العقبى من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا
وصنف متوسط وفوا الدارين حقها وهذا الصنف هم عند الحكماء افضل لان بهم قوام اسباب
الدنيا والآخرة ومنهم عامة الانبياء لان الله تعالى بعثهم لاقامة مصالح المعاد والمعاش ولان
امورهم مبنية على الاعتدال الذي هو اشرف الاحوال واحمدها ان يكون مثلهم داخلا في عموم قوله تعالى
وكنتم ازواجا ثلثة الآية فالمراعي للدنيا والآخرة على ما يحسن وكما يحسن من السابقين وجعل
قوم السابقين هم النساك الذين رفضوا الدنيا بالكلية محتجين بقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وخفي على هذا الجاهل ان اعظم عبادة الله ان يكون عابدا الى مصالح عباده
وروى ابن مسعود عن النبي عليه السلم انه قال الخلق كلهم عيال الله فاحب الناس اليه انفعهم لعياله
ولانه كما يقبح ان يشتغل الانسان بامر دنياه ويهمل فيضيع احد جزئيه المركب عليه كذلك يقبح ان
يضيع الجزء الآخر الذي هو بدنه ودنياه لانه يصير مضادا لله تعالى في ابطال ما اوجده واتقنه
وان قيل فقد قال بعض الحكماء الناس ثلثة رجل شغله معاده عن معاشه وذلك درجة الفائزين

ورجل شغله معاشه عن معاده وذلك درجة الهالكين ورجل يشتغل بهما وذلك درجة المخاطرين
قال رحمه الله تعلم أن الفائز أحسن حالا من المخاطر فيقال إن المنازل الرفيعة لا تستفاد من مخاطرة لم
يقصد هذا القائل بذلك تفضيل الفائز وإنما خوف أن يشتغل بخلافه إلى السلامة من عواقبها ويتوقى
ذكر ما روي أن بعض أولاد الملوك ممن يقوى في العلم والحكمة اعتزل الملك وزهد في الدنيا فكتب
إليه بعض الملوك قد اعتزلت ما نحن فيه فإن علمت أن ما اخترته أفضل فعرفنا لنتبع ما نحن فيه
ولا تحسبني أقبل منك قولا بلا حجة فكتب إليه اعلم أنا عبيد الملك رحيم بعثنا إلى الحرب عدو وعرفنا
أن المقصد من ذلك قهره أو السلامة منه فلما فهموا من الزحف صاروا ثلثة الأول منهم من طلب
السلامة منه فاعتزل عنه فاكتسب ترك الملامة وإن لم يكتسب المحمدة ومنهم من أقدم على
غير بصيرة فخرج إلى العدو وقهره فاستجلب بذلك سخط ربه ومنهم شجاعا أقدم على بصيرة فقاتل وأبلى
واجتهد فهو الفائز لما تم العزو وإنما لما وجدتني ضعيفا رضيت بأدنى الهمتين وأدون المنزلتين
فكن أنت أيها الملك من أفضل الطوائف فكن أكرمهم ه

باب

بيان حال من يجب له الاستكثار من أعراض الدنيا ومن يجب له ذلك الاعتبار في تناول الدنيا
والاستكثار منها والاستقلال والزهد فيها أو الرغبة ليس بتناول الكثير والقليل بل بتناول لها من
حيث ما يجب ووضعها كما يجب قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض
وأراد به وجه الله لسمي زاهدا ولو أنه ترك جميع ما في الأرض ولم يرد بتركه وجه الله لم يسم
زاهدا ولا كان لله في ذلك عابدا فلكن أخذ كما يأخذ وترك كلما تركه لله عز وجل لا لغيره
واعلم أن الحكيم إذا تناول أعراض الدنيا يجري مجرى راق حاذق تناول حية قد عرف نفعها

ومضرتها وأمن سمها وترياقها فتجري تناوله لها الوجه الذي ينتفع منه بها ويدفع عنه ضررها ومباح
له تناوله لها وغير الحكيم إذا تناولها فهو كجاهل استحسن الحية واستلان مستها فظن أنها مستصلحة
لأن يتقلد بها فجعلها سخابا في عنقه فلدغته وقتلته وما أحسن ما قال الشاعر في وصفها
هي دنيا كحية تنفث السم وإن كانت المجسة لانت   وكما لا يجوز للجاهل إلا الرقية غير العارف بنفع
الحية أن يعتدي بالراقي في تناول الحية والتعرض منها كذلك لا يجب للجاهل أن يعتدي بالحكيم في تناول
أعراض الدنيا وكما أنه محال أن يسلك الأعمى من غير بصير طريقا وعرا يسلكه البصير وهو غير آمن
أن يقع في هوة كذلك محال أن يسلك الجاهل مستبدا برأيه في تناول أعراض الدنيا طريقا سلكه
الحكيم العالم إذ هو غير آمن أن يقع في هاوية وإنما الدنيا غانية زعنا كما قال
تنعم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنث اسمها الناس أم لا   وكما أن الغانية لا يجب أن يدخل
عليها ويخلو بها من الرجال إلا كل من كان محجوبا بحرم عليها كذلك الدنيا لا يجب أن يتمكن منها إلا
المقطوع عنها بالعفة والزهد للانعزه وذلك كأمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث ما قال يا
حمرا يا بيضا احمري وابيضي وغري غيري هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه وغرا
ومن تصور ذلك علم أن الله تعالى قد أباح الدنيا كلها لأوليائه وجعلها منه لهم تناولهم لها على
ما يجب وكما يجب إذا تناولوها ووضعوها كما يجب وحيثما يجب وعلى هذا أنا الحمل ما قيل أن
الأرض يورثها الأبرار وقال لأن الأرض يرثها عبادي الصالحون إلى غير ذلك من الآيات التي
التي تقدم ذكرها ه

باب

ما نال أرباب الدنيا من العقوبات
الدنيوية لله تعالى عقوبتان في معاقبة من نال لم يجب تناول الدنيا أو تناول لم الوجه

الذي لم يوجهه احد كالعقوبة الظاهرة للبصر والبصيرة وذلك كالعقوبات من غصب مال
مجاهرة او سرقة خفية ولكن منع حق الشرع لذلك فان عقوبات ذلك ظاهرة امر السلطان
باقامتها والثانية خفية على البصر ظاهرة للبصائر وهي لاولي الالباب كالعقوبة من زنا ولها امر
حيث لا يجد مناوله او يمنعه من حيث لا يجد منعه الا على وجه يجد امر السلطان باقامة فيه
عقوبة فهذا عقوبة ما روي اي امرء سكن قلبه حب الدنيا بلي بثلث شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يدرك
غناه وامل لا يدرك منتهاه وقال عليه السلام من كانت الدنيا اكبر همه شتت الله عليه امره وجعل
فقره بين عينيه ولم يبال الله في اي واد من الدنيا هلك وعلى ذلك قال تعالى انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الاية وقال ومن اعرض عن ذكري الاية ليس يعني قلة المعيشة
وانما يعني ما يقاسي منها الهموم والغموم التي تكدر عليه العيشة

فان له معيشة ضنكا

باب

ذكر الانفاق المحمود والانفاق المذموم   الانفاق ضربان محمود ومذموم فالمحمود منه ما يكسب
صاحبه العدالة وهو بذل ما اوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والانفاق على العيال
ومنه ما يكسب صاحبه اجرا وهو الانفاق على من الزمت الشريعة الانفاق عليه ومنه ما يكسب له
الحرية وهو بذل ما ندبت الشريعة الى بذله وهذا يكتسب من الناس شكرا ومن ولي النعم اجرا
والمذموم ضربان افراط وهو التبذير والاسراف وتفريط وهو التقتير والامساك
وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية ان يعطي اكثر مما يحتمل حاله ومن
حيث الكيفية فان يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية اكثر منه بالكمية فرب
منفق درهما من الوف وهو في انفاقه مسرف وببذله ظالم مفسد كمن اعطى فاجرا درهما

او اشترى خمرا او ينفق لوما الا لاغراض باسوقه معتقد وتبذ له يتخيل كما روي في شان
ابي بكر رضي الله عنه وقيل لحكيم متى يكون بذل القليل سرفا والكثير اقتصادا قال اذا كان بذل
القليل في باطل وبذل الكثير في حق والتقتير من جهة الكمية ان ينفق دون ما يحتمله حاله
ومن جهة الكيفية ان يمنع من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس احمد لانه
جود لكنه اكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال احمد من البخل ولان رجوع المبذر الى
السخاء سهل وارتقاء البخيل اليه صعب ولان المبذر قد ينفع غيره وان اضر بنفسه والمقتر
لا ينفع نفسه ولا غيره على ان التبذير في الحقيقة يتولد من وجه اقبح اذ لا اسراف الا وبجنبه
حق مضيع ولان المبذر يؤدي بصاحبه الى ان يظلم غيره ولهذا قيل الشحيح اعذر من الظالم
ولانه جهل بمقدار المال الذي هو سبب استبقاء النفس والجهل راس كل شر والمتلاف ظالم
من جهة اخذه من غير موضعه ووضعه في غير موضعه ولكثرة مذام الاسراف ذمه الله تعالى
باعظم ما ذم به البخل فقال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقال ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا اي تقعد ملوما من جهة من
سائلك فلم تجد ما تعطيه ومحسورا عاجزا عن بلوغ مرادك وبهذا الم المتنبي

فلا تحللن في المجد مالك كله   فينحل مجد كان بالمال عقده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله   ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وليس الاسراف متعلقا
بالمال فحسب بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به الا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط
بالاسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال بل انتم قوم مسرفون ووصف فرعون بقوله

انه كان عاليا من المسرفين وبقوله ان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين

باب حقيقة السخاء والجود والشح والبخل

السخاء هيئة للانسان داعية الى بذل المقتنيات
حصل معه البذل او لم يحصل وذلك خلق تقابله الشح والجود بذل المقتنى وتقابله البخل
هذا هو الاصل وان كان كل واحد منهما قد يستعمل في موضع الآخر ويدل على صحة هذا الفرق
انهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الافعال الغريزية فقالوا سخي وشحيح وقالوا
جواد وباخل واما قولهم بخيل فمصروف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم ورحيم ولكون
السخاء غريزة لم يوصف الباري تعالى به وقد عظم امر الشح وخوف منه ولهذا قال عليه السلام
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فخص المطاع لينبه ان
وجود الشح في النفس ليس مما يستحق به الذم اذ ليس من فعله وانما يذم بالانقياد له وقال ومن
يوق شح نفسه وقال واحضرت الانفس الشح وقال عليه السلام لا يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابدا

باب فضيلة الجود وذم البخل

الجود على السنة العرب محمود
ولذلك قيل كفى بالجود حمدا ان اسمه مطلقا لا يقع الا في حمد وكفى بالبخل ذما ان اسمه مطلقا
لا يقع الا في ذم وقيل للحكيم اي فعل البشر اشبه بفعل الباري تعالى فقال الجود وقال عليه السلام
الجود شجرة من اشجار الجنة من اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنة والبخل شجرة من اشجار
النار من اخذ بغصن من اغصانها اداه الى النار الحديث ومن شرفه ان الله تعالى قرن ذكره
بالايمان ووصف اهله بالفلاح والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين فقال الذين يؤمنون
بالغيب الى قوله هم المفلحون وحق للجود ان يقرن بالايمان فلا شيء اخص به واشد مجانسة له

منه ومن صفة المؤمن انشراح الصدر كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
ومما فرق بين الجواد والبخيل ان الجواد يوصف بسعة الصدر للانفاق والبخيل بضيق الصدر
للامساك وقال عليه السلام اي داء ادوى من البخل وان البخيل لمن اضرب بخلا لان الانسان يبخل بماله
على غيره ويبخل على نفسه بما لغيره وهو اقبح المنزلتين والباخل بما في يده باخل بماله
على نفسه فقد تقدم ان المال عارية في يد الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا ينقذ نفسه
من العذاب الدائم بالعرض سيما اذا لم يخف من صاحبه تبعة ولا ملامة والكفاية الالهية متكفلة
باعواض المنفق فقد قال عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقال عليه السلام ان الله ينزل
المعونة بقدر المؤنة وقال من وسع وسع له

باب انواع الجود والمجود به

الجود خمسة اضرب جود الاله تعالى وهو البذل لكل احد على قدر استحقاقه وجود الملوك وهو
بسط المال على العفاة تغنيهم وتعزهم وجود السوقة وهم الذين دون الملوك وهو بذل
المال بالسؤال وجود الصعاليك وهو البذل للندامى من المعاشرين والشرب وجود
عوام الناس وهو الاحسان الى الاقارب والمحمود من ذلك كله الجود الالهي وهو بذل الموجود
بقدر الطاقة لكل محتاج بقدر استحقاقه من غير امتنان ولا اذى به فالمعطي ما يحتاج اليه
لمن لا يحتاج اليه مسرف مضيع والمعطي غيره شيئا لرهبة او لتقية والمعطي لرغبة له في مثوبة
او لمحمدة دنيوية فتاجر وقول بشار فتى لا يشتري حسن الثناء بماله ويعلم ان الدائرات تدور — كما قال ابو نواس
فليس بغاية في الوصف بالجود التام بل وصف بتجارة محمودة واحسن منه قول ابن الرومي
رايا البر ابن اله ركان في كل متجر تجره   اجر وحمد وانما طلب الاجر ولكن كلاهما اعتوره

وقد اجاد بشار في قوله   ليس يعطيك للرجاء وللخوف ولكن يلذ طعم العطاء

الفصل السابع في ذكر الافعال

باب الافعال

الافعال ضربان الهي وانساني فالالهي اربعة اضرب ابداع وتكوين وتربية واحالة وجميع ذلك
يسمى خلقا من حيث كان وجود كل واحد بمقدار والخلق في الاصل التقدير المستقيم فالاول شى
الابداع وهو ايجاد الشيء دفعة لا عن موجود ولا شيء سبب ولا عن تنقل الى كمال وليس ذلك الا للباري تعالى
وان كانت العرب قد تستعمل الابداع فيمن يحفر بئرا في مكان لم يحفر فيه قبل وفيمن ينسج شعرا
او يورد كلاما لم ينسج على منواله قبل والثاني التكوين وهو ايجاد الشيء عن عدم بترتيب من
نقص الى كمال والمتكلمون قد يستعملون التكوين في موضع الابداع ولما هو اعم حقيقة التكوين
استعمل في قول من قال السماء ليست بمكونة وقدروا انه يقول ليست بمحدثة ولا مخلوقة وانما
اراد هذا القائل فيما ذكر اصحابه ودل عليه كلامه ان الله تعالى ابدعها ابداعا كما قال بديع السموات
والارض ولم يخلقها خلقة ناقصة في ابتداء نشئه ثم كملها شيا فشيا كالحيوان والانسان
والنبات والثالث التربية وهو تغذيته وذلك استخلاف ما تحلل من ابدان ما وجد عن كون
ليبقى المدة المضروبة له وبه قيل له تعالى رب العالمين والرابع الاحالة وهو المعاقبة
اللاحقة للكائنات في كيفياتها من لون وطعم ورائحة والفعل الانساني ثلاثة اضرب نفساني
فقط وهو الافكار والعلوم وما ينسب الى افعال القلوب وبدني وهو الحركات التي يفعلها
الانسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود وصناعي وهو ما يفعله الانسان بمشاركة البدن
والنفس كالحرف والصناعات ٥

باب الفرق بين الفعل والعمل والصنع

الفعل لفظ عام فيما كان باجادة او بغير اجادة ولما كان بعلم او بغير علم وقصد او بغير قصد
ولما كان من الانسان والحيوان والجمادات واما العمل فانه لما كان من الحيوان دون ما
كان من الجمادات ولما كان بقصد وعلم دون ما يمكن عن قصد وعلم فالعمل ادبا العمل مقلوب من
العلم فان العلم فعل القلب والعمل فعل الجارحة وهو بروز عن فعل القلب الذي هو العلم ومتعلق عنه
واما الصنع فانه يكون من الانسان دون سائر الحيوان ولا يقال الا لما كان باجادة ولهذا يقال
للحاذق المجيد والحاذقة المجيدة صنع وصناع والصنع قد يكون بلا فكر لشرف فاعله والفعل قد يكون
بفكر لنقص فاعله والعمل لا يكون الا بفكر لتوسط فاعله فالصنع اخص المعاني الثلاثة والفعل
اعمها والعمل اوسطها وكل صنع عمل وليس كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس كل فعل عملا رؤية
هذه الالفاظ تنبي عن الفرق بينها فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار وللصنع كنش ٥

باب انواع الصناعات

الصناعات ضربان علمي وعملي فالعلمي ما يستغني فيه عن الاستعانة بالجوارح من اليد
والرجل كمعرفة الهيئة والحساب والعملي ما يحتاج فيه الى الاستعانة بالجوارح وذلك ضربان
الاول شيء ينقضي بانقضاء حركة الصانع كالرقص والزمر والمحاكاة والثاني شيء يبقى له اثر وذلك
ضربان ضرب يبقى له اثر معقول لا محسوس كالطب والبيطرة وضرب يبقى له اثر محسوس كالبناء والكتابة

باب الافعال الارادية وغير الارادية

الافعال التي تظهر من
غير الله اما تسخيري واما غير تسخيري فالتسخيري هو الذي يظهر ممن يظهر لا بقصد وارادة منه
وقد يكون ذلك من الجمادات والحيوان وذلك نوعان نوع يسخره الباري تعالى كاحراق النار الحطب
وتبريد الثلج الماء وضرب يسخره البشر كطحن الرحى ودوران الدولاب واما غير التسخيري فضربان

ضرب يكون من فاعله مبدأ الإرادة، وضرب لا يكون منه مبدأ الإرادة، فالذي منه مبدأ الإرادة ثلثة
الأول بحسب التمييز كمن يتناول الخبز دون الحجر ونحوه، الثاني بحسب الغضب كمن بطش بمن يغضب عليه
والثالث بحسب الشهوة كمن يتناول ما اشتهاه لشهوته، والذي لا يكون منه مبدأ الإرادة ضربان ضرب
لا يكون منه مبدأ الإرادة ولا منتهاه كمن رمى غرضا فأصاب إنسانا، وضرب لا يكون منه مبدأ الإرادة
ولكن يكون منه منتهاه كمن حصل في سفينة وخاف الغرق فتكلف أن يلقي متاعه في الماء ليتخلص
والأفعال من الجمادات تقع بالتسخير فقط، ومن النبات تقع بالتسخير وبالنزاع الذي تقتضيه
القوة الشهوية، ومن الحيوانات تقع بهما وبالغلبة التي تقتضيها القوة الغضبية، ومن الإنسان
تكون بكل ذلك وبالفكرة التي تقتضيها القوة العاقلة.

باب

ما يستحق به اللوم من الأفعال وما لا يستحق به ذلك. الأفعال ضربان إرادي وغير إرادي، فالإرادي
ضربان ضرب عن روية وضرب لا عن روية، فالذي عن روية ضربان أحدهما الذي عن روية نظر
في غاية الشرف وهو ما يكون بحسب النفس الناطقة ويسمى الاختيار وهو طلب ما هو خير له، ويستحق فيما هو
أبدا به الحمد إذا كان على الحقيقة اختيارا، والثاني عن روية فيما ليس هو في غاية الشرف، وذلك
إما بحسب القوة الغضبية وهو دفع ما يضر، وإما بحسب القوة الشهوية، وكل واحد منهما إذا
كان بقدر ما يوجبه العقل يستحق به الحمد، وإذا كان زائدا أو ناقصا عما يوجبه يستحق به الذم، والإرادي
الذي عن غير روية واختيار ضربان أحدهما ما يفعله في نفسه والثاني ما يفعله بغيره، وكل
واحد منهما ضربان نفع وضر، فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد، وما قصد به نفع غيره فقد
يستحق به الحمد والشكر جميعا، وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم، وما قصد به ضر غيره فقد يستحق

به الذم والعتب عليه. وغير الإرادي ثلثة أضرب: الأول أن يكون قسريا وهو ما يكون مبدؤه من
خارج ولا يكون من الإرادة معونة بوجه كمن رفعه ريح فسقط على آنية فكسرها فلا ملامة فيه بوجه
والثاني أن يكون إلجائيا كمن أكرهه سلطان على أن يفعل فعلا ما، وهذا متى كان الملجأ
إليه قبيحا جدا أو السبب الملجئ له ضعيفا يستحق مرتكبه الذم كمن يضرب بأن يقتل إنسانا أو
كان الملجأ إليه ليس بجد قبيح والسبب الملجئ له عظيما لا يستحق مرتكبه الذم كمن يوضع على حلقه
السيف فيهدد بأن يقتل إن لم يتكلم بكلام قبيح، وكلاهما يقال لهما الإكراه. والثالث الخطأ
وهو ما يكون مبدؤه من صاحبه وذلك نوعان أحدهما ما يتولد عن فعل وقع منه وله أن يفعله
كمن رمى هدفا فأصاب إنسانا وذلك لا يستحق به ملامة ما لم يقع من صاحبه تقصير في الاحتراز
والثاني ما يتولد عن فعل ليس له أن يفعله كمن شرب فسكر فحمله سكره على أن كسر إناء
أو ضرب إنسانا فإن ذلك يستحق الملامة وإن لم يرد كسر الإناء وضرب الإنسان فقد ارتكب
محظورا أداه إلى وقوع ذلك منه، فالضرب الأول يقال له أخطأ فهو مخطئ، والثاني يقال له
خطئ فهو خاطئ، ولهذا قال أهل اللغة خطئ ما كان على سبيل العمد، وأخطأ ما كان على سبيل
السهو.

باب

الأسباب التي يمكن نسبة الفعل إليها. أكثر
الأسباب التي يحتاج إليها الفعل في وجوده عشرة أشياء، فإنه يحتاج في حصوله إلى فاعل يصدر
عنه الفعل كالنجار، وإلى عنصر يعمل فيه كالخشب، وإلى عمل كالنجر، وإلى زمان وإلى مكان يعمل فيهما
كالمنجر والمنحت، وإلى غرض قريب كاتخاذ النجار الباب، وإلى غرض بعيد كتحصيل الستر به، وإلى
مثال يعمل عليه ويحتذى به، وإلى مرشد يرشده، وكل ذلك قد ينسب إليه الفعل فيقول

اعطاني زيد اذا باشر الاعطاء واعطاني الله اذا كان هو الميسر له وربما جمع بين السبب القريب والبعيد فيقول
اعطاني الله وزيد مالا جاء به جدنا والاله وضرب لنا خدم صاحب فنسبه الى السبب
الاول وهو الله والى السبب الباخر وهو الضرب والى المتوسط وهو الجد وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال قل يتوفيكم ملك الموت فاسند الفعل الى الآمر به والثاني الى المباشر له وقال الشاعر
نصف الدمع والنسبة الهالكي وقال كاسم محرق فنسب الفعل الى عاملها ومن الثاني الى
مستعملها وقال وصفته بالكسها ربتها مضرجة فنسب كسوتها الى الطاير الذي اتخذ ريشه
بجمالها وقيل بيداك اوكتا وفوك نفخ فنسب الفعل الى الالة المتصلة وتقال سيف قاطع فنسب الفعل
الى الالة المنفصلة وقيل ضرب فيصل وفاصل وطعن جايف فنسب الى الحدث وقيل سر كاتم وعيشة
راضية فنسب الى المفعول وقال الحجاز امنا فنسب الى المكان وقيل يوم صايم وليل ساهر وقال
وما ليل المطي بنايم فنسبه الى الزمان فلما كانت افعال الناس على ذلك صح في الفعل الواحد ان يثبت
لاحد الاسباب مرة وينفى عنه مرة سطرين مختلفين وعلى ذلك قول الشاعر اعطيت من لم تعطه ولو اقتضى
حسن اللقاء ومتت من لم تحرم فاثبت له الفعل ونفاه عنه معا سطرين مختلفين وقال هذا الحبشي
قطعته انا الا السكين وتقال قطعه السكين ولم اقطعه وتقال ان هداه الله وهداه الرسول وهداه
القرآن وهداه فهو منسوب الى كل ذلك وتقال اضله الله لما كان هو السبب الاول في وجوده ووجود
سبب المضل ووجود الالة وان لم يكن هو تعالى الداعي الى الضلال وتقال اضله الشيطان لما كان هو
الداعي له الى الضلال واضله نفسه لما كانت هي التي تركت الاحتراز وهذا فصل من تصفح بعلمه
تبينت المعاني على مثلها من الالفاظ فسطر من اللفظ الى المعنى بل سطر هذا من المعنى الى اللفظ وعلم
في نحو

ان من اجل هذا الذي قدمنا قال قوم من المحصلين لا شي من الافعال فاعله فاعل واحد على الحقيقة الا الباري
فان فعله تعالى يستغني عن الزمان والمكان والمادة والالة وعن شيا يحتذيه ومن عداه من الفاعلين
لا بد له من كل ذلك او من بعضه ولهذا لا يصح ان ينسب الابداع الى غيره لا حقيقة ولا مجازا وقد صح ان
فعل غير الله لكل ما تقدم ذكره قال الشيخ ابو القسم الراغب رحمه الله هذا آخر ما قصدت
تبيينه من هذا المعنى واختم القول بحمد الله والثنا عليه والتضرع اليه في ان ينفعني واخواني
بما نحته وان يجعلني ممن يذكر فيتذكر ويتبصر فيبصر ويتعظ فيتعظ ويتيقظ فيتيقظ فاعظم البحبة ان يسام
من اياتهم وان يزجر من لا ينزجر وان يدعى الى الحكمة من اذا لقيته المحاسن لا يجتبيها واذا لقيته المساوي
لا يجتويها يري القذاة في عيون اخوانه فينكرها ولم يرى الجذع المعترض في اجفانه ولا يعيرها ينصح
غيره ويغش نفسه لمن كسا الناس وهو عاري وعورته للناس بادية ما ان يواريها
وكالمسن يشحذ الحديد ولا يقطع وكالصخر الصلد الذي يمر به الما النافع فلا ينتفع ونسأله
تعالى ان يعلمنا انه اذا اراد بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال نسأل الله ان لا يجعلنا منهم ومن يرغب الى الله
في ان يجعلنا برحمته ممن ائتمر للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال بادر خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحيوتك قبل مماتك فما اعظم في العاقبة
الحسرة والندامة ان لم يتغمدني الله برحمته التي وسعت كل شي فيسهل يا رب المجاز ويبشر لي
الجواز فقد جاز حادي ولم يصلح منا دي تم الكتاب بحمد الله ومنه
في الرابع من شهر ربيع الاخر احد شهور سنه ست وتسعين وخمس مايه
والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الاكرمين

١٠٠

كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

تأليف الشيخ الإمام العالم أبي القاسم الراغب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي أرسل بالنبوة عبده وعلمنا على لسانه حمده ورغبنا به فيما عنده و
نسأله أن يصلي على نبيه وعلى آله وأن يهدينا بأوضح دليل إلى أنجح السبيل وبأقوى حجة
إلى أوضح محجة قال أبو القسم الراغب رحمه الله هذه رسالة في تفصيل النشأتين
وتحصيل السعادتين أما النشأتان فأحدهما المذكورة في قوله تعالى ولقد علمتم النشأة
الأولى فلولا تذكرون والثانية المذكورة في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
وأما السعادتان فأحدهما المذكورة في نحو قوله تعالى اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
والثانية المذكورة في قوله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة وقد عملت ذلك
لأخ لنا لما رأيت النفس معتنيا بالكتاب الإنسانية الموصلة إلى السعادتين أعانه الله
على استفادتهما حتى يصير جاريا لنوعهما حاميا على معناهما ومراعيا لخصائصهما فقد
كاد أن يكون قولنا الإنسان يصير لفظا مطلقا على معنى غير موجود واسما لحيوان غير
معهود كعنقاء مغرب ونحو ذلك من الأسماء التي لا معاني لها كما قال الله تعالى
في صفة الأصنام المسماة آلهة إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم وقال تعالى ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها فجعلها أسماء بلا مسمى ولم أعن بالإنسان كل حيوان منتصب
القامة عريض الظفر أملس البشرة ضاحك الوجه ممن ينطقون ولكن عن الهوى ويتعلمون
ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم ويعلمون ولكن ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون ويكتبون الكتاب بأيديهم ولكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا

ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق ويؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت ويعبدون
ولكن من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويبيتون ولكن ما لا يرضى من القول ويأتون
الصلاة ولكن كسالى ولا يذكرون الله إلا قليلا ويصلون ولكنهم من المصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون ويذكرون ولكن إذا ذكروا لا يذكرون ويدعون ولكن مع الله إلها آخر وينفقون
ولكن لا ينفقون إلا وهم كارهون ويحكمون ولكن حكم الجاهلية يبغون ويخلقون ولكن يخلقون إفكا
فهؤلاء وإن كانوا بالصورة المحسوسة ناسا فإنهم بالصورة المعقولة لا ناس ولا نسناس كما قال
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يا أشباه الرجال ولا رجال بل هم من الإنس المذكورة في قوله تعالى شياطين
الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وما أدرك المتنبي إذ اعتبر جل الناس
بالخلق لا الخلق حيث قال في قوله لم يبق من جل هذا الناس باقية ينالها الوهم إلا هذه الصور
ولا من يقول بمجلسهم إذا انكشفت منهم حمير أو كلاب أو ذئاب ولا الحسن هذه الأبيات
إلا لاستعارة وإطلاقات مجازية فإن الله تعالى قال أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقد أبنت في هذه الرسالة عن جل الموجودات ومكان
الإنسان منها ومبدئها ومنشئها ومنتهاها وما جعل له من السعادة في الدارين لكتاب
الإنسانية وكيفية التطرق إليها وابتدأت بالتنبيه على وجوب معرفة الإنسان ذاته
فمن علم أن شيئا ما مما يجب أن يعلم فاته وإن لم يعلمه فقد حصل له بذلك علم من العلم أن يعلم أنك
لا تعلم وعلم الإنسان بجهله أحد العلمين وقال ابن عباس رضي الله عنه من لم يجد مس نقص
الجهل في عقله وذل المعصية في قلبه ولم يستبن الكلة في لسانه عند كلال الحدة عن جدة

خسته فليس ممن نزع عن دنيته ولا رغب عن حال نجزه ولم يكترث بفضل ما بين مجده وشينه
ويتلذذ بجوعه مستقذرا التي يحرص الانسان على طلبه ويصبر على تحمل المشقة في تحصيله ولذلك قال
تعالى في صفة من جهل نفع مطلوبه وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فاعرف بها الفاضل فضيلة
الانسانية وما أعد من الفلاح لمن زكى كاينا لقد أفلح من زكاها فانه
هي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ولأشكا ذلك بعد المشقة فعل
من يرى نملك طاقة وروا قد فان جاوزت كسوة البدن فليس ورا عبادان قرية
بل لا تراه الا عبد الحجر او عبد البهيمة او طبيعة لمن ذم الذي عليه السلام حين قال تعس عبد الدرهم
تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فانك في عنفوان شبابك وليونة اعطافك
واعلم انه ليس يحسن بذي همة فتا حسن الله خلقه وخلقه وقيض له من رباه فاحسن تربيته
وازاح عنه معاونته بعد بلوغه علته ان يرضى بأن يكون حيوانا وقد امكنه ان يصير انسانا او بأن
يكون انسانا وقد امكنه ان يصير ملكا او بأن يكون ملكا وقد امكنه ان يصير ملكا في مقعد صدق عند
مليك مقتدر فتقوم الملائكة بخدمته كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ونفسنا الله لذلك ولا جعلنا من الكسالى الموصوفين بقوله تعالى
لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة جعلنا الله بفضله من
المؤمنين الموصوفين بقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وبقوله اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه حتى لا نغتر بأمور كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية

تراجم الابواب

آ فضل معرفة الانسان نفسه ب ذكر اجناس
الموجودات وموضع الانسان منها ج ذكر العناصر التي منها أوجد الانسان د ذكر
قوى الاشياء التي جمعت في الانسان ه ذكر تكون الانسان شيئا فشيئا حتى يصير انسانا كاملا
و ظهور الانسان في سنفار الموجودات ز ماهية الانسان ح كون الانسان مستعملا للدارين
ط تمثيل ذات الانسان وتصويره ى كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله
يا الغرض الذي لاجله أوجد الانسان ومنازلهم يب تفاوت الناس واختلافهم يج سبب
تفاوت الناس يد بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية يه هداية الاشيا
الى مصالحها يو سعادة الانسان وانواعها يز حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان
يتزود منها يح تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر يط فضيلة الشرع
ك البيان في ان من تخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان كا ما يتعلق به الشرع
من الافعال كب تحصيل العبادة كج انواع العبادة من العلم والعمل كد كون الغرض من
العبادة تطهير النفس واجلاب صحتها كه بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا
بالشرع كو القوى التي يجتاز لها امراضها وانجاسها والمعاني التي يحصل من ذلك كز
كون الانسان مفطورا على اصلاح النفس كح سبب رذيلة الانسان وتأخره عن الفضيلة
كط احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها ل ارتداد
الانسان من طريق الخير الى الشر لا تدارك ما فات العمر من اكتساب السعادة لب اثبات المعاد
وفضيلة الموت وما يحصل له بعده لج فضل الانسان اذا اشرف على الملك

فضل معرفة الانسان نفسه

قال الحكماء اول ما يلزم الانسان معرفة نفسه

وقال الواعظ اولا ما يلزم معرفة الله وليس بين هذين القولين منافاة فانهم عنوا بالاول
حيث ما الزم معرفة النفس الا من حيث الرتبة الصاعدي وعنوا حيث قالوا معرفة الله اولا من
حيث الشرف والفضل فان معرفة الله هي افضل المعارف وفي معرفة النفس اطلاع على امور كثيرة
الاول انه بوساطتها نتوصل الى معرفة غيرها ومن جهلها جهل كل ما عداها والثاني
ان نفس الانسان تجمع الموجودات كما بين من بعد فمن عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك
قال تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تنبيها انهم لو تدبروا انفسهم وعرفوها
عرفوا الموجودات حقائق الموجودات فانيها وباقيها وعرفوا بها حقيقة السموات والارض
ولما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم وقال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين
لهم الحق وقال وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون والثالث ان من انه
عرف نفسه عرف العالم ومن عرفها صار بحكم المشاهد لله عز وجل وهو يخلق السموات
والارض ولم يكن كالكفرة الجهلة الذين اكذبهم بهذه المنزلة فقال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا والرابع انه يمكن ان يعرف معرفة روحه العالم
الروحاني وبقاءه ومعرفة جسده العالم الجسدي وفناءه فيعرف خسة الفانيات وشرف
الباقيات الصالحات والخامس ان من عرف نفسه عرف اعداءه الكامنة فيها المشار
اليها بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فيستعيذ منها كما قال عليه السلام اللهم
الهمني رشدي واعذني من شر نفسي وقال لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ومن عرف

اعاديه الكامنة ومكايدها وكيفية انبعاثها احسن ان يحترز منها وان يجاهدها فيستحق
ما وعد الله به المجاهدين في سبيله ومن لم يعرفها فجدير ان يتراءى له عدوه الذي هو الهوى
بصورة العقل فيسول له الباطل بصورة الحق وقال عليه السلام الهوى شيطان لما يحول له
يعبد من دون الله فقد روي انه قال عليه السلام ما عبد في الارض اله ابغض الى الله من الهوى
ثم تلا افرايت من اتخذ الهه هواه والسادس ان من عرف نفسه عرف ان يسوسها ومن
احسن ان يسوس نفسه احسن ان يسوس العالم فيصير من خلفاء الله تعالى المذكورة في قوله ويستخلفكم
في الارض ومن الملوك المذكورة في قوله وجعلكم ملوكا والسابع ان من عرفها لم يجد عيبا في احد
الا رآه موجودا في ذاته اما ظاهرا بينا واما كامنا ككمون النار في الحجر فلا يكون همازا لمازا
وعيابا فان كل عيب يرى لغيره وجده في نفسه ومن رأى عيب نفسه فجدير ان يكون ممن دعا له
النبي عليه السلام بقوله رحم الله امرءا اشغله عيبه عن عيب غيره ومعرفة عيب النفس صعب من حيث ان كل
انسان يحب نفسه وحبه لها يعميه عن معايبها كما قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم والاعمى
والاصم عن عيب الشيء هو معجب به ولا ضرر اعظم من اعجاب المرء بنفسه فقد قال بعض الحكماء الكاذب
في نهاية البعد من الحق والمرائي اسوأ حالا من الكاذب لان الكاذب يكذب بقوله فقط والمرائي
يكذب بقوله وفعله قال واسوأ حالا منهما المعجب بنفسه لان الكاذب والمرائي قد ينتفع بهما
والمعجب بنفسه لا نفع فيه له بوجه ولانهما قد ينجع وعظك فيهما لعلمهما بعيبهما والمعجب بنفسه لجهله بها
طاغيا يظنك في وعظك اياه ملغيا والثامن ان من عرف نفسه فقد عرف الله فقد روي
انه ما انزل الله كتابا الا وفيه اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وهذا معنى قوله سبحانه

أما في الآفاق وفي أنفسهم الآية وفي هذا الخبر ثلاث دلالات أحدها أن بمعرفة النفس يتوصل
إلى معرفة الله كقولك اعرف الوجه تعرف الصفة أي بمعرفة الوجه يتوصل إلى معرفة الصفة وإن
كان بينهما وسائط والثاني أنه إذا حصل معرفة النفس حصل بحصولها معرفة الله تعالى
بلا تأمل كقولك بطلوع الشمس يحصل الضوء فكما أن الضوء مقترن بطلوعها من غير ما مهلة بل مان
والثالث أن معرفة الله تعالى ليست إلا أن تعرف النفس لأنه إذا عرفتها على الحقيقة فقد عرفت
العالم وإذا عرفت العالم فقد عرفت أنه محدث وأن لا بد له من محدث لا يشبه المحدث بوجه وذلك
من غاية معرفة الله تعالى قالوا وعلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين علي إن العقل قائم برسم العبودية
لا لإدراك الربوبية ثم تنفس الصعداء وأنشأ يقول

كنفس المرء ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار ذي القدم
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعا فكيف يدركه مستحدث النسم

وقال أيضا

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات السر إشراك
وفي سرائر هامات الورى همم عن ذكر الذي عجزت جن وأملاك
يهدى إليه الذي منه الهدى مسلكا ولي الله مدرار ك

وقال أبو بكر رضي الله عنه
يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقال تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم تنبيه أنهم
لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله فلما جهلوه دل جهلهم إياه على جهلهم إياها

الصادق صلى الله عليه
سبحان من لم يجعل للخلق
سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز
عن معرفته وقول الله سبحانه

ذكر أجناس الموجودات وموضع الإنسان منها

اعلم أن الباري جل جلاله هو الواجب الوجود الذي لا سبب لوجوده بل هو سبب كل موجود وكل موجود

فمنه تعالى وجوده والموجودات ضربان المعقولات العلوية والمحسوسات السفلية وإيجاده
تعالى للمعقولات العلوية قبل إيجاده للمحسوسات السفلية كما روي عنه عليه السلام أول ما خلق الله
القلم ثم اللوح وقال ابن عباس كان أول ما خلق الله القلم وروي أنه عليه السلام أول ما خلق الله العقل فقال
له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال اقعد فقعد ثم قال قم فقام ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت
خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وعليك الثواب والعقاب وليس المراد بالعقل ههنا العقول
البشرية بل الإشارة به إلى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية وقال قوم العقل ههنا عبارة
عن القلم المذكور في الخبر الآخر والله أعلم ثم أوجد السماء والروحانيات الذين لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون وإيجاده لهذه الأشياء على سبيل الإبداع والإبداع هو إيجاد الشيء لا عن شيء موجود قبل بوجه موجود
ثم خلق الأركان الأربعة والجمادات والنباتات والحيوانات وختم بالصورة الإنسانية كما دل
عليه النبي عليه السلام خلق الله تعالى يوم الأحد كذا ويوم الاثنين كذا إلى أن قال وخلق الإنسان يوم الجمعة
آخر النهار والخلق في أكثر الأحوال إنما يقال في إيجاد الشيء من شيء قبله كخلق الإنسان من التراب والنطفة
مركبا ولذلك قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وإلى الأشياء المركبة أشار بقوله أولم يروا
إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم واعلم أن كل شيء من المبدعات فتام لا نقص فيه
بوجه ولو كان فيه نقص لدل ذلك على نقصان مبدعه وصانعه تعالى فأما المخلوق الذي هو مركب من شيء
فقد يحتمل أن يكون فيه نقص ويكون نقصه عارضا من جهة ما ركب منه لا من جهة مركبه وفاعله فلهذا
صارت المبدعات من الأشياء العلوية مبرأة من اعتراض الفساد فيها لا تبقى على حالها
إلى أن يشاء الله تعالى أن يرفع العالم والإنسان إنسانان أحدهما آدم الذي هو أبو البشر صلوات الله عليه

ويجري مجرى ما بين الناس مجرى البدن الذي منه انشئ غيره من الباري تعالى قد تولى بنفسه ايجاده
وتربيته وتعليمه كما نبه عليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقوله وعلم آدم الاسماء
كلها والثاني هو موجدهم ايضا الباري تعالى ولكن جعل انشاءهم وتربيتهم وتعليمهم بوسائط
جسمانية وروحانية فالجسماني كالابوين والروحاني الملائكة المدبرات والمقسمات الذين
يتولون انشاءه وتربيته كما روي في الخبر ان الولد يكون اربعين يوما نطفة ثم يصير علقة ثم يصير مضغة
ثم يبعث الله تعالى ملكا فينفخ فيه الروح الى غير ذلك من الاخبار ولكون الابوين سببا في وجود الولد عظم
الله تعالى حقهما والزم بعد شكره شكرهما فقال ان اشكر لي ولوالديك وسمي الولد ابنا وهو مشتق من بنيت
تنبيها على انه جار للاب مجرى البناء للباني ه

ذكر العناصر التي منها اوجد الانسان ح

ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ونبه انه جعله انسانا
في سبع درجات واشار الى ذلك في مواضع مختلفة حسبما اقتضت الحكمة فقال في موضع خلقه من تراب
اشارة الى المبدا الاول وفي آخر من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء وفي آخر من حما مسنون
اشارة الى الطين المتغير بالهواء ادنى تغير وفي آخر من طين لازب اشارة الى الطين المستقر على حالة من
الاعتدال الصالح لقبول الصورة وفي آخر من صلصال من حما مسنون اشارة الى يبسه وسماع صلصلة منه
وفي آخر من صلصال كالفخار وهو الذي قد اختلط باثر من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية
حصل في الانسان اثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى دل بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق نكتة
الجان من مارج من نار تنبيها ان الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من اثر النار وان
الشيطان ذاته من المارج الذي لا استقرار له ثم نبه عليها كما ترى ثم دل على تكميل الانسان بنفخ الروح فيه

٤٧

تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فهذه سبع طبقات نبه عليها كما ترى
ثم دل على تكميله بنفسه بالعلوم والآداب بقوله وعلم آدم الاسماء كلها ثم ذكر خلق بني آدم وعناصره
التي اوجدهم منها لما بعد آدم ونبه انه جعله انسانا في سبع درجات حسبما جعل الاول فقال ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ولم يقل وخلقنا منه لحما كما قال في الاول
قبل اشارة منه تعالى الى لطيفة من صنعه وهي ان النطفة انتهت الى صورة العظم ثم انشأ الله تعالى
اللحم انشاء آخر من النطفة واجراه مجرى الكسوة التي قد يخلقها الانسان ويجددها ولذلك
اذا انقطع من الحيوان اللحم عاد ولم يكن كالعظم الذي لا يعود بعد قطعه ان قيل كيف حكم على جميع الناس
انه خلقهم من سلالة من طين والمخلوق منها آدم عليه السلام دون اولاده قيل ان ذلك على وجهين احدهما
انه لما خلق آدم من سلالة من طين فاولاده الذين هم ابعاضه منها والثاني ان الانسان يتكون من
النطفة وتربى بدم الطمث وهما يتكونان من الغذاء والغذاء يتكون من الحيوان والحيوان من النبات
والنبات من سلالة من طين فاذا الانسان من سلالة من طين وعلى هذا نبه بقوله تعالى انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا الاية وقوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وقوله تعالى خلقكم من تراب ثم من نطفة فجعله من
تراب على هذا الوجه وقال ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وفي آخر وبدا
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وعنى بالانسان ههنا آدم عليه السلام ابا البشر
ولذلك قال ثم جعل نسله فاقتصر ههنا على النطفة دون المبدا الاول الذي هو التراب وانما

ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وقوله ثم انشأناه خلقا آخر اشارة الى جعله مرتقى العقل والنطق ... ولم يقل فكسونا العظام لحما

حعلهم

ذكر هذه المبادي متفرقة لحكمة اقتضت تخصيص ذكر كل واحد في موضعه الذي ذكر فيه وليس
شرح تخصيص ذكر كل واحد من ذلك في موضعه مما يليق بهذا الكتاب ه

ذكر قوى الأشيا التي جمعت في الإنسان

الإنسان قد جمع فيه قوى العالم
وأوجد بعد وجود الأشيا التي جمعت فيه وعلى هذا أنبه قوله تعالى الذي أحسن كل شي خلقه
وبدأ خلق الإنسان من طين وقول النبي عليه السلام الذي تقدم ذكره وقد جمع الله تعالى في الإنسان قوى
بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته فالإنسان من حيث
انه بوساطة العالم حصل وعن أركانه وقواه أوجد هو العالم من حيث انه صغر شكله وجمع فيه
قواه كالمختصر من العالم فان المختصر من الكتاب هو الذي قلل لفظه واستوفي معناه والإنسان
هكذا هو إذا اعتبر بالعالم من حيث انه جعل من صفو العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزبد
من المخيض والدهن من السمسم فما من شي الا والإنسان يشبهه من وجه فانه كالأركان من حيث ما فيه
من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكالمعادن من حيث ما هو جسم وكالنبات من حيث ما يتغذى
ويتربى وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتخيل ويتوهم ويلتذ ويتألم وكالسبع من حيث ما يحرد ويغضب ما يغوى ويضل
وكالشيطان من حيث ما يعرف الله ولا يعبده ويخالفه وكالملائكة من حيث ما يعبد الله ويعرفه
وكاللوح المحفوظ من حيث ما قد جعل الله فيه من الحكم التي كتبها فيه على سبيل الاختصار فقد ذكر بعض
الحكماء في بدن الإنسان أربعة آلاف حكمة وفي نفسه قريبا من ذلك وكالقلم من حيث ما يثبت بكلامه
صور الأشيا في قلوب الناس كما أن القلم يثبت الحكم في اللوح المحفوظ ولكون الإنسان من قوى مختلفة
قال تعالى انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج أي مختلطة من قوى أشيا مختلفة ولكون العالم

والإنسان متشابهين إذا اعتبر قيل الإنسان هو عالم صغير والعالم إنسان كبير ولذلك قال تعالى
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فأشار بالنفس الواحدة الى ذات العالم ولما كان كل مركب من
أشيا مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بموجود فيهن على انفرادهن كالمركبات من الأدوية والأطعمة كذا
في نفس الإنسان حصل معنى ليس في شي من موجودات العالم وذلك المعنى هو ما خصص به من خصائصه التي
تميز بها عن غيره من هيآت له كانتصاب القامة وعرض الظفر وانفعالات له كالضحك والخجل
والحيا وأفعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الأخلاق ه

تكون الإنسان شيا فشيا حتى يصير إنسانا كاملا

الإنسان تكون لا ايجادا ميتا لقوله
تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم وذلك حيث كان ترابا وطينا وصلصالا ونحوها ثم يصير نباتا ناميا
لقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم وذلك حيث ما كان نطفة وعلقة ومضغة
ونحوها ثم يصير حيوانا وذلك حيث ما يتبع بطبعه بعض ما ينفعه ويحترز من بعض ما يضره ثم يصير
إنسانا محصلا أفعال الإنسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك في مواضع نحو قوله يا أيها الناس إن
كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
لنبين لكم الآية وقوله أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا فأول ما يظهر فيه
قوة النزاع الموجودة في النبات والحيوانات ثم قوة تناول المرافق ودفع المخالف ثم الحس ثم التخيل
ثم التصور ثم التفكر ثم العقل فهو لم يصر إنسانا الا بالفكر والعقل الذي به يميز بين الخير
والشر والجميل والقبيح والى العقل أشار بقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم فالإنسان بعقله
صار معدن العلم ومركز الحكمة ووجود العقل فيه في ابتدا الأمر بالقوة كوجود النار في الحجر المحتاج

في ان تؤدي الى افتداح وكوجود النخلة النواة المحتاجة في ان تثمر الى غرس وسقي وكوجود
المأخذ الارض المحتاج في الاستقامة الى حفر ونقل الانسان وافتقر بين قوة الشهوة
وقوة العقل فبقوة الشهوة يحرص الانسان على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذا
والسفاد والتغالب وسائر اللذات العاجلة وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم والافعال
الجميلة والامور المحمودة العاقبة والى هاتين القوتين اشار بقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا وقوله وهديناه النجدين ولما كان من جبلة الانسان ان يتحرى ما فيه اللذة وكانت
اللذات ضربين احدهما محسوس كلذة المذوقات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصرات
وهي من توابع الشهوة وخوادمها والثاني معقول كلذة العلم وتعاطي الخير واللذات المحسوسة
اغلب علينا لكونها اقدم وجودا اذ يوجد في الانسان قبل ان يولد وهي ضرورية له في الوقت
ولذلك مال اكثر الناس الى العاجلة ويذرون الاخرة ولذلك كره اكثر الناس ما يامرهم العقل ويميل الى ما
امرهم الهوى حتى قيل العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع ولذلك قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ولذلك احتاج الانسان ان يتعاطى في ابتداء امره الى مصالحه
بضرب من القهر قال عليه السلام عجبا لقوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فحق الانسان ان يجاهد هواه
الى ان تقتحم العقبة فيتخلص حينئذ من اذاه وللنفس ان تنظر الى العقل ومنه تستنبط المعارف فوق نحو نكتة
فتميز بين المحاسن والمقابح فتعرف كيف تتحرى المحاسن وتجتنب المقابح وتنظر التخنث نحو الهوى
وبتبني الحقائق وبالغ الحسيات بل العادورات والنفس متى كانت شريفة ادام صاحبها
النظر الى ما فوقها واستطال العاديات الا بقدر الضرورة واستلذ اللذات البدنية

الا بحسب ما يرسمها العقل المستمد من الشرع واذا كانت دنية اكثرت الميل الى الشهوات
البدنية فيحدث ذلك لها اذعانا وانقيادا للشهوات فيستعبدها الهوى كما قال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه ويجعله عبد الاغراض الدنيوية كقوله عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد
الخبر من هذه العبودية استعاذ ابرهيم عليه السلام حيث قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام

ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصصه بقوة شي شي منها

و ذات الانسان من حيث ما اجتمع فيه قوى الموجودات صار وعاء معاني العالم
وطينة صوره ومعدن اثاره ومجمع حقايقه وكانه مركب من جمادات ونبات وبهايم
وسباع وشياطين وملايكة ولذلك قد تظهر في شعار كل واحد من ذلك فيجري تارة مجرى الجمادات
في الكسل وقلة التحرك والانبعاث وعلى هذا نبه بقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وقد تظهر في شعار النبات المحمودة او المذمومة فيصير اما كالاترج الذي طيب
حمله ونوره وعوده وورقه او كالنخل والكرم فيما يولي من النفع او كالكشوث في عدم
الجذر وكالحنظل في خبث المذاق وعلى هذا نبه بقوله تعالى مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة الاية ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الاية ويظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة او المذمومة فيصير اما كالنحل
في كثرة منافعه وقلة مضاره وحسن سياسته كما قال تعالى واوحى ربك الى النحل الاية وكالطير
المسمى ابي لوقا او كالخنزير في الشره او كالذئب في العبث او كالكلب في الحرص او كالنمل في
الجمع او كالفارة في السرقة او كالثعلب في المراوغة او كالقرد في المحاكاة او كالحمار في البلادة
او كالثور في الغارة وعلى هذا النحو من المشابهات دل بقوله وما من دابة في الارض ولا طائر

قوله

يطير بجناحيه الا امم امثالكم الايه وتظهر تارة في شعار الشياطين فتغوي وتضل وتسول الباطل
في صورة الحق كما دل عليه قوله تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض الايه وتظهر تارة في شعار
الملائكة فتطيع الدين وتعصي الهوى وتجتنب الضلال وتتبع الهدى وانما تكون انسانا اذا اخذ كل واحد
من هذه الاشياء موضعها حسب ما تقتضيه العقل المستضي بالشرع

ماهية الانسان

ماهية كل شي تحصل بصورته التي بها تميز عن اغياره كصورة السكين والسيف والمنجل ونحوها ولما كان
الانسان جزئين بدن محسوس وروح معقول كما نبه الله تعالى عليه بقوله اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي الايه كان لكل واحد من الجزئين صورة فصورته المحسوسة البدنية
انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن الوبر وصورته المعقولة الروحانية العقل
والفكر والروية والنطق فقالوا الانسان هو الحيوان الناطق ولم يعنوا بالنطق اللفظ المعبر
فقط بل عنوا به المعاني المختصة بالانسان فعبر عن كل ذلك بالنطق وقد يعبر عن جملة الشي باخص
ما فيه او باشرفه او باول له كقولك سورة الرحمن وسورة يوسف وسورة الايلاف ونحو ذلك فالانسان
يقال على ضربين عام وخاص فالعام ان يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة العلم والخاص
ان يقال لمن عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه وبهذا المعنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون
فيه تفاوتا بعيدا وبحسب تحصيله يستحق الانسانية ومن تعاطى الفعل المختص بالانسان فعلا كان اكثر
انسانية وكما يقال الانسان على وجهين يقال له الحيوان الناطق على وجهين عام ويراد به من في قوة
نوعه استفادة الحق والخير كقولك الانسان هو الكاتب دون الفرس والحمار اي هو الذي في قوته
استفادة الكتابة ويقال خاصا ويراد به من حصل الحق فاعتقده والخير فعمله ولهذا قال ربه سو

الكاتب دون غيره اي هو المختص بعلم الكتابة وكذا اذا قال له عبد الله على وجهين عام يراد به الحيوان
المعرض للارتسام باوامر الله تعالى ارتسم او لم يرتسم وهو المشار اليه بقوله تعالى ان كل من في السموات
والارض الا آتي الرحمن عبدا وخاص وهو المرتسم لاوامر الله تعالى كما قال ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكذا اذا قال له حي ويسمع ويبصر ويتكلم وعالم ويعقل فكل ذلك يقال على وجهين يقال عاما
وهو لمن له القوى الحيوانية التي بها الحس والتخيل والنزوع والشهوة ولمن يسمع الاصوات
ولمن يدرك الالوان ولمن يفهم الكلام ما يرى ولمن له القوة التي يتبعها التكليف والثاني يقال
خاصا وهو لمن له الحياة التي بها العلم المقصود بقوله لينذر من كان حيا وله السمع الذي به يسمع
حقائق المعقولات والبصيرة التي بها تدرك الاعتبارات واللسان الذي به يؤدي المحفوظات
وهي التي نفاها عن الجهلة الكفرة في قوله عز وجل صم بكم عمي فهم لا يعقلون

كون الانسان مستصلحا للدارين

الانسان من بين الموجودات مخلوق خلقة تصلح للدارين
وذاك ان الله تعالى لما خلق ثلاثة انواع من الاحيا نوعا للدار الدنيا وهو الحيوانات ونوعا للدار
الاخرة وهو الملائكة والملا الاعلى ونوعا للدارين وهو الانسان فالانسان واسطة بين جوهرين وضيع
وهو الحيوانات ورفيع وهو الملائكة فجمع فيه قوى العالمين وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية
والغذا والتناسل والمهارشة والمنازعة وغير ذلك من اوصاف الحيوانات وكالملائكة في العقل
والعلم وعبادة الرب والصدق والوفا ونحو ذلك من الاخلاق الشريفة ووجه الحكمة في ذلك هو
انه تعالى لما رشحه لعبادته وخلافته وعمارة ارضه وهياه مع ذلك لمجاورته في جنته اقتضت الحكمة
ان يجمع له القوتان المعقول والمحسوس فانه لو خلا من الشهوة كعرا العقل لما صلح لخلافة الله

عبادته كان المصلح لذلك البهائم ولا المجاورة ودخول جنته ولو خلق كالملائكة
الجاذبة خ
مستغنيًا عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة الأرض كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال في
جوابهم إني أعلم ما لا تعلمون فاقتضت الحكمة الإلهية أن يجمع له النوعان وفي
اجتماع هذه الجملة تنبيه على أن الإنسان ذو نوعين أخروي ودنيوي وأنه لم يخلق عبثًا كما نبه عليه
ط
تعالى بقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا

تمثيل ذات الإنسان ونصرة

قد ذكر الحكماء لذات الإنسان وقواها أمثلة تصوروها بها تمثيل كل ما لا يدرك إلا العقل
تنصيصه للحس ليقرب إلى الفهم فقالوا ذات الإنسان لما كان عالمًا صغيرًا كما تقدم جرى مجرى
بلد أحكم بناؤه وشيد بنيانه وحصن سوره وخططت شوارعه وقسمت محاله
وعمرت بالسكان دوره وسلكت سبله وأجريت أنهاره وفتحت أسواقه واستعملت
صناعه وفيه ملك يدبره وللملك وزير وصاحب بريد وأصحاب أخبار وخازن وترجمان وكاتب
السبع صح
وفي البلد أخيار وأشرار وصناع فهي القوى السبعة التي يقال لها الجاذبة والماسكة
والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمصورة والملك العقل ومسكنه القلب
والوزير القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ وصاحب البريد القوة المتخيلة ومسكنها
مؤخر خ
مقدم الدماغ وأصحاب الأخبار الحواس الخمس والخازن القوة الحافظة ومسكنها خلف
الدماغ والترجمان القوة الناطقة وآلتها اللسان والكاتب القوة الكاتبة وآلتها
اليد وسكانها الأخيار والأشرار هي القوى التي فيها الأخلاق الجميلة والأخلاق القبيحة
فكما أن الوالي إذا زكى وساس الناس بسياسة الأمصار ظل الله في الأرض كان ذو السلطان
وولي

١٠٩

ظل الله في الأرض ووجب على الكافة طاعته كما قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم كذلك إذا جعل العقل سائسًا وجب على سائر القوى أن تطيعه وكما أن الله تعالى
جعل الناس متفاوتين كما نبه عليه بقوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضًا سخريًا كذلك جعل قوى النفس متفاوتة وجعل من حق كل واحدة أن يكون داخلة في
الشهوية خ
سلطان ما فوقها ومنافرة على ما دونها فحق الشهوة أن تكون خويدمة للحمية (للغضبية) وحق الحمية (الغضبية) أن
تكون مؤتمرة للقوة العاقلة وحق القوة العاقلة أن تكون مستضيئة بنور الشرع ومؤتمرة
لرأسه حتى يصير هذه القوى متظاهرة غير متعادية فنكون كما قال ونزعنا ما في صدورهم من
غل إخوانًا على سرر متقابلين وكما لا ينفك أشرار العالم أن يطلبوا في العالم الفساد و
تعادوا الأخيار كما قال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وقال
كذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الإنس والجن كذلك في نفس الإنسان قوى ردية من
على صح
الهوى والشهوة والحسد تطلب الفساد وتعادي العقل والفكر وكما أنه يجب الوالي أن
عدوي وعدوكم أولياء خ
يتبع الحق ولا يصغي إلى الأشرار ولا يتبعهم كما قال عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم لا يألونكم خبالا وقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال
وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك كذلك يجب للعقل والفكر
عدام
أن لا يعتمد القوى الذميمة وكما أنه يجب للوالي أن يجاهد أعداء الملك كما قال تعالى وأعدوا لهم
على صح
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم كذلك يجب العقل أن يعادي
الهوى فالهوى من أعداء الله بدلالة قوله ما في الأرض معبود أبغض إلى الله من الهوى

يشغل الانسان في ذكر الملك الاعلى صح

ثم لا أرأيت من اتخذ إلهه هواه وكان من استحوذ عليه الشيطان أنساه ذكر الله كذا العقل
إذا استحوذ عليه الهوى وكما انه يحتاج الى ان يسالم أعاديه إذا لم يقو عليهم كما قال وإن جنحوا
للسلم فاجنح لها وان لا يركن اليهم وان سالمهم كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا كذا يجب العقل عامه
ان يسالم الاشرار من قوى النفس اذا عجز عنها وان لا يركن اليها وكما ان الوالي اذا احس بقوة يحتاج
ان يعمد الى نقض العهد واظهار المعاداة كما قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم الاية كذا حق العقل اذا
قوي على قوى النفس ان لا يداجيها وكما ان شياطين الانس والجن يضعف كيدهم على من اخلص الايمان
واستعاذ من الله واستعان بالله ويتوكل على من ... كما قال انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم
مشركون كذلك يضعف كيد الهوى عن العقل اذا تقوى بالله واستعاذ به فحق العقل ان يستعيذ
من الهوى والشره والحرص والامل ان يظهر فاتبعها ومن بدا لقوى المريد كما استعاذ ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فالقوى الردية والارادات
الدنية في ذات الانسان جارية مجرى الاصنام فلما سعد بعض الناس عن عبادتها كما قال تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ه وذكر واحتلالا اذ معنا لو اكل انسان مع بدنه
كالدنس بلده قبل له طهر بلدك من النجاسات وادب من يقبل التأديب من اهله وروض ما يقبل
الرياضة من حيوانه وسباعه ومن عات منه ولا يقبل التأديب والرياضة فاحبسه او اقتله ولكن
بالحق كما قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وان عجز عن تطهير عرصته من النجاسات
وتأديب غلمانه ورياضة حيواناته وسباعه فلا يعجز عن صيانة نفسه عن التلطخ بنجاساتها وعن
الاحتراس من ان يفترسه سباعه وان يستبد طغاته حتى اذا تمكن غالبا تمكن مغلوبا فصار

الناس في ذلك من له ثلاثة اصناف متعودها فيما فرض الله جل وعز وامره فصار عند ربه مع كونه محروجا
وما سعد املوط ومحذور لا يوصف فعل ما امر ماذا كرهت الايالة فصار عند ربه ما حمد الله ما
ويضيع جد تارة وقصر تارة يجرح ويجرح ويغلب ويغلب فهو كما قال خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم وقال بعضهم الانسان اذا اعتبر مع قوة التخييل وقوة الغضب وقوة
الشهوة فمثله مثل من هو في سفر ومعه ثلاثة اضطر اليهم حتى لا يمكنه ان يتقضى منهم سفره
من دونهم فهو معهم كما قيل   ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد
فواحد امامه هو له نشيط حفظه وحيله كلا وه لكنه ملق باهت مموه يلفق الباطل تلفيقا
ويختلق الزور اختلاقا ويخلط الكذب بالصدق والخطأ بالصواب وثان عن يمينه بطش نعر
يحميه عن اعاديه لكنه كثيرا ما يغري به ويهيج هائجه فلا يقمعه النصح والمطايبة الرفق كانه نار
في حطب او سيل في صبب او قرم يغتلم او سبع ماكل يحتاج ان يسكنه دائما ويحتمي به وحشه
فهو معه كما قيل راكب الاسد يهابه الانسان وهو في نفسه اهيب وثالث عن يساره وهو الذي
يأتيه بالمطعم والمشرب لكنه ازعن ملق قذر شبق كانه خنزير اجيع فأرسل في جلة يأتيه احيانا
بطعمة هنية واحيانا بطعمة خبيثة فيكلها على ما تراه له فهو يحتاج ان يصاحبهم حتى يقطع سفره ويبلغ
ارضا مقدسة لترد منها النجبة والذين من حوض واحد فما من فيها بوابتهم ومن جملة التي يرجى
ان يسلم منهم بها ان يتسلط هذا البطش النزع على هذا الازعن القذر حتى يزبره ويداوي ان
يطغى باثر غلوا هذا الثالث النزغ كلابة هذا الازعن الملق وان لا يجنح الى الباهت المتخرص
حتى يوثقه موثقا من الله غليظا ثم يصدقه فيما يؤتيه اليه يجعل الملق الباهت كاتبا عن الوهم

كمثل ع

الغلمة بالضم شهوة الضراب وقد غلم البعير بالكسر غلما واغتلم اذا هاج من ذلك واشتهى فقدان المراة ولدها ح

والبطش المزعج عن الغضب والارعن الملق عن الشهوة وجعل الارض المقدسة عبارة عن دار السلام
وذكر ان جلبته في ان يسلم منهم ان يمنع بعض هذه القوى بعضا دفع الشر بالشر

كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله

المقصود من العالم وايجاد شيء بعد شيء هو ان يوجد الانسان فالغرض من الاركان ان يحصل منها النبات ومن النبات
ان يحصل الحيوانات ومن الحيوانات ان تحصل الاجسام البشرية ومن الاجسام البشرية ان تحصل
الارواح الناطقة ومن الارواح الناطقة ان يحصل منها خلافة الله في ارضه فيتوصل بها الى
النعيم الابدي كما دل عليه بقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وجعل تعالى الانسان لاجل العالم وزبدته
فهو المخصوص بالكرامة كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم الاية وجعل ما سواه كالمعونة له كما قال في معرض
الامتنان هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وليس فضله بقوة الجسم فالفيل والبعير اقوى منه اجساما
ولا بطول العمر في الدنيا فالنسر والفيل والحية اطول منه عمرا ولا بشدة البطش فالاسد والنمر
اشد منه بطشا ولا باللباس واللون فالطاووس والتدرج احسن منه لباسا ولونا ولا بالقوة
على النكاح فالحمار والعصفور والديكة اقوى منه نكاحا ولا بكثرة الذهب والفضة فالمعادن والجبال اكثر منه
ذهبا وفضة وما احسن ما قال الشاعر   لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت ايدي الكماة عوالي المران
ولا بعنصره الموجود منه كما زعم ابليس حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين بل بذلك كما قد خصه الله تعالى
به وهو المعنى الذي ضمنه فيه والامر الذي رشحه له وقد اشار اليه بقوله جل وعلا فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وبقوله لما خلقت بيدي والملائكة لما نبههم الله تعالى لفضل آدم تنبهوا فاذعنوا

وسجدوا له كما امروا وابليس لما نظر الى ظاهر آدم وجسديته وتعامى عما ذكر الله تعالى ولم يتأمل المعنى
الذي ضمنه الله آدم والعاقبة التي جعلها الله له ابى واستكبر وقد اقتدى بابليس الكفار فجحدوا الانبياء
عليهم السلام حيث قالوا ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم وقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق ونبه تعالى ان الاعتبار بعقلهم ليس بظاهر ابدانهم وانما ذلك لمعنى في نفوسهم عمي
عنها الكفار فقال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اي لا يعرفون ما فضلتهم به فمن وفق لفضل
ما اعطي ولما رشح له واعد تم سعيه فيما له فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

الغرض الذي لاجله اوجد الانسان ومنازلهم

الغرض منه هو ان
يعبد الله ويخلفه ويعمر ارضه كما نبه عليه بآيات في مواضع مختلفة حسب ما اقتضت الحكمة
ذكره وذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله اني جاعل في الارض خليفة وقوله
ويستخلفكم في الارض وقوله ليعلم الله من ينصره وقوله يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وقوله واستعمركم فيها وكل ذلك اشارة الى توليتهم امرا لم يستصلح لها الا الانسان كما نبه عليه
بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون وذلك ان الله تعالى موجد لما هو موجده وفاعل لما هو فاعله على
اربعة اوجه الاول افعال تولاها بذاته وهي الابداعات ومعنى الابداع هو ايجاد الشيء عن
عدم واليه اشار بقوله تعالى بديع السموات والارض والثاني افعال استعبد فيها ملائكته
وسماه قوم المكونات وذلك اخراج الشيء من النقص الى الكمال اخراجا غير محسوس ولذلك وصفهم
بقوله فالمدبرات امرا فالمقسمات امرا وهم على اضرب ضرب الهمهم القيام بالاجرام السماوية
وقد قيل هم اسرافيل وميكائيل وجبريل ورضوان والمحفوفون بالعرش الموصوفون بقوله وترى
عليهم السلام

الملائكة حافين من حول العرش وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم وضرب إليهم تدبير
الأركان الهوائية كالملائكة الباعثة للرياح والمزجية للسحاب الموصوفين بقوله تعالى والمرسلات عرفا
والنازعات غرقا وضرب إليهم تدبير الأرض كالموصوفين بقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من أمر الله وكما وصفه النبي عليه السلام في صفة الجنين أنه تعالى يبعث ملكا فينفخ فيه الروح
وكالحفظة والرقيب العتيد وكما وصفهم بقوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
مسومين والثالث أفعال سخر لها الأركان وموجودات العالم كالإحراق والإذابة للنار
والترطيب والإبانة للماء وفي الجملة ما قد سخر الله تعالى له أشياء من الجمادات والنباتات وغير
ذلك ونبه عليه بقوله وسخر لكم الشمس والقمر وغير ذلك من الآيات المذكورة والرابع الصناعات
والمهن المحبوبة التي استعبد الإنسان فيها واستخلفه وهي الأشياء التي يحتاج صنعته أكثرها
الستة أشياء إلى عنصر يعمل فيه وإلى مكان وإلى زمان وإلى حركة وإلى أعضاء وإلى آلة وهذا
الضرب خص الإنسان به ولم يستصلح له الملائكة كما استصلح الملائكة لأمور لم يستصلح لها الناس
وجعل لكل من الملائكة مقاما معلوما كما نبه تعالى بقوله ذاكرا عنهم وما منا إلا له مقام معلوم وكذا
جعل لكل من الناس مقاما معلوما كما نبه عليه بقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر
درجات وأكبر تفضيلا وقوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له لكن عامة الملائكة لم يعصوا الله فيما أمرهم
كما وصفهم بقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون والناس فيما أمروا به وكلفوا
بين مطيع وعاص منهم على القول المجمل ثلاثة أضرب ضرب أخلوا بأمره وانسلخوا عما
خلقوا لأجله واتبعوا خطوات الشيطان وعبدوا الطاغوت وضرب وقفوا بغاية

جهدهم حيث ما رسموا كالموصوفين بقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وضرب
تردد وامتزج الطرفين كما قال خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فمن رجح حسناته على سيئاته فموعود بالإحسان
إليه وعلى الأنواع الثلاثة دل بقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون وعلى هذا
قسمهم آخر السورة وقال فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من
أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية
جحيم وكثير من الناس يعصون الله ورسوله ما يأمرون له فيقيضهم الله تعالى بغير إرادة منهم للسعي في
نصرته تعالى من حيث لا يشعرون كفرعون في أخذه موسى وتربيته وجمعه السحرة لكونه سببا في إيمانهم
بالله وموسى وإخوة يوسف في فعلهم بيوسف ما أفضى به إلى ملك مصر وتمكنه ما تمكن منه وكونه مثلهم في
ذلك كما قيل   فقدت مساعي وأخلفت حسرتي   وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدرك
فيكون فعله محمودا وفاعله مذموما كما قيل
رب أمر أتاك لا تحمد الفعال فيه وتحمد الأفعال   وقد أوجد الله تعالى كل ما في العالم للإنسان
كما نبه عليه بقوله جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا
لكم وقال والأنعام خلقها لكم فيها دفء وقال وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض الآية وقوله
هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون إلى قوله إن في ذلك لآيات
لقوم يعقلون وقال وسخر لكم الليل والنهار الآية وأباح جميعها لهم كما نبه بقوله قل من حرم
زينة الله التي أخرج لعباده فللإنسان أن ينتفع بكل ما في العالم على وجه إما في غذائه أو في دوائه

أو في ملبوساته ومشموماته ومركوباته وزينته والالتذاذ بصوته أو رؤيته والاعتبار به واستفادة
علم منه والاقتداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب عنه فيما يستقبح منه وقد نبه الله تعالى
على منافع جميع الموجودات واطلع الخلائق عليها إما بألسنة الأنبياء عليهم السلام أو بإلهام الأولياء
وكما أن حق الإنسان أن يعرف منافع الحيوانات في ذواتها فينتفع بها في المطاعم والملابس والأدوية
نكته فحقه أن يعرف أخلاقها وأفعالها فينتفع بها في احتذاء ما يستحسن واجتناب ما يستقبح منها
فقد أحسن من قال تعلمت من كل شيء أحسن ما فيه حتى من الكلب حمايته على أهله ومن الغراب بكوره
في حاجته وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في وصف النحل فقال وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي الآية فنبه أن الإنسان حقه أن يقتدي بالنحل في
مراعاته لوحي الله فكما أنها لا تخطئ وحي الله في تحري المصالح طبعا كذا يجب للإنسان أن لا يخطئ
وحي الله اختيارا اه

تفاوت الناس واختلافهم

الأشياء كلها متساوية غير
متفاوتة من حيث إنها مصنوعة بالحكمة وعلى ذلك نبه بقوله تعالى هل ترى من فطور ما ترى في خلق
ومختلفة الرحمن من تفاوت ومن حيث إن كل نوع يختص بفائدة وكل نوع وإن اختلف فما شيء أكثر اختلافا وتفاوتا
من الناس كما قال وقد خلقكم أطوارا وقال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال تعالى
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الآية وقال ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون
مختلفين إلا من رحم ربك وقال ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم وقال وهو
الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وعلى هذا المعنى نبه بقوله وفي الأرض
قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع إلى قوله إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون والحكمة

المقتضية لذلك هو أن الإنسان لما كان عن حلقي يتفرد حتى لو أن إنسانا جعل وحده لامتنع أو
لتعذر بقاؤه أدنى مدة فإن أول ما يحتاج إليه الإنسان مما يواريه وما يغذوه وليس كل ما يواريه
مصنوعا ولا ما يغذوه مطبوخا كما يكون لكثير من الحيوانات بل هو مضطر إلى إصلاحهما وإصلاح
ذلك يحوجه إلى آلات يعجز عن تفرغ منه ولا الإنسان الواحد أن يتوصل إلى إعداد جميع ما يحتاج إليه ليعيش
العيشة الجميلة فلم يكن بد للناس من تشارك وتعاون فجعل لكل قوم صنعة وهيئة مفارقة
لصنعة الأخرى وهيئتها ليقتسموا الصناعات بينهم فيتولى كل صنفا من الصناعات فيتعاطاه
باهتزاز كما قال جل جلاله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فاقتضى ذلك أن
يختلف جبلتهم وقواهم وهممهم ليكون كل ميسرا لما خلق له وقال تعالى كل يعمل على شاكلته ويكون
معايشهم مقتسما بينهم كما نبه الله عليها بالآيات المتقدمة وقال ولو شاء ربك لجعل الناس أمة
واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك فالناس إذا اعتبر اختلاف أغراضهم وهممهم فهم في
صناعاتهم في حكم المسخرين وإن كانوا في الظاهر مختارين وقد أشار النبي عليه السلام إلى ما يتعلق به
من المصلحة بتباين الناس واختلاف طبقاتهم فقال لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا
ح هلكوا اه

سبب تفاوت الناس

أسباب ذلك سبعة أشياء الأول اختلاف
الأمزجة وتفاوت الطينة واختلاف الخلقة كما أشير إليه فيما روي أن الله تعالى لما أراد خلق
آدم أمر أن يؤخذ قبضة من كل أرض فجاء بنو آدم على قدر طينها الأبيض والأحمر والأسود والسهل
والحزن والطيب والخبيث وإلى هذا أشار تعالى بقوله والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
والذي خبث لا يخرج إلا نكدا الثاني اختلاف أحوال الوالدين في الصلاح والفساد

او وسطها صح

وذلك ان الانسان يتوارث من ابويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحهما كما يرث
تشابههما في خلقتهما ولهذا قال تعالى وكان ابوهما صالحا وعلى نحو ما روي ان الله تعالى قال في التورية
اني اذا رضيت باركت وان بركتي لتبلغ البطن السابع واذا سخطت لعنت وان لعنتي لتبلغ
البطن السابع تنبيها ان الجزء المنشر الذي يكتسبه الانسان ويتخلق به يبقى اثره موروثا
الى البطن السابع الثالث اخلاق ما يتكون منه النطفة التي يتكون منها الولد ودم الطمث
الذي يتربى به الولد فان ذلك يؤثر بحسب طيب ما يكون منه وخبثه ولذلك قال عليه السلام تخيروا لنطفكم
وقال الشاعر فارس فلينظر ابن يضع غرسه وقال اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال
المراة الحسناء في المنبت السوء الرابع اخلاق ما يتغذى به من الرضاع ومن طيب الطعم
الذي يربى به ولتاثير الرضاع يقول العرب لمن يصفه بالفضل لله دره هذا في اوبل وما روي عنه
عليه السلام انه قال الرضاع يغير الطباع الخامس اخلاق ابويه في تاديبهم وتلقينهم وتعويدهم
العادات الحسنة والقبيحة فحق الوالد عليه ان يؤخذ بالاداب الشرعية واخطار الحق بباله
وتعويده فعل الخير كما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر ويجب ان يصان
عن مجالسة الاردياء في حال صباه فانه كالشمع يتشكل بكل شكل تشكل به وان يحسن في
عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة ويبغض اليه الحرص على الماكل والمشارب
وتعود الاقتصاد في تناولها وتعاطيها لغير الشهوة ويجانبه ذوي السخف ويؤخذ بقلة النوم
بالنهار فهو سبب الكسل ويعود التاني في اموره وان يمنع من مفاخرة الاقران ومن
الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ويعود صلة الارحام وحسن التربية

من رياض الشرع كما قال بعض الحكماء سعادة الانسان ان يتفق له في صباه من يعوده تعاطي
الشريعة حتى اذا بلغ الحلم يعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده فقويت بصيرته وينفذ
في تعاطيها عزيمته السادس اخلاق من يختص به ويأخذ طريقته فيما يتمذهب به من
المذاهب والنحل وابن قرينه السابع اخلاق اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل الواجب
استعماله لبعضه فالفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الاسباب المسعدة وهو
ان يكون طيب الطينة معتدل المزاج جاريا في اصلاب آباء صلحاء ذوي امانة واستقامة متكونا
من نطفة طيبة ودم طمث طيب على مقتضى الشرع ومرتضعا بدر طيب وماخوذا في صغره من قبل
مربيه بالآداب الصالحة وبالمباعدة عن صاحب الاشرار ومتخصصا بعد بلوغه بنفسه حتى مجتهدا
بنفسه في تعرف الحق مسارعا الى الخير فمن وفق في هذه الاشياء فجمع فيه الخيرات من جميع الجهات
كما قال تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويكون جديرا ان يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والرذل التام الرذيلة هو من يكون بعكس ذلك في الاحوال التي
ذكرناها واعلم ان من طابت احواله انتفع بكل ما سمعه وشاهده ان خيرا وان شرا ومن خبثت
احواله استضر بكل ما سمعه وشاهده وعلى ذلك دل قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا فما خبث من الارض وان طاب بذره وعذب ماؤه لم ينبت الا
خبيثا والطيب من الارض وان كدر بذره وملح ماؤه لم ينبت الا طيبا ولذلك قال تعالى تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال تعالى في صفة كتابه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى

بيان الشجرة النبوية وفضلها على [illegible]

بد

اقتضت الحكمة ان يكون المختص بالنبوة صنفا مفردا ونوعا من الانسان وبين الملك ومشاركا لكل واحد منهما
على وجه فانهم كالملائكة في اطلاعهم على ملكوت السموات والارض وكالبشر في احوال المطعم والمشرب فمثلهم
في كونهم واسطة النوعين مثل المرجان فانه حجر مشبه للاشجار بتشذب اغصانها وكالنخل فانه شجر مشبه
للحيوان في كونها محتاجة الى اللقح وبطلانها اذا انقطع راسها وجعله تعالى النبوة في ولد ابرهيم ومن قبله
في ولد نوح كما نبه عليه بقوله ذرية بعضها من بعض فهم عليهم السلم وان كانوا من جهة الابدان كالبشر فهم
من جهة الارواح كالملك فقد ايدوا بقوة روحانية وخصوا بها كما قال في عيسى عليه السلم وايدناه
بروح القدس وقال في محمد عليه السلم نزل به الروح الامين على قلبك وخصهم بهذا الروح ليمكنهم
ان يقبلوا من الملائكة بما بينهم من المناسبة بتلك الارواح ويلقوه الى الناس بما بينهم من المناسبة
البشرية ولذلك قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا تنبيها ان ليس في قوة عامة البشر
الذين لم يخصوا بذلك الروح ان يقبلوا الا من البشر ولما عمي الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعما
للانبياء من الفضيلة انكروا نبوة الانبياء كما قال تعالى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد اباؤنا والانبياء بالاضافة الى سائر الناس كالناس بالاضافة الى الحيوانات
وكالقلب بالاضافة الى سائر الجوارح والقاعدة لما الانبياء من اممهم منزلة الشمس من القمر وحصة علمهم
من علوم اممهم منزلة ضوء الشمس من نور القمر كما قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فكما ان نور
القمر مقتبس من ضوء الشمس ويتناقص عنها كذلك حصة الامم من انبيائهم وحصة علمهم من علومهم وكما
لا يحصل نور القمر الا بوساطة الشمس كذلك لا يحصل علوم الناس وتزكية نفوسهم الا بوساطة الانبيا
وعلى هذا دل بقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك الاية فالله تعالى يزكي

الانبيا بوساطة الملك ويزكي سائر الناس بوساطة الانبيا كالطابع الذي جعل له كتابة ثم يطبع بها
شيء الشموع المختلفة مثل تلك الكتابة ٥

هداية الاشيا الى مصالحها

كل ما اوجد الله تعالى فانه هداه الى ما فيه مصلحته كما نبه عليه بقوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى لكن
هدايته للجمادات بالتسخير فقط كالاشيا الارضية التي اذا اتركت تتحرك نحو السفل وكالنار التي
تتحرك نحو العلو وهدايته للحيوانات الى افعالها التي تتعاطاها بالتسخير والالهام كالنحل فيما تتعاطاه
من السياسة ومن عمل العسل واتخاذ البيوت المسدسة الاغرر وكالسرفة فيما تبنيه من الابنية
وكالعنكبوت في نسجه وهدايته للملائكة بالتسخير والالهام وبديهة العقل وما جعل لها
من العلوم الضرورية فاما الانسان فهداه الله تعالى له بكل ذلك وبالفكر والروية وذلك انه
بالتسخير يتنفس ويكثر من حركاته وبالالهام هدايته طفلا للارتضاع وقبض الثدي ولطلب
الغذاء والتشكي من الالام بالبكا وببديهة العقل يعرف جار ذلك العلوم وبالفكر يتوصل الى
استنباط المجهول بالمعلوم ومن ان خلق تعالى كثيرا من المعارف التي جعلها الله للحيوانات بالالهام ومن
الملابس والاسلحة التي جعلها للحيوانات بالتسخير فقد جعل للانسان بالعقل والفكر قوة التعلم وتحصيل
الملابس والاسلحة والالات المختلفة ووكله الى نفسه في الاستفادة ومكنه من ذلك ليرد بذلك فضيلة
له لا نقيصة ورفعة لا ضعة فانه باعطائه العقل والعلم واليد العاملة فقد اعطاه كل شيء ولو
اعطي كل شيء حسبما اعطي البهائم شيئا فشيئا لكان قد منع كل شيء لان بعضه كان يمنعه عن استعمال
البعض والى كون الانسان مخصوصا بها اشار تعالى بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وقد ظن قوم ان الله خلق الناس

طنة
نكبه

السرفة دويبة تبني لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت يقال في المثل اصنع من سرفة

من من بين الحيوان مكشوفًا اذ لم يعط سلاحًا يدفع به عن نفسه كما اعطى كثيرًا من الحيوان الجنّة
كالانياب والمخالب واذ لم يكسهم لباسهم كما كسى الحيوان واذ قد احوجهم الى تطهير البدن وقد اغناها
عنه فالجواب ان ذلك كما قال الله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وليس ذلك لذمه بصحيح عند المحصلين ان الانسان
وان كان ضعيفًا بالاضافة الى البارى تعالى والى الملا الاعلى فليس بضعيف عن الحيوانات من جهة ما ظنه هؤلاء
فان الله تعالى لحكمته البارعة اعطى كل واحد من الحيوانات سلاحا بقدر ما علم من مصلحته فبعض
جعل له آلة الهرب كالعدو وبعض اعطاه رمحا يدفع به كالقرن للبقر والغنم وبعض دبوسًا والكبش
كالحافر للفرس والحمار وبعض نشابا كالشوك للقنفذ وكذلك جعل لكل لباسا بحسب كفايته
والهم كلا منها صنعة يتعاطاها بطبعه وجعل للانسان بدل ذلك الفكر والتمييز الذى يمكنه
ان يتخذ به كل آلة وكل ملبس على قدر حاجته وقتا ولم يتشار بصنعة متى احب ويستبدل به كيف
ما اراد والحيوانات ليس لها ان تضع اسلحتها متى ما استغنت عنها ولا ان تستبدل بها فهذا
دليل على تمام الانسان ونقصان الحيوانات والانسان بالفكر والروية فهو الحيوانات التى هى
اقوى منه لانه يهيئ بفكره لكل منها التى يصطاده بها فالذى العقل الذى اعطاه ليحصل به كل
ما يحتاج اليه على وايسر فاستراة اذا جلاها اطلع بها على ملكوت السموات والارض ٥

سعادة الانسان ونزوعه اليها

قال بعض الحكما جعل الله لكل شى نو
كمالا يسوقه اليه طبعا وقد هداه الى المختص به تنبيها كما نبه عليه بقوله تعالى اعطى كل شى خلقه
ثم هدى وللانسان سعادات انتحت له وهى النعم المذكورة فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وجميع النعم والسعادات على القول المجمل ضربان ضرب دائم ابدى والاول هو النعم

الاخروية وضرب يبيد وقتا ما وهو النعم الدنيوية والنعم الدنيوية متى لم يتوصل بها الى السعادة
فهى كسراب بقيعة وغرور وفتنة وعذاب وحسرة كما قد وصفه الله تعالى بها فى كتابه انما مثل
الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما الاية وما اصدق ما قال الشاعر

انما الدنيا كرؤيا فرحت من رآها ساعة ثم انقضت

فصل

ما احد الا وهو نازع الى السعادة يطلبها بجهده ولكن كثيرا ما يخطئ فيظن ما ليس بسعادة فى ذاته انه سعادة فيغتر بها
فيكون كالموصوف بقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء وبقوله اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح فى يوم عاصف وما اصدق ما قال الشاعر

كل يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعه
والمرء يغلط فى تصرف حاله فلربما اختار العنا على الدعه

فصل

النعم الدنيوية انما تكون نعما وسعادة متى تنوولت على ما يجب وكما يجب ويتحرى بها الوجه الذى لاجله خلق وذلك
ان الله تعالى جعل الدنيا عارية لنسترد منها قدر ما نتوصل به الى النعم الدائمة والسعادة الحقيقية
وشرع لنا فى كل منها حكما بين فيه كيف يجب ان يتناول ويتصرف فيها لكن صار الناس فى تناولها فريقين
فريق تناولوها على الوجه الذى جعله الله لهم فانتفعوا بها فصار ذلك لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون
بقوله الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر ولله عاقبة الامور وقوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار
المتقين وقوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة فهؤلا اجتبوا
بها حيوة طيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم وفريق تناولوها لا على الوجه

الذي جعلها الله لهم وركنوا اليها فصار ذلك لهم نقمة وخسارة يعذبوا بها عاجلا وآجلا وهم
الموصوفون بقوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم الآية فصل
السعادات الاخروية ليس لنا تصور كنهها ما دمنا في دار الدنيا ولذلك قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وكما قال النبي عليه السلام عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والسبب في القصور عن تصورها شيئان احدهما ان الانسان لا يمكن ان يعرف حقيقة
الشيء فيتصوره حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه ووصف له يجري مجرى صبي يوصف له لذة الجماع
فلا يمكن ان يتصور حقيقته حتى يبلغ فيباشره بنفسه ولا كأكمه يوصف له المرئيات وكذا حالنا في اللذة
الاخروية فهكذا فانا لا نتصورها على الحقيقة الا اذا اطلعنا عليها فاذا اطلعنا عليها شغلنا الفرح والتلذذ
بها عن كل ما دونه كما قال تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون والثاني ان لكل قوة من قوى النفس
وجزء من اجزاء البدن لذة يختص بها لا تشاركها فيها غيرها فلذة البصر في النظر الى ما يستحسنه ولذة
السمع في الاستماع الى ما يستطيبه ولذة اللمس في لمس ما يستلذه ولذة الوهم في تصور ما يؤمله
ولذة الخيال في تخيل ما يستحسن تصوره ولذة الفكر في امر مجهول عنده يتعرفه وكل واحد من هذه القوى
والاجزاء اذا عرض لها آفة تعوقه عن شهوته وعن ادراك لذته يكون كالمريض الذي لا يشتهي وان كان
به ظما واذا ناله لم يجد لذته   ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا
واذا كان كذلك فاللذات الاخروية هي لذات لا يدرك الا بالعقل المحض وعقول الاكثرين في هذه الدار
مؤفة معوقة عن ادراك حقائق اللذات الاخروية فلا يستشعرها ولا يحب الجنات المناولة
كالخدر لآفة عرضت له فلا يحس بالسبب المؤلم وكالمريض الذي لا يحس بالجوع وان كان جوعه يوذيه

ايضا النوع على نائم يسيم ناعما انما هاتنه انه مهو موقع

ولا يشتهي الطعام وان كان فقد الطعام يضنيه بل انما يحس بالجوع اذا زال السبب المولم وايضا
عقول الاكثرين ناقصة وجارية مجرى عقول صبيان لم يبلغوا مبلغ رجال فعدموا حقائق الاشيا
فكما ان الصبيان ما داموا صغارا لا يحسون باللذات والآلام التي تعرض للرجال فيتعللون بالاباطيل
والمخاط بل كذلك من كان في عقله صبيا لم يطلع على الحقائق والاعتبار بقوله تعالى وما الحيوة الدنيا
الا لهو ولعب وقوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ولما اراد الله تعالى ان يقرب معرفة
تلك اللذات من افهام الكافة شبهها ومثلها بانواع ما تدركها حواسنا فقال مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية ليعرف الكافة طيبها بما عرفوه من طيب المطاعم فقال مثل الجنة
التي ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على ان ذلك تصوير وتمثيل ولا الانسان وان اجتهد ان يطلع على تلك
السعادة فلا سبيل له اليها الا على احد وجهين احدهما بان يفارق هذا الهيكل ويخلف وراءه
هذا المنزل فيطلع على ذلك كما قال فكشفنا عنك غطاءك وقال يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون والثاني بان
يزيل قبل مفارقته الهيكل الامراض النفسية المشار اليها بقوله في قلوبهم مرض والارجاس
المشار اليها بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس فيطلع من وراء ستر رقيق على بعض ما اعد له
كما حكي عن حارثة حيث قال للنبي عليه السلام عزفت نفسي عن الدنيا وكاني اطلع على اهل الجنة يتزاورون
وعلى اهل النار يتعاوون فقال عليه السلام عرفت فالزم وكما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا

حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها

الانسان مسافر ومبدا سفره من حيث ما اشار بقوله تعالى اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو

كيف اصبحت قال ... مومنا ح

فاما ياتينكم منى هدى الايه وحيث قال فى صفة بنيه واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم الايه
ومنتهى سفره دار السلام و دار القرار وله فى سفره اربعة منازل ظهر ابيه وبطن امه وظهر الارض
والموقف وله حالتان حالة منها مستودع وهو ما دام فى هذه المنازل وحالة منها مستقر وهو اذا حل
فى دار القرار والى ذلك اشار بقوله وهو الذى انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع والمنزل الذى
يحتاج ان يتزود فيه ظهر الارض فالانسان فى كدح وكبد ما لم يصل الى دار القرار كما قال يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا وقال لقد خلقنا الانسان فى كبد وهو مجبول على طلب الراحة
لكن الناس فى طلبها ضربان ضرب عموا عن الآخرة وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا او فعلوا فعل
من قال ذلك وان لم يقولوا بقولهم فطلبوا الراحة من حيث لا راحة وهم كالموصوفين بقوله والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة الايه وبقوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فانهم طلبوا من الدنيا
ما ليس فى طبيعتها ولا موجود فيها ولها وما احسن ما قال الشاعر فى ذلك

اريد من زمنى ذا ان يبلغنى ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن   ومما قال الآخر
مضى قبلنا قوم رجوا ان يقوموا بلا تعب عيشا فلم يقوم

وضرب عرفوا الدنيا والآخرة
وان الدنيا كما قال تعالى ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا
يعلمون وعلموا ان فيه يستقر الانسان ويطمئن كما قال يا ايتها النفس المطمئنة وانه يحتاج ان يسافر اليها فيها ظ
كما قال عليه السلام سافروا تصحوا وتغنموا فاحتملوا المشقة علما ان كل تعب يؤدى الى الراحة فهو راحة فسعدوا نكتة
كما قال واما الذين سعدوا ففى الجنة وقد جعل الله للانسان عرضين يعتد بهما لذا احدهما
روحانى كالمعارف والحكم والعبادات والاخلاق الحميدة وثمرته الحيوة الابدية والغنى الدائم

والاستكثار منه محمود ولكن الاخلاد طلبه الا من عرفه وعرف منفعته والثانى جسمانى كالمال والاثاث
وفى الجملة ما قد نبه الله عليه فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة الايه وثمرته ان يحصل به الحيوة الدنيوية الفانيه وليس حوج من الانسان اذا
فارق دنياه ولا ينتفع منه لنفسه الا بقدر ما استعان به فى الوصول الى الزاد الاخروى كما نبه عليه
بقوله وما الحيوة الدنيا فى الآخرة الا متاع ولا يولع بالركون اليه الا من جهل حقائقها ومنافعها
والاستكثار منه ليس بمذموم ما لم يكن مثبطا لصاحبه عن مقصده وكان مستعانا وعلى الوجه الذى يجب
وكان مجعولا الى الوجه الذى يستعمل فى مقصده لكن تناوله على هذا الوجه لا يتاتى الا اذا كان
ان يجاريها السلطان عادلا والامور جارية على اذلالها فحفظ الناس فتماماتهم على مقتضى الشرع ثم يكون
صاحبه اذا ناوله كما قال تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم الايه
واذا لم يكن الامر كذلك كما هو من الاستفاضة فليس الا الاقتصاد والاقتصار والتبلغ بما امكن حتى يقضى
سفره فالمومن فى الدنيا اذا راى نفسه قاصرة عن الجمع بين الامرين اهتم بما يبقى وما فوت الغاية
بما يفنى وآثر الحيوة الآخرة على الدنيا فلا يلتفت الى الدنيا الا بقدر ما يتبلغ به مراعيا فيه حكم الشرع
ومحافظا على قوله يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور كما قال
النبى عليه السلام ما انا والدنيا انما مثلى فيها مثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقال
فى ظلها ساعة ثم راح وتركها وقد نبه الله تعالى على حال من يريد ان يتجرد ويتخلص من حبالة الدنيا
على سبيل المثل بقوله ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف
غرفة بيده ومحبة الدنيا كما قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة وقد روى عنه عليه السلام ترك
راس كل خطيئة

فلبه حب الدنيا يلي بثلث شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يبلغ غناه وامل لا يبلغ منتهاه وقال عليه السلم
من كانت الدنيا اكبر همه فرق الله همته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن
كانت الآخرة اكبر همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وهذا معنى قوله
عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة
من نصيب ومعرفة ذلك والوصول اليه لا يمكن الا ان يستضئ العقل بالشرع معتمدا على من له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين **تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر** ٤
اعلم ان العقل لا يهتدي الا بالشرع والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل كالاس والشرع
كالبناء ولن يغني اس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن اس وايضا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع
ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر فلهذا قال قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين الى قوله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه وايضا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت
الذي يمده فما لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت وعلى هذا نبه بقوله تعالى
الله نور السموات والارض الى قوله نور على نور وايضا فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من
داخل وهما متعاضدان بل متحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله اسم العقل من الكافر في غير
موضع من القرآن نحو صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولكون العقل شرعا من داخل قال في صفة العقل
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فسمى العقل دينا ولكونهما متحدين
قال نور على نور اي نور العقل ونور الشرع ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء فجعلهما نورا واحدا فالشرع
اذا فقد العقل عجز عن اكثر الامور عجز العين عند فقد النور واعلم ان العقل بنفسه قليل الغناء

لا يكاد يتوصل الا الى معرفة كليات الشيء دون جزئياته نحو ان يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصدق
وتعاطي الجميل وحسن استعمال المعدلة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير ان يعرف ذلك في شيء شيء و
الشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته ويبين ما الذي يجب ان يعتقد في شيء شيء وما الذي هو
معدلة في شيء شيء ولا يعرف العقل مثلا ان لحم الخنزير والدم والخمر محرم وانه يجب ان يتحامى
من تناول الطعام في وقت معلوم وان لا ينكح ذوات المحارم وان لا يجامع المراة في حال الحيض فان
اشباه ذلك لا سبيل اليها الا بالشرع فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والافعال المستقيمة
والدال على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل ولاجل ان لا سبيل للعقل
الى معرفة ذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى والى العقل والشرع
اشار بالفضل والرحمة بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا وعنى
بالقليل المصطفين الاخيار **فضيلة الشرع** اعلم ان احكام الشرع من وجه
دواء معجون مفروغ عنه يتوصل الى ايجاد مزايا الخلق والامر وموصل الى الحياة الابدية والسلامة
الدائمة كما قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فجعل
ذلك روحا لما كان سبب الحياة الابدية وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وقال شفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين ومن وجه نور مطهر مزيل للانجاس والارجاس النفسية كما اشار اليه في القرآن
انه مطهر لما نسالت او دنسته بعقدها ولذلك قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا ومن وجه هو شمس وسراج مزيل لظلمة الحيرة والجهالة كما قال تعالى

فقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله الى قوله صراط مستقيم وقوله الله نور السموات
والارض ومن وجد وسيلة الى الله جل وعلا كما قال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقال
فمن يدعهم يبتغون الى ربهم الوسيلة وقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وقوله فليرتقوا في الاسباب
ومن وجد هو الطريق المستقيم كما قال تعالى أنّ هذا صراط مستقيم وقال وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
الاية فقد ذكر بعض الحكماء ان الارض المقدسة المذكورة في قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم في الدنيا الشريعة وفي الآخرة الجنة لانها هي التي اذا دخلها الانسان
ولم يرتد على ادباره نال السعادة الكبرى بلا اشتباه فاما بقعة المقدسة من الارض فان من دخلها بنفس
دخولها لا يستحق بها المثوبة لستحق باعماله يمكن دخول المكان الذي هو بقعة المقدس احدهما بعد ان
يكون دخوله على وجه مخصوص في حال مخصوص وقال على هذا الحكم المذكور بقوله او لم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون وسال جعفر الصادق رضي الله عنه
بعض الفقهاء عن هذه الاية فقال اريد بها مكة فقال وا عجبا اي امنا كيف يتخطف الرجل من مكة ويدل
على ما قلناه قوله بعد وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون
وكذلك قوله واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ولسفر الموعود عنه بقوله سافروا تغنموا هو السفر
الى هذه الدار وكذا الفرار المدعو اليه من حيث المثل بقوله ففروا الى الله وكذا الحج الاكبر الذي دعا
الناس اليه بقوله واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقوله ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا وكذا الجهاد الاعظم في قوله جاهدوا في الله حق جهاده والهجرة الكبرى في قوله

بالمثوبة ط ومن لم يدخلها او لم يرتد عليها بالله حسن الدنيا ولا هو ذكر منه الحسن للمحسن م

ك

الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ه **البيان في ان من لم يتخصص بالشرع
وعبادة الله فليس بانسان** لما كان الانسان انما يصير انسانا بالعقل ولو توهمنا العقل
مرتفعا لخرج عن كونه انسانا ولم يكن اذا تخطيت الشبح الماثل الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة والعقل
لن يكمل بل لن يكون عقلا الا بما هدى اليه الشرع كما تقدم ولذلك نفي العقل عن الكفار لما تعروا عن الاهتداء
بالشرع في غير موضع من كتابه ولا اهتداء بالشرع الا بعبادة الله تعالى فالانسان اذن في الحقيقة هو الذي
يعبد الله ولذلك خلق كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكما قال وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وكل ما اوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم ولذلك كثيرا ما يسلب
عن الشيء اسمه اذا وجد فعله ناقصا كقولهم للفرس الردي هذا ليس بفرس وللانسان الردي الرذل
ليس هو بانسان وقال الله ان لا عين له ولا اذن اذا ابطل فعل عينيه واذنيه وان كان شبحهما باقيا وعلى
هذا قال تعالى صم بكم عمي فهم لم ينتفعوا بهذه الاعضاء فالانسان تحصل له الانسانية بقدر ما تحصل له
العبادة التي لاجلها خلق فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية ومن رفضها فقد انسلخ من
الانسانية فصار حيوانا او دون الحيوان كما قال تعالى في صفة الكفار ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
وقال ان شر الدواب عند الله الاية فلم يرض ان جعلهم انعاما ودواب حتى جعلهم اضل منها وجعلهم
اشرارها واخرج كلامهم من جملة البيان فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية تنبيها انهم
كالطيور التي تمكو وتصدي ونبه تعالى بنكتة لطيفة ان الانسان لا يكون انسانا الا بالدين ولا ذا بيان
الا بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينية فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فابتدأ
بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان ولم يدخل الواو فيما بينها وكان الوجه على متعارف

ولا اهتداء

نكتة حسنة

الناس ان يقول خلق الانسان علمه البيان وعلم القرآن فان ايجاد الانسان بحسب نظرنا مقدم
على تعليم البيان وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن لكن لما لم يعد الانسان انسانا ما لم يتخصص بالقرآن
ابتدا بالقرآن ثم قال خلق الانسان تنبيها ان بتعليم القرآن جعله انسانا على الحقيقة ثم قال علمه البيان
تنبيها ان البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن فنبه بهذا الترتيب المخصوص وترك حرف
العطف منه وجعل كل جملة بدلا مما قبله لا عطفا ان الانسان ما لم يكن عارفا برسوم العبادة متخصصا
به لا يكون انسانا وان كلامه ما لم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بيانا ان قيل فعلى ما ذكرت يصح ان يقال الكافر
ليس بانسان وقد سماهم الله في كثير من مواضع القرآن قيل انا لم ننف ان لا نسمي الكافر انسانا على تعارف الكافة
بل بينا ان قضية الشرع والعقل تقتضي ان لا يسمى به الا مجازا اما لوجود صورة الفعل المختص به ثم ان يسمى به
على سبيل تعارف العامة فليس ذلك بمنكر فكثير من الاسما تستعمل على وجه فيبين الشرع انه ليس
استعماله على ما استعملوه كقولهم الغنى فانهم استعملوه في كثرة المال فقال عليه السلام ليس الغنى بكثرة المال
انما الغنى غنى النفس فبين ان الغنى ليس هو كثرة المال وقد قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف
الى كثير من الاعراض فاستعمله على ما هو متعارف وجملة الامر ان اسم الشي اذا اطلق الحكم على سبيل
المدح يتناول الاشرف كقوله انه لذكر لك ولقومك وقوله ورفعنا لك ذكرك وان كان قد يقال للمحمود الذكر
والمذموم وعلى هذا كل شي يمدح بلفظ نوعه فيقال فلان هو انسان وهذا السيف سيف ولهذا قيل
الانسان المطلق يوجد في كل زمانه وقد قال عليه السلام الناس اثنان عالم ومتعلم وما عداهما همج وقد قال
بعض العلما قولا في الانسان هو الحي الناطق المائت صحيح وليس معناه ما توهمه كثير من الناس انه يعني به
الحيوة الحيوانية والموت الحيواني والنطق الذي يعني الانسان القوة وانما اريد بالحي من كان له الحيوة

المذكورة في قوله لينذر من كان حيا وبالنطق البيان المذكور في قوله علمه البيان وبالمائت من جعل قوتيه
الشهوية والغضبية مقهورتين على مقتضى الشريعة فيكون حينئذ ميتا بالارادة حيا بالطبيعة كما قيل مت
بالارادة تحيا بالطبيعة كما روي من امات نفسه في الدنيا فقد احياها في الاخرة ، **ما يتعلق** كما
به الشرع من الافعال للانسان ضربان من الافعال لا ينفك منها ضرب لا لمحمدة فيه ولا مذمة
ولا محمدة ولا في جنسه تكليف وذلك شيئان احدهما افعال ضرورية لا يمكنه ان يتفصى منها كنبض العروق
والتنفس وما يجري مجراهما من الافعال الضرورية والآخر ما يقع من الانسان على سبيل السهو والخطا
وان كان جنسه مقدورا له وهو المذكور في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وضرب
للمحمدة فيه المحمدة والمذمة وفي جنسه التكليف وذلك ثلثة اشيا احدها الافعال المختصة بالجوارح
كالقيام والقعود والركوب والمشي والنظر وكل ما يحتاج الى استعمال الاعضا فيه والثاني ما يختص
عوارض النفس كالشهوة والخوف واللذة والفرح والغضب والشوق والزهد والغيرة وما اشبه
ذلك والثالث ما يختص بالفكر والعلم وكل واحد من هذه الثلثة اما ان يحمد عليه الانسان او يذم
فيحمد ان يكون افعاله جميلة وعوارض نفسه مستقيمة وعلمه زكيا حتى يعتقد الحق ويقف على معرفته ذكياء
اذا ورد عليه والمذمة يجعله اذا كانت على اضداد ذلك والعبادات بهذه الاشيا الثلثة تختص والله تعالى
يثيب كل فعل يتحراه الانسان عبادة سوا كان ذلك الفعل واجبا او ندبا او مباحا ويعرف تلك العبادة
حسنة اما ببديهة العقل او بالكتاب او بلسان النبي او باجماع الامة او بالاعتبارات والاقيسة
المبنية على هذه الاصول اذ ما من حكم الا وكتاب الله ينطوي عليه كما قال ما فرطنا في الكتاب من شي عرفه
من عرفه وجهله من جهله فما من مباح الا واذا تعاطاه الانسان على ما يقتضيه حكم الله كان الانسان

في تعاطيه عابدًا لله مستحقًا للثواب كما قال عليه السلم لسعد انك لتوجر في كل شي حتى اللقمة ترفعها
في فم امرأتك ومخاطبته لسعد بذلك لما عرف منه انه يراعي في افعاله حكم الله تعالى وعلى هذا الوجه قال
من غرس غرسًا لم ياكل منه انسان الا كان له صدقة ومراعاة امر الله في جميع الامور دقيقها وجليلها مسلم
مستصعبة للكافة ولأجله صعب على النبي عليه السلم وعلى كل من يقرب منزلته من منزلته قوله تعالى فاستقم
كما امرت ومن تاب معك **تحقيق العبادة** العبادة فعل اختياري مناف للشهوات كـ

البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة فقولنا اختياري يخرج منه الفعل
التسخيري والقهري ويدخل فيه الترك الذي هو على سبيل الاختيار فان الترك ضربان ضرب على
سبيل الاختيار وهو فعل وضرب هو العدم المطلق لا اختيار معه بل هو عدم الاختيار وليس
بفعل وقولنا مناف للشهوات البدنية يخرج منه ما ليس بطاعة واما الافعال المباحة كالاكل
والشرب ومجامعة المراة فليس بعبادة من حيث انها شهوة ولكنها قد تكون عبادة اذا تحرى بها حكم الشريعة
وانما قيل تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله لانها ان خلت عن نية او صدرت عن نية لم يقصد بها
التقرب الى الله بل اريد به مراآة لم يكن ايضا عبادة وانما قيل طاعة للشريعة لان من ابتدع من نفسه
فعلا ليس بسائغ في الشريعة لم يكن عبادة وان قصد به تقربا الى الله تعالى فالعبادة اذن فعل يجمع
هذه الاوصاف كلها **انواع العبادة من العلم والعمل** العبادة كـ

ضربان علم وعمل وحقهما ان يتلازما لان العلم كالاس والعمل كالبناء وكما لا يغني اس ما لم يكن بناء ولا يثبت
بناء ما لم يكن اس كذا لا يغني علم بغير عمل ولا عمل بغير علم ولذلك قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه والعلم اشرفهما ولكن لا يغني بغير عمل ولشرفه قال رجل للنبي عليه السلم اي الاعمال افضل

فقال العلم فاعاد عليه السؤال فقال العلم فقال الرجل في الثالثة اسألك عن العمل لا عن العلم فقال
عليه السلم عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل وقال عليه السلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
فالعلم ضربان نظري وعملي فالنظري ما اذا علم كفى ولم يحتج فيه بعده الى عمل كمعرفة وحدانية الله تعالى
ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومعرفة السموات والعملي ما اذا علم لم يغن حتى يعمل به
كمعرفة الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد وبر الوالدين والاعمال ايضا ثلاثة اضرب منها ما يختص
بالقلب ومنها ما يختص بالبدن ومنها ما يتشارك فيه البدن والقلب فالعلم اذا نظر اليه وهو مكتسب
فالكتابة بجملة اذا نظر اليه وقد اكتسب وتصوره القلب خرج في ذلك الحال عن ان يكون عملا من وجه
ضربان واجب وندب فالواجب يقال له العدل والندب يقال له الاحسان وهما المذكوران في قوله
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان فالفرض والعدل يتحرى الانسان اذا عمله اثيب واذا تركه
عوقب والندب والاحسان يتحرى الانسان اذا عمله اثيب واذا تركه لم يعاقب والانصاف من العدل
والتفضل من الاحسان فالانصاف موفيا بلا خسر ولا شطط لشي ما يوازنه والتفضل
والرضا بالبخس باكثر منه والشراء باقل منه والاحسان والتفضل احتياط في العدل لئلا يخاف
لوقوعه من نوع خلل فيه وذاك انك اذا زدت في اعطاء ما عليك ونقصت في اخذ ما لك فقد احتطت
واخذت بالحزم كدفع زيادة زكوة الى الفقير وترك ما احل لك ان تتناوله من مال اليتيم فالعدالة وان
كانت جميلة فالتفضل احسن منها ولذلك قال فمن استوفى حقه وتحرى العدالة ولم يتعد ظلما فاولئك
ما عليهم من سبيل وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم اشارة الى الاحسان
والتفضل احسن فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة والانسان انما يكون محسنا متفضلا بعد

تحرّى

ان يجد عادلا و منصفاً فاما من ترك ما لزمه ثم تحرى الاجر فاما الفعال له متفضل و الاجر فعل المتفضل انما لمن كان مستوفيا و موفيا لنفسه فاما الحاكم المستوفي و الموفي لغيره فليس له التحري لعدالته و المنصفة

فصل العلوم من حيث الكشف ضربان تصور و تصديق فالتصور ان يعرف الانسان معنى الشيء فقط ذلك هند بدا له اولا صح لكن عرف الصلوة و شرايطها و ان لم يثبت صحتها عنده بدلالة و التصديق هو ان يتصور شيئا عنده بدلالة يعرف صحته و التصديق على اربعة اضرب اما بغلبة ظن و هو ان يكون عليه دلالة قد تعترضها شبهة توهنها او تبطلها كما قال تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون و اما بعلم اليقين و هو ان يصير بحيث يعلم و يعلم انه يعلم و انه لا يعترضه شبهة توهنه كالعلم بان الاثنين ثلثة و ليس ستة و انه لا يصح ان يكون اكثر من ذلك او اقل كما قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و اما بعين اليقين و هو ان يرى العقل الشيء و يعاينه ببصيرته في حال اليقظة و النوم و قد نبه الله تعالى على هذه الوجوه بقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فاما التصور المجرد فللعامة الذين قيل لهم و لو ردوه الى الرسول و الى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم و اما غلبة الظن فللعامة الذين مدحهم بقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم و اما علم اليقين فللخاصة و اما عين اليقين فهي للانبيا و لبعض الصديقين و اليه اشار النبي عليه السلم بقوله تنام عيناي و لا ينام قلبي و بقوله عليه السلم اني اري من خلفي كما اري من قدامي و قال امير المؤمنين كرم الله وجهه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا و قال بعض الحكما علم اليقين يحصل للعقل بالفكر و الذكر فان العقل بفكره اي بحثه يدرك المعارف و بذكره يستحضرها اذا نسيها او غفل و اشتغل عنها و بذهنه ينظر اليها دايما كالناظر الى المحسوس

عن غايب عن ابصارنا بلا حاجة الى بحث و طلب و تذكر و تفكر و لذلك قيل الانسان يعقل و ينظر الى الحق بالفكر و الملائكة تنظر اليه دائما بالذهن من غير حاجة الى تفكر و طلب ه **فصل** الناس في استفادة العلم و افادته ثلثة احوال حال الاستفادة فقط و حال الاستفادة ممن فوقه و الافادة لمن دونه و حال الافادة فقط و قد يستحيل ان يوجد مفيد غير مستفيد فوق كل ذي علم عليم الى ان ينتهي الامر الى علام الغيوب تعالى و تقدس و قد نبه الله تعالى على الحاجة الى الاستفادة بما حكاه من قول موسى عليه السلم لصاحبه هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا و فيما ذكره في قصة سليمن عليه السلم عن الهدهد بقوله احطت بما لم تحط به علما ان الكبير قد يفتقر الى الصغير في بعض العلوم فاذن الانسان ما دام حيا يجب ان لا يخرج من كونه مستفيدا او مفيدا كما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس عالم و متعلم و ما سواهما همج ه

كد

الغرض من العبادة تطهير النفس و اجتلاب صحتها لم يكلف الله الناس عبادته لنفع منه تعالى بها انتفاع المولى باستعباد عبده و استخدام خدمه فانه غني عن العالمين و لا ليوذيهم بها فقد قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر بل كلفهم ليزيل انجاسهم و امراضهم النفسية فبذلك يمكنهم ان يحصلوا حيوة ابدية و سلامة باقية فان من زكى نفسه يحسن بالاضافة الى اصحاب الدار الآخرة و فاقدا للعين التي بها يعرفهم و السمع الذي به يسمع نجاويهم و اللسان الذي يخاطبونه و يخاطبهم و العقل الذي به يعقلهم و ليس بتلك الحيوة و البصر و السمع ما للانسان الحيوة الدنيا و كيف يكون اياها و قد عني الله جل ذكره بذلك عن الكفار و جعلهم امواتا و صما بكما عميا فالانسان لم يقو على تحصيل ذلك في مبدأ الامر و ان اهمل نفسه فاتت عنه تلك القوة فلا يكون له بعد قبول لذلك كالفحم اذا صار رمادا فلا ينفعل بعد ذلك بالنار فان استمر في كفره او فسقه فما ذكرنا صار

اما لميت او مريض او اصم لا يعقل شيئا ولذلك قال تعالى فيمن بطلت له هذه القوى انك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وقال وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وقال صم بكم عمي وقال في الذين
في قلوبهم مرض وقال ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقال انما المشركون نجس
وقال في المؤمنين لينذر من كان حيا وقال في انبيائهم اولي الايدي والابصار وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وقال ان في ذلك لآيات للمؤمنين ولما ذهب بها من الآلات من استعداد الحيوة والصحة والطهارة
قبل ان تبطل عنه هذه القوى اعني قوى قبول ذلك فصار رجسا نجسا بعد ان كان طاهرا وحصل زادا
كما امر بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واهتدى بالدليل الموصوف بقوله انك لتهدي
الى صراط مستقيم صراط الله واستجاب لله تعالى في قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم واقتدى
بالموصوفين بقوله يسارعون في الخيرات فجدير ان يبلغ فيحصل له هذه السعادة كما قال لعلكم
تفلحون

بيان الاعراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع كله

كما ان في بدن الانسان عوارض وامورا موجودة عند الولادة وعوارض توجد حالا فحالا الحكمة
تقتضي ذلك وهي تعد نجاسات لا بد من اماطتها كلها او اماطة فضولها وذلك كالسلا والسرة
والقلفة والعقيقة الموجودة في الصبي عند الولادة وكالاوساخ والقمل والظفر وشعر
العانة وشعر الابط كذلك في نفس الانسان عوارض هي نجاسات وامراض نفسانية يلزم اماطتها
كالجهل والشره والعجلة والشح والظلم ويدل على كون ذلك مخلوقا فيه وامر باماطته
واماطة فضوله ما ذكر الله تعالى في مواضع من كتابه في قوله خلق الانسان من عجل بعد ذكره انه مخلوق
فيه كما ترى ثم امر بان يتجنبه عن نفسه وان لا يستعمله فقال سأريكم آياتي فلا تستعجلون وفي قوله

انه كان ظلوما جهولا ثم امر بالعلم والعدل في غير موضع من كتابه وقوله واحضرت الانفس الشح ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وامر بتجنب الشح مع احضاره اياه وقوله خلق الانسان هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ووصفه بالكفور والقتور في قوله وكان الانسان
لربه كفورا وقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان
الانسان قتورا فادخل عليه كلمة كان تنبيها ان ذلك فيه كان غريزا موجودا له قبل لا شيء طار عليه
وقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم نهى عن اكثر الجدال فالانسان يحتاج ان يستعمل هذه العوارض
في الدنيا كما يجب في وقت ما يجب بقدر ما يجب وان يميط فضولاتها قبل خروجه من الدنيا حسب ما ورد
به الشريعة فانه متى لم يتطهر من النجاسة ولم يبرئ امراض نفسه لم يجد سبيلا الى وصول نعيم الآخرة
بل ولا الى طيب الحيوة الدنياوية وذلك ان من يتطهر تجلى عن قلبه الغشاوة فيعلم الحق والباطل نكتة
بالاطلاع فلا يشغله الا ما يعنيه ولا يتناول الا ما يعنيه فيحيى حيوة طيبة كما قال تعالى فلنحيينه حيوة
طيبة ولا تصيبه تبعاته وبالا عليه وعقباه كما قال في الكفار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم ويبرئ قلبه اذا تطهر من الشبهات
والارواح الطيبة كما وصف به المؤمنين هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وعرف الطريق الموصل
بها الى الجنة المأوى ومصاحبة الملأ الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويسارع في الخيرات صح
ويسابق الى المغفرة من ربه ومتى تمكنت نجاسته او تزايدت صار قلبه مقر الآثام كما قال تعالى
هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ولا يجد سبيلا الى سعادة الدار الآخرة
كما قال ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فنبه انه لا يصلح لجنته ما لم يتطهر

ذاته عن اشيا مخلوقة فيها وعلى هذا قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب فحق الانسان ان يراعي هذه القوى فيصلحها ويستعملها على الوجه الذي يجب وكما يجب ليكون كما
وصفه تعالى بقوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وقد يقع للانسان شبهة في امر هذه النجاسات فيقول اي ذلك من عند الله تعالى فان كان من عنده
فمن موجده ومن ابن صنيعه وان كان من عنده فما المعنى في ان اوجده في الانسان ثم امر بان يزيله فيقال
ما من شي اوجده الله او مكن من ايجاده الا وفيه حكمة ومنفعة وان لم يعرفها البشر لكن من الاشيا ما
نفعه في وقت مخصوص او اذا كان على قدر مخصوص ثم اذا استغني عنه او زاد على قدر ما يحتاج اليه
يجب ان يزال وذلك انه اذا تؤمل فظاهر اذ من المعلوم ان السلا والسرة يحتاج اليها لصيانة
الولد وفيه ثم يستغني عنها فيكون ابقاؤها بعد ذلك نجاسة والظفر والشعر يحتاج اليها اذا كانا
على حد واذا زادا على الحد فاما طنباه

القوى التي يجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي تحصل بذلك

ازالة النجاسة واجتلاب الطهارة المذكورة في قوله تعالى انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت واماطة المرض واكتساب الصحة المذكورة في قوله في قلوبهم مرض يكون
باصلاح القوى الثلث التي هي اصول الانسان في تصرفاته وهي قوة الشهوة وقوة الحمية وقوة الفكر
واصلاح قوة الشهوة يحصل العفة فيحترز بها من الشره واماتة الشهوة ويتحرى المصلحة في الماكول
والمشروب والملبوس والمنكوح وطلب الراحة وغير ذلك من اللذات الحسية وباصلاح قوة الحمية
يحصل الشجاعة فيحترز من الجبن والتهور والحسد ويتحرى الاقتصاد في الخوف والغضب والانفة
وغير ذلك وباصلاح قوة الفكر يحصل الحكمة حتى يحترز من البله والجربزة ويتحرى الاقتصاد في تدبير

الامور الدنيوية ولسنا نعني بالحكمة هاهنا العلوم النظرية وانما نعني بها الحكمة العملية التي تتحرى بها
المصالح الدنيوية وباصلاح هذه القوى تحصل في الانسان قوة العدالة فيقتدي بالله تعالى في
سياسته نفسه وسياسة غيره ويصير الانسان معاديا له كما قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقال عليه السلام
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فمن ادبها ارفعها ومن ظلمها وضعها والى هذا اشار بالظلم في قوله ومن
يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما اي لا يخاف ان يظلم النفس بالشهوة فالاعمال الصالحة
حض منها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر

كون الانسان مفطورا على اصلاح النفس

الانسان مفطور في اصل الخلقة على ان يصلح افعاله واخلاقه
بالتمييز وعلى ان يفسدها ومتيسر له ان يسلك طريق الخير والشر وان كان بعضهم من هو بجبلته الى
احدهما اميل وعلى هذا نبه من السبيلين بقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقوله
وهديناه النجدين اي عرفناه الطريقين وكما انه مفطور على اكتساب الامرين فابناؤه مفطورون على
انه اذا تعاطى احدهما من خير او شر الفه وتعوده واذا تعوده تطبع به واذا تطبع به
صار له طبعا وملكة فيصير بحيث لو اراد تركه لم يمكنه كما قيل   وتابى الطباع على الناقل
ويكون مثله فيه كمثل شجرة تنبت فاعوج فيسهل في الابتدا تثقيفه وتسويته بخيط تشد فيه او
بخشب يغرز بجنبه فيسدد ثم اذا غلظ واشتد مستويا امن ان يعوج بل لا يمكن تعويجه
وان ترك حتى يعوج فيصلب على عوجه لم يمكن بعد تثقيفه كما قيل
يقوم بالثقاف العود لدنا ولا يتقوم العود الصليب   وعلى هذا الوجه قال تعالى ان
الحسنات يذهبن السيئات وقال ويدرؤن بالحسنة السيئة ومدحهم بقوم ان لا اثر للنادب

في التهذيب فان الناس مجبولون على طبائع لا سبيل الى تغييرها فمنهم اخيار بالطبع ومنهم اشرار
واستدل بقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله فنبه ان كل انسان على حالة لا سبيل الى تغييره وقول النبي عليه السلام كل ميسر لما خلق له
وقوله فرغ ربكم من الخلق والخُلق والرزق والاجل وبقوله عز وجل ولقد اصطفيناه في
الدنيا وقوله انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين والناس
وان تفاوتوا في اصل الخلقة فما احد الا وله قوة على اكتساب قدر ما من الفضيلة ولولا ذلك
لبطلت فائدة الوعظ والانذار والتاديب ٥

سبب رذيلة الانسان وتاخره عن الفضيلة

كح سبب تاخر الانسان عن الفضيلة لا يخلو من اوجه اما ان يكون
نقصانا في اصل خلقته وعجزا مركبا في جبلته فقاعد به عن تحصيل القوة وجمع الالات التي بها يتوصل
الى السعادة ويمكن بضعف تجربة او لانقطاع عن طلب معاشه الضرورية في وقته او لم يجد هاديا
يرشده ومن كان كذلك فمعذور لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما انه عاجز عن
ذلك لكن لم يساعده على المعونة عمره وذلك فقد وقع اجره على الله كما قال ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله الاية واما ان يتفق له من يتعلم منه فضل فيضله عن الطريق وهذا ان لم يكن
من الاهتدا من يرشده ويسدده يكون معذورا والاثم فيما ارتكبه لمن قد اضله لا له كما قال تعالى
في المضلين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما
يزرون وان تمكن بعد ممن يرشده فلم يهتد به يكون هو ومضله مشتركين في الاثم كما قال احشروا
الذين ظلموا وازواجهم واما ان يكون ضلاله من جهة نفسه لا من جهة شيء مما تقدم وذلك هو المتوعد

بالعذاب فمن ازاح الله تعالى علته بالفهم والكفاية والمعلم الناصح فرغب عن الاهتداء وترك طريق
الرشاد يكون كمن وصفه الله تعالى بقوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه
الشيطان فكان من الغاوين وبقوله ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى واكثر من عقوبة
من استفاد العلم وعرف الحق وسلك فيه طريق الخير مراحل ثم ارتد عنها راجعا كمن وصفه بقوله
ان الذين ارتدوا على ادبارهم الاية وبقوله من يرتدد منكم عن دينه الاية ٥

كط احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها

الناس في اقامة العبادات وتحري الخيرات على اربعة اضرب الاول من له العلم بما يجب ان
يفعل وله مع ذلك قوة العزيمة على العمل به وهم الموصوفون بقوله عز وجل في غير موضع الذين امنوا
وعملوا الصالحات الثاني من عدمهما جميعا وهم الموصوفون بقوله ان شر الدواب عند الله وبقوله
ان هم الا كالانعام الثالث من له العلم وليس له قوة العزيمة على فعله فهو قريب الى الجاهل
بل هو شر منه كما روي عن حكيم سئل متى يكون العلم شرا من الجهل فقال ان لا يعمل به وروي كما خلا الله
بعد التصديق بالحق فهو بعيد من المغفرة الرابع من ليس له العلم لكن له قوة العزيمة فهذا
متى انقاد لاهل العلم وعمل بقولهم نجح في فعله وصار من الموصوفين بقوله اولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا والافعال الجميلة
والقبيحة يقوى الانسان فيها بتكريرها مرارا كثيرة ومزاولتها زمانا طويلا وتعودها في اوقات مختلفة
فان من فعل ذلك في شيء اعتاده واذا اعتاده تخلق به ما يجري في الصناعة كالكتابة فمثلا من كان
اعتياده فعل من هو حاذق في الكتابة والافعال التي تحصل عن الاخلاق بعد حصولها بلا اعيائها

الافعال التي يتعاطاها المتخلق بها حتى يصير خلقا فحق الانسان ان يتدرب بفعل الخير من تعود
فعلا صار له ملكة كالصبي فانه قد يلعب بتعاطي صناعة فيؤدي لعبه به الى ان يتعلمها
العبادات يكون محموده اذا تعاطاها الانسان طوعا واختيارا لا اتفاقا واضطرارا ودايما
لا في زمان دون زمان ولا لاجل ان ذاتها حسنة لا لاجل غيرها فمن اتاها على هذا الوجه فهو الموصوف
بقوله اخلصوا دينهم لله وبقوله عليه السلام اخلص يكفك القليل من العمل ولا يرضى تعالى الا بالاخلاص
كما قال تعالى الا لله الدين الخالص فاما من يتعاطى الخير لان يصلي لانه اتفق اجتماعه مع المصلين فساعدهم
او اكره ان يصلي او صلاها في رمضان مثلا دون سائر الاوقات او لاجل ان ينال بها جاها او مالا
فليس ذلك مما يستحق به محمدة وكذا من ترك قبيحا اما اتفاقا او اضطرارا او خوفا او في زمان دون
زمان او لان ينال بذلك كرامة دنيوية فليس بمحمود ولهذا قال الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم فبين ان من ينفق ماله هكذا ابعلوه
خوف من الفقر وحزن على الانفاق فلا يحصل له بذلك فضيلة ثم قال يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى ۝

ارتداد الانسان من طريق الخير والشر

للانسان فيما يتحراه من الخير والشر حالتان حالة يمكن فيها من الارتداد على ادباره فيما تعاطاه
من خير او شر وذلك قبل ان يمعن في سيره ويتناهى في امره وحالة يتعذر عليه الارتداد على
ادباره بل لا يمكنه السبيل الى الرجوع وذلك اذا امعن في سيره وتناهى في امره وذلك ان كل من كان
متعاطيا لفعل خير وكسل عنه او متعاطيا لشر فلم يقلع عنه اورثه كسله ضعفا صعب تحري الخير
كما قال ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا والشر اجهده بفعل الشر كما قال افمن زين له سوء

عمله فان استمر على ذلك ولم يقلع اورثه ذلك رينا على قلبه كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم الاية
فان تمادى في ذلك واستمر اورثه ذلك غشاوة كما قال فاغشيناهم فهم لا يبصرون فان ازداد ذ
اورثه ذلك طبعا وختما كما قال ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقوله افرايت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله افلا تذكرون فان ازداد صار ذلك اقفالا كما قال ام على قلوب اقفالها ثم اذا تمادى ذلك
صار قلبه متناهيا فلا يرجى له خيرة فلا تسمعه الايات والنذر كما قال انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ما يتذكرون ومن حيث ان الله تعالى علم من احوال من بلغ هذا
المبلغ انه لا يتوب ولا يؤوب قال ان الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم
الضالون وقوله ان الذين كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولم يرد
انه ان تاب لم تقبل توبته بل نبه بذلك انهم لا يتوبون فتقبل توبتهم بذكر منتهى الفعل ودل
على سببه وهذا من كلامهم كقول الشاعر ولا ترى الضب بها ينجحر اي ليس بها ضب فينجحر وكقوله
وان يتناول الجمار الضب فهو في الحقيقة لوجود الضب بها وعلى هذا قوله ان الذين امنوا ثم
كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم اي لم يكونوا ليتوبوا فيغفر لهم وعلى
هذا قال تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فنبه ان من
هم الذين يرجى لهم التوبة وعلى هذه الجملة المذكورة نبه النبي عليه السلام بقوله اذا اذنب الرجل
نكت على قلبه نكتة سوداء فاذا اذنب ثانيا نكت اخرى كذلك الى ان حتى يصير قلبه كلون
كلون الشاة الربداء وبتراخي الذنب على الذنب حتى تسود القلب فلا يرجى له الانابة

وكذا حال الانسان فيما يتعاطاه من خير فانه يصير في افعاله الحسنة اوريحية يصير محتسنًا كما وصف الله تعالى به العابدين في مواضع من كتابه وكما ان من تعاطى من حسنة تزداد فيها احتسانًا فان استمر في ذلك بعض الاستمرار اهتز ونشط وانشرح به صدره كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فان دام على ذلك امتحن وتطهر قلبه كما قال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى فيكون كما وصفه في هذه السورة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلًا من الله ونعمة فان يزداد في فعله انضم اليه من الله باعث يهزه وداع يبعثه عليه كما قال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فحق الانسان ان لا يسامح نفسه في الاجتهاد وان لا يجزيه عوده ولا يرخص لها في شر يرتكبه فيتعاطى صغار الذنب يفضي الى ارتكاب الكبير والاخلال بالقليل الجز يؤدي الى الاخلال بالكثير فازرق التجريد وقبل ابيضه واول الغيث قطر ثم ينسكب وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى قوله سنطيعكم في بعض الامر فنبه ان قولهم للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر اداهم الى الارتداد وقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فنبه ان بعض ما كسبوا اداهم الى الانهزام والمتدرب في فعل الخير المتقوى فيه قد يصير بحيث يكون له من الله واق يحفظه عن الافعال القبيحة ويحثه على الافعال الحسنة وهذا معنى العصمة وعلى هذا نبه في صفة اوليائه بقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ولذلك قال رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

والمتدرب في فعل الشر المتقوى فيه قد يصير بحيث يكون له مما ارتكبه من القبائح باعث يبعثه على الافعال السيئة ويصده عن طرق الافعال الحسنة وعلى هذا نبه في صفة اعدائه بقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالًا الاية الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال ومن يعش عن ذكر الرحمن الى قوله ويحسبون انهم مهتدون وقال انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون وقد نسب الله تعالى هداية العبد واضلاله جميعًا الى نفسه من حيث انه جعل خلقة الانسان وطبعه بحيث اذا تعاطى فعلا من خير او شر واستمر عليه يصير ذلك طبعا له وملكة لا يرجع عنه ولم ينسب المنع من الايمان الى نفسه الا بعد ان ذكر ما كان من اساءة العبد نحو قوله انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون فخص الذين لا يؤمنون بان جعل الشياطين اولياءهم وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله وقال ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون

في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادات

الانسان لما كان على هيئة العالم بل اوجد فيه كل ما اوجد في العالم وكان في العالم اشياء لا سبيل الى اصلاحها جمادات لا يمكن تغييرها كذلك في ذات الانسان قوى لا سبيل الى اصلاحها وتهذيبها وكان له مع ذلك مستطاعات عما امر به وفيما كلف ولهذا قال تعالى قتل الانسان ما اكفره الى قوله كلا لما يقض ما امره فنبه ان الانسان لا يكاد يخرج من دنياه وقد قضى وطره ولذلك وجب على الانسان ان يجتهد في اداء ما امكنه وتطهير نفسه بفعله ما تيسر له والرغبة الى الله في تكميل ما قصر فيه وتحقق انه اذا فعل ما امكنه فقد اعذر لقوله تعالى لا يكلف الله نفسًا الا وسعها فاذا فعل ما امكنه يكون قد ترشح ان يتولى الله عنه

بالسيئات كما قال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
وقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولهذا أمرنا ان ندعو
الدعا بقولنا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الآية وقال والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فامرنا ان نرغب اليه في اتمام ما قصرنا عن اكتسابه وقوله
والذي جاء بالصدق وصدق به الى قوله ليكفر عنهم اسوأ الذي عملوا الآية ولهذا الاجل قال
بعض الحكماء من ظن انه يصل الى الحق ببذل المجهود فهو متعن ومن زعم انه يصل اليه بغير بذل المجهود
فهو متمن ولقصور الانسان عن تزكية نفسه بالتمام قال عليه السلم ما احد يدخل الجنة بعمله قيل ولا
انت يا نبي الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال تعالى منبها على هذا المعنى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال بل الله يزكي من يشاء وسبب قصور
الانسان عن تزكية نفسه على التمام هو ان الانسان حيوان ناطق ميت والحيوان جوهر متنفس
حساس والمتنفس جوهر متغذ ومترب ولا قوام له الا بالغذاء كما قال وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام فاذن الانسان ما دام في دنياه لا ينفك من مشاركة البهائم والسباع لكونه
حيوانا محتاجا الى ما يحتاج اليه فالانسان اذا لم يتحر العفة ويترك الرغبة لم يمتنع من الحاجات
البدنية ولما من شياطين الانس والجن وكيف يأمن وقد قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الآية
قال بعض المفسرين ان ابرهيم لما سأل الله تعالى فقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي الآية انما سأله ان يريه الحيوة المنزهة عن العوارض العارضة للحيوانات فقال اولم تؤمن
اي اولم تتحقق معناها بلى قد تحققته ولكن ليطمئن قلبي اي لتصير لي كيفية الطمأنينة التي للنفس

ومن مشاركة السباع والنباتات لكونه متنفسا محتاجا الى ما يحتاج اليه نسخه

من الشره والحرص والامل والافتخار فاعاين الآية المذكورة في قوله يا ايتها النفس المطمئنة
فامر ان ناخذ اربعة طيور غرابا وهو المختص بالشره ونسرا وهو المختص بالامل وطاوسا وهو المختص
بالافتخار وديكا وهو المختص بالشبق فامر ان يقطعهن ويصرهن اي يدعوهن ولما فعل ذلك صرن اليه
هذه عاجلا فنبه بذلك ان الانسان وان اجتهد كل الاجتهاد في حذف المعاني عن نفسه وتطهير ذاته
منها لن يتطهر ما دامت البشرية الدنيوية خاصية له ولن تحصل له الطمانينة المطلوبة واما
ما ادعاه قوم ان من الناس من قد يتجرد عن هذه الخصائص حتى يستغني عن الطعام والشراب ويصير
حينئذ بحيث لا يتوفه الاخلاق البهيمية فهذا من جهل بعض الناس فان ذلك يكون ملكا متشبحا
يسمى باسم الانسان على سبيل اشتراك الاسم ويكون قد تبدل الجوهر بتبدل جوهر النار اذا صار
برادا او الدعموص اذا صار ضفدعا او الدود اذا صار فراشا وكثير من النبات اذا صار جوهرها
ح اذا حيوانا كدودة القز وليس ذلك بمنكر في القدرة الالهية ويكون حينئذ خارجا عن الاسم

فصل الافعال التي خلق الانسان لاجلها مستخلفا في الارض مستعمرا فيها

اعلم ان من هاجر في الله وجاهد في سبيله فحقيق ان يهديه الى سبيله كما وعده في قوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين هاجروا وجاهدوا الى قوله اولئك هم المومنون
السلم حقا والهجرة العظمى هجران مرضات الشهوات والمجاهدة الكبرى مدافعة الهوى كما قال عليه
جهاد كفى هواك فمن هدي الى سبيله وامعن في ممره مسارعا الى الخيرات ومسابقا
المغفرة فحقيق ان يصير من الابدال ومعنى الابدال هم الذين يبدلون من اخلاقهم وافعالهم
الذميمة اخلاقا وافعالا حميدة فيجعلون بدل الجهل العلم وبدل الشح الجود وبدل الشره العفة

بدل الظلم العدالة وبدل الطيش التؤدة وعلى ذلك قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى
قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فالانسان اذا صار من الابدال فقد ارتقى الى درجة الاحباب
الذين عناهم الله بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فيجعله مهيبا في البشر معظما عند كل
احد وقد يبلغ مبلغا تخضع له البهائم والسباع والوحوش والحشرات تخضعها لسليمان عليه السلم
ويلين له الحديد لينها لداود عليه السلم وتصير له النار اذا خاضها بردا وسلاما كما صارت لابراهيم عليه السلم
وتنقاد له الريح فيركبها ركوب سليمان وتتسخر له الماء فيمشي عليه كتسخيره لخضر عليه السلم وتكلمه النبات
والمعادن والافلاك والنجوم فيقف على خواص منها وتخبره بسرائرها كما نطقت لادريس عليه السلم فقد
روي اذا احب الله عبدا البسه صورة من صورته ونفخ فيه روحا من ارواحه حتى ينقاد له كل حجر ومدر
ويتواضع له كل طائر وسبع بل قد يخصه بكرامات لا يمكن ان يطلع على كنهها غير من تخصه بها كما قال عليه السلم
عن ربه اعددت لعبادي الصالحين الحديث وقال تعالى اشارة الى هذا المعنى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وهذه احوال كما تكون للانبياء فقد تكون للاولياء المخصوصين بالكرامات وليس ذلك بمستبدع
ولا منكر في قدرة الله تعالى ولا منافي في حكمته ولا كما ظن بعض المتكلمين ان ذلك اذا اظهر على
غير انبيائه لا يومن ان يفتتن به الناس وانه يؤدي الى اشتباه امر النبي على الكافة فان الله تعالى
احكم الحاكمين لا يؤتي هذه المكرمة الا من هو اهله كما نبه عليه بقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته
ومن بلغ هذه المنزلة فقد آتاه الله ما لا يشكل من العلم والحكمة فقد طهره بتهذيبه وتعرفه قدره
ولا يتعدى طوره

اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده من السعادة

لم ينكر المعاد والنشاة الآخرة الا جماعة من الطبيعيين اهملوا

بل قد ح

ما يصلح ... لكا امره وتعرف قدره نح

افكارهم وجهلوا اقدارهم وشغلهم عن الفكر في مبدئهم ومنتهاهم شغفهم بما زين لهم من
حب الشهوات المذكورة في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية فاما من كان سويا
ولم يمش مكبا على وجهه لكونه كالانعام بل هم اضل وتامل اجزاء العالم علم ان افضلها ذوات
الارواح وافضل ذوات الارواح ذوو الارادة والاختيار وهذا في العالم وافضل ذوي
الارادة والاختيار الناظر في العواقب وهو الانسان وانه لم يجعل تعالى هذه الخاصية له
الا لامر جعله في العقبى والا كان وجود هذه القوة باطلا فانه لو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي
اليها غير هذه الحيوة الخسيسة المملوة نصبا وهما وحزنا ولا اكثر بعده حال مغبوطة لكان اخس
الحيوانات احسن حالا من الانسان ولكان يقتضي ان يكون هذه الحكم الالهية والبدع الربانية
التي اظهرها الله في الانسان تكون عبثا كما نبه عليه بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون فان احكام بنية الانسان مع كثرة بدائعها وعجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى
سوى ما تشاركه فيه من البهائم من الاكل والشرب والسفاد مع ما يشوبه من التعب الذي
تداعى عند الحيوانات سفه كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تعالى الله عن ذلك وعظم عن
من الفعل فيما كسبه دنيا العمارة صدق ما روي في الخبر ان الدنيا دار ممر لا دار مقر وقد خلقتم للابد
ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى يستقر بكم القرار وكثير من الجهلة اغتروا بقوم وصفوا
بوفور العقل في امور الدنيا حيث انكروا امر الآخرة فقالوا لو كان ذلك حقا لما انكره امثالهم مع
وفور علمهم وجودة فهمهم ولم يعلموا ان العقل وان كان جوهرا شريفا فانه لا يستوجه الا حيث
ما وجه ولا يغنى الا فيما اليه صرف فاذا صرف الى امر الآخرة احكمها واذا صرف

من خاصته ص

نكته

الى الامور البدنية فتوى كما فيها واعتكف عليها واخلد اليها وانما ينبغي بصيرته حينئذ عن الامور الاخروية كما قد نبه الله عليه في غير موضع من كتابه وتقدم القول فيه

فصل

اعلم ان الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح البدن هو احد الاسباب الموصلة للانسان الى النعيم الابدي وهو انتقال من دار الى دار كما روي انكم خلقتم للابد وانما تنقلون من دار الى دار وهو وان كان في الظاهر فناء واضمحلالا فهو في الحقيقة ولادة ثانية وما احسن ما قال الشاعر

تمخضت المنون له بيوم ... اتى ولكل حاملة تمام

فانه جعل المنون حاملا كحمل المرأة وتمخضا كتمخضها وولادة كولادتها تنبيها انه احد اسباب الكون فقال بعضهم الانسان ما دام في الدنيا مستصحبا للبدن جار مجرى الفرخ في بيضه فكما ان من كمال الفرخ تفلق البيض عنه وخروجه كذا من شرط كمال الانسان مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الانسان فالموت اذن ضروري في كمال الانسانية ولكون الموت سببا للانتقال من حال اوضع الى حال اشرف وارفع سماه الله توفيا واحياء كما عنده فقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ولهذا اتفق المتألهون ولحق بالله ونحو ذلك من الالفاظ ولاجل ان الموت للانسان انتقال من منزل ادنى الى منزل اعلى احبه من دنى ماله عند الله تعالى ولم يكرهه الا احد رجلين احدهما من لا يؤمن بالآخرة وعنده ان الحياة والنعيم الا في الدنيا فمن وصفهم بقوله لتجدنهم احرص الناس على حياة الاية والثاني هو من يرى لكونه قد كثرت ذنوبه ما هو فيه لكن كذلك فانه يحبه ويتمناه كما احبه الصالحون وتمنوه فقد روي عن النبي عليه السلام انه قال من احب لقاء الله احب

الله لقاءه وقال فتمنوا الموت ان كنتم صادقين تنبيها ان من يكون متحققا لحسن حاله عند الله لم يكره الموت والموت هو باب من ابواب الجنة منه يتوصل اليها ولو لم يكن موت لم تكن الجنة ولذلك من الله تعالى به على الانسان فقال الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم فقدم الموت على الحياة تنبيها انه يتوصل به الى الحياة الحقيقية وعده علينا في نعمه فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فجعل الموت انعاما كما جعل الحياة انعاما لانه لما كانت الحياة الاخروية نعمة لا وصول اليها الا بالموت فالموت نعمة لان السبب الذي به يتوصل الى النعمة نعمة ولكون الموت ذريعة الى السعادة الكبرى لم يكن الانبياء والحكماء يخافون الموت حتى قال امير المؤمنين لا ابالي اوقع علي الموت ام وقعت على الموت وكانوا يستقربونه ويرون انهم في حبس وينتظرون المبشر بالاطلاق وعلى هذا روي الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل انه لما مات داود الطائي سمع هاتف يقول اطلق داود من السجن وقال تعالى ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون تنبيها ان الموت سبيل للحوق السعادة عند الله وقال ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا وعلى ذلك نبه بقوله ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون فنبه ان هذه التغيرات لخلق احسن فنقض هذه البنية لاعادتها على وجه اشرف كالنوى المزروع الذي لا يصير نخلا مثمرا الا بعد فساد جثته وكذلك البر اذا اردنا ان نجعله زيادة في اجسادنا نحتاج الى ان نطحنه ونعجنه ونطبخه وهو في كل ذلك يتغير تغيرات كثيرة هي فساد في الظاهر وكذا البذر اذا القي في الارض تعفن من انتصح حاله لفساده فانما النفس لا تحب اللقاء في هذه

الدار الا اذا كانت تعذيرن راضية بالاعراض الدنيوية رضا الجعل بالحش وكم جاهله

بحالها في الماله فضل الانسان اذا اشرف على الملك قد تقدم

ان الناس ضربان ضرب لم يحظ من الانسانية على المثل الا بالصورة التخطيطية من انتصاب

القامة وعرض الظفر والقوة على الضحك ولغو من المنطق يجري مجرى المكاء والتصدية

معدود من البهائم وضرب هو الانسان وهو المعني لما خلق لاجله ومن كان كذلك فله

حالتان احدهما حالته وهو في الدنيا لم يقتحم العقبة ولم يفك الرقبة بل هو بعد صريع

جوعة واسير شبعة يبثته العرقة وتولمه البقة وتقتله الشرقة ولما نقص ما امره

فهو ما دام في دنياه لا يحكم بانه افضل من الملائكة على الاطلاق والحالة الثانية ان يكون

قد فك الرقبة بعدما قضى ما امره فصار من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بل قد جعل في

مقعد صدق عند مليك مقتدر ذا حياة بلا فنا وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل

وقد قام الملائكة بخدمته كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فمنذ

من حصل له هذه المنزلة افضل من كثير من الملائكة اعاننا الله على بلوغ هذه المنزلة وجعلنا

من المنتجبين لها برحمته انه جواد كريم على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وله الحمد على نوالته

نعمه وعلى نبيه خير خلقه الصلوة والسلم

ووقع الفراغ من انتساخه في المدرسة العدب

من شهر ربيع الاول سنه وتسعين وخمس مائة

وصلى الله على محمد واله الاكابر

ومنها

اقتحم العقبة صح

ص ٥٩٦